روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرّي جداً!!

115

العدوّ الخارق

Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ عقـــار ..

الخميس : العاشر من مـايو ... الثانيـة عشـرة والربع ظهرًا ..

خيَّم صمت تام ، على حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وهذا الأخير يطالع التقارير النهائية ، التى قدَّمها إليه الدكتور (ناظم) ، الذى جلس صامتًا بدوره ، يتطلَّـع إلـى وجـه القـائد ، وكأنمـا يحـاول استشفاف رد فعله ، إزاء ما ورد بالتقـارير ، إلا أن القائد الأعلى ، بحكم خبراته وطبيعة عملـه ، كـان يمتلك ملامح صخرية ، يصعب أن تنفذ من خلالها إلى أعماقه ، لذا فقد اضطر الدكتـور (نـاظم) لالـتزام الصمت ، حتى انتهى القائد من مطالعة التقارير ، ثم سأله فى مزيج من اللهفة والاهتمام :

ـ ما قولك يا سيِّدى ؟!

رفـع القائد الأعلى عينيه إليه فى بـطء ، وطـال صمته لبضع ثوان أخرى ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ التقارير وافية للغاية ، وتكمل الشق الفنى والعلمى ، الذى ينقص تقرير المقدّم (نور) ، الخاص بالعملية ذاتها ، ولكن اقتراحك النهائى يحتاج إلى وقفة طويلة .

ثم مال نحوه ، وانعقد حاجباه فى شىء من الصرامة ، قبل أن يتابع :

ـ ألا تعتقد أنه قد نالنا من ذلك الفيروس اللعين ما يكفينا ؟! لماذا ترغب فى الإبقاء عليه ؟!

اعتدل الدكتور (ناظم) فى مقعده ، وقال فى حماس واضح :

ـ أعلم أننا عشنا جميعًا أيام رعب رهيبة ، ونحن نحارب فيروس (هشيم) هذا ، ونقاتل لتدميره ، وإنقاذ العالم من آثاره المدمّرة ، ومن حسن حظنا أن لدينا فريقًا كفريق (نور) ، أمكنه إنقاذنا من مصير رهيب ، والسيطرة على ذلك الفيروس(*) ، ولكن الأمور انتهت نهاية حسنة ، وأصبحت لدينا عينة من الجيل الثالث للفيروس ، والمعروف باسم (هشيم ـ ٣)(**) ، فلماذا لا نواصل دراستها ،

(*) راجع قصة (بصمة الموت) ... المغامرة رقم (١١٢) .
(**) راجع قصة (الرعب) .. المغامرة رقم (١١٤) .

وإيجاد مصل مضاد لها ؟!

تراجع القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ بل قل : لماذا لا نعدم تلك العينة ، ولا يعود هناك أدنى أثر لذلك الفيروس اللعين ؟! لماذا لا نمحوه من الوجود ، بكل مشكلاته وشروره ، بدلاً من أن نحتفظ به ، ونبحث عن وسيلة لتفادى آثاره ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة وحماس :

ـ لنفس الغرض الذى تم إنتاجه من أجله ، لاستخدامه كسلاح حربى بيولوجى مدمّر ، إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك .

ازداد التقاء حاجبى القائد الأعلى ، وكأنما لا يروق له الأمر ، وقال فى صرامة :

ـ أنت تعلم أن استخدام الأسلحة البيولوجية محظور تمامًا ، منذ ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى لهفة :

ـ كل الدول تعلم هذا ، ولكن جميعها تُجرى أبحاثًا لاستنباط أسلحة بيولوجية جديدة ، بشكل أو بآخر ، وبمختلف وسائل السرية ، أو تحت ستار من الأبحاث الطبية ، أو أبحاث الدواء والعقاقير ، وحتى يمكننا

الحفاظ على مكانتنا الدولية ، التى اكتسبناها بعد الاحتلال(*) ، علينا أن نسعى للتفوق ، فى كل مجالات التسلح ، حتى المحظورة منها .

طال صمت القائد الأعلى هذه المرة ، وظهرت على وجهه دلائل التفكير العميق ، حتى أنه شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، كعادته كلما همّ باتخاذ قرار حاسم ، فتابع الدكتور (ناظم) فى حماس أكثر :

ـ أهم ما فى الأمر هو أننا لن نحتاج إلى ميزانية كبيرة ، أو حتى ميزانية خاصة ؛ فيمكننا استكمال العمل فى قسم الأبحاث البيولوجية والفيروسية ، الذى يرأسه الآن الدكتور (سمير حافظ) ، و ..

قاطعه القائد الأعلى فجأة :

ـ هل تعتقد أن سيادة رئيس الجمهورية سيوافق على هذا ؟

تراجع الدكتور (ناظم) بحركة حادة ، وكأنما أصابته صاعقة ، وارتبك بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن تنحنح مغمغمًا :

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (٧٦) .

ـ ليس من الضرورى أن يعلم سيادة الرئيس بالأمر .

ارتفع حاجبا القائد فى دهشة مستنكرة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!

انطلق اللفظ من بين شفتيه كالقنبلة ، فأسرع الدكتور (ناظم) يقول :

ـ أعنى أنه ليس من الضرورى أن ينشغل سيادته بكل كبيرة وصغيرة .. إنه مرهق طوال الوقت بالشئون الخارجية ، والسياسات الدولية المعقّدة ، ولهذا فوّضنا فى أمور البحث العلمى والعسكرى ، و ..

قاطعه القائد الأعلى بإشارة صارمة من يده ، قائلاً :

ـ أنت تعلم أن هذا الأسلوب لن يُجدى معى يا دكتور (ناظم) .

ارتبك الرجل أكثر ، وتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ معذرة .. كنت فقط أحاول أن ..

قاطعه فى صرامة أكثر :

ـ فليكن .. لقد قدّمت ما لديك .. دع لى إذن مهمة اتخاذ القرار .. بعد أن أمنح نفسى مهلة كافية للتفكير فى الأمر .

بدا شيء من الارتياح على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. في هذا الحالة ، اسمح لي أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، قاطعه أزيز ساعته المتصل هذه المرة ، فتطلّع إليه القائد الأعلى متسائلاً ، مما جعله يلقى نظرة سريعةً على الكلمات المضيئة ، التي تراصت على شاشة ساعته البلّورية ، ثم يقول في شيء من الضيق :

ـ آه .. إنه ذلك الموعد .

سأله القائد الأعلى :

ـ أي موعد ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ إنه الدكتور (فؤاد راغب) ، رئيس قسم الأبحاث الخلوية(*) ، في جامعة (القاهرة) الجديدة .. لقد اتصل بي أمس ، وأخبرني أن لديه أمرًا بالغ الأهمية ، يودّ إطلاعي عليه ، فطلبت منه الحضور لمقابلتي اليوم ، وهذا الأزيز يبلغني أن موعد المقابلة قد حان .

(*) المقصود هنا هو الأبحاث العلمية ، التي تجرى على الخلايا الحية ، بشرية كانت ، أو حيوانية .

سأله القائد الأعلى في اهتمام :

ـ هل تعتقد أن لديه شيئًا مهمًا بالفعل ؟!

ابتسم الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ ليس بالضرورة .. أنت تعلم طبيعة أساتذة الجامعة هؤلاء .. إنهم يقضون نصف حياتهم وسط الكتب ، ومعلوماتهم في معظمها نظرية ، وعندما يتوصّل الواحد منهم إلى معادلة ما ، يتصوّر أنه قد كشف أسرار الكون كله ، دون أن يجرى تجربة معمليه واحدة .

رمقه القائد الأعلى بنظرة حازمة ، وهو يقول :

ـ وماذا في هذا ؟! (ألبرت أينشتين) وضع نظرية النسبية كلها ، دون أن يدخل المعمل لحظة واحدة(*) ، وعلى الرغم من هذا فقد قلب بها قوانين الفيزياء رأسًا على عقب .

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم عاد يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟! ربما ..

وغادر مكتب القائد الأعلى ؛ للحاق بموعد الدكتور (فؤاد راغب) ، والسؤال ما زال معلقًا في سماء الحجرة ..

(*) حقيقة .

نعم .. من يدرى ؟!
ربما ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، التى دلف فيها الدكتور (فؤاد) إلى حجرة مكتب الدكتور (ناظم) ، لم يشعر الأخير بأدنى قدر من الارتياح تجاهه ..

فعلى الرغم من أن الدكتور (فؤاد) أحد أساتذة الجامعة المعدودين ، فى المجال العلمى ، إلا أن قامته الضئيلة ، وجسده النحيل ، وشعره الطويل غير المهذب ، وعينيه شبه الجاحظتين ، وأنفه الطويل ، والتجاعيد فى رقبته ، بالإضافة إلى حلته التى بدت فى هيئة مزرية ، ورباط عنقه الرفيع ، وحذاءه المترب ، والأوراق التى يحملها مع حقيبته فى غير انتظام ، كلها جعلته يبدو أشبه بصورة مجسّمة لمستر (هايد)(*) ، فى رواية (روبرت لويس ستيفنسون)

(*) (دكتور جيكل ، ومستر هايد) : رواية من روايات الخيال العلمى ، كتبها (روبرت لويس ستيفنسون) ، حول طبيب يبتكر عقارًا خرافيًا ، يبرز الشر الكامن فى أعماقه ، فيتحول إلى شخص آخر ، يحمل أبغض ما فى الطبائع البشرية ، ويؤدى العقار إلى حدوث تلك التغيرات على نحو عشوائى ، بحيث يأوى دكتور (جيكل) إلى فراشه ذات مرة ويستيقظ ليجد نفسه مستر (هايد) البغيض ، وتتوالى الأحداث حتى ينتهى الأمر بمأساة كالمعتاد .

الشهيرة(*) ، مما انعكس على صوت الدكتور (ناظم) ولهجته ، وهو يصافحه بأطراف أصابعه ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا دكتور (فؤاد) .. تفضّل بالجلوس .. إننى أتساءل بحق عما تنوى إطلاعى عليه .

تألقت عينا الرجل شبه الجاحظتين ، على نحو زاد من غرابة هيئته ، وهو يقول فى لهفة شديدة :

ـ قل لى يا دكتور (ناظم) : ما حدود قدرات الجسد البشرى ، من وجهة نظركم العلمية ؟!

كان السؤال مباغتًا بحق ، حتى أن الدكتور (ناظم) استغرق عشر ثوان ، قبل أن يتنحنح مجيبًا :

ـ هذا الأمر أجريت حوله دراسات عديدة ، انتهت كلها بأننا لم ننجح بعد فى استخدام كل ما يحويه جسدنا من قدرات ، وأننا لا نكاد نستهلك أربعين فى المائة منها ، و ...

قاطعه الدكتور (فؤاد) بسخرية مستفزة :

ـ أربعين فى المائة ؟! هراء .. إننا لا نستخدم حتى عشرة فى المائة منه .

(*) (روبرت لويس ستيفنسون) : (١٨٥٠ ـ ١٨٩٤ م) : كاتب سكوتلندى ، وصحفى من أشهر أعماله : (جزيرة الكنز) ، و (الاختطاف) ، و (دكتور جيكل ، ومستر هايد) .

لم يرق هذا الأسلوب للدكتور (ناظم) ، فقال فى صرامة :

ـ العلم لا يعترف بوجهات النظر العاطفية يا دكتور (فؤاد) .. لقد أثبتت الأبحاث العلمية كلها أن ..

ولكنه فوجئ بالرجل يقاطعه ثانية ، بنفس الأسلوب الفظ :

ـ فلتذهب كل تلك الأبحاث العلمية إلى الجحيم .. إنها لا تساوى حتى ثمن الأوراق التى طبعت عليها .

احتقن وجه الدكتور (ناظم) بشدة ، ونهض من مقعده ، يلوّح بسبّابته فى وجه الرجل ، هاتفًا :

ـ اسمع يا دكتور (فؤاد) .. أسلوبك المستفز هذا لا يصلح لطرح وجهة نظرك ، مهما بلغت أهميتها .. إنك تجلس هنا داخل إدارة الأبحاث العلمية ، التابعة لواحد من أرقى أجهزة المخابرات ، فى العالم أجمع ، وهذا يعنى أن لدينا نخبة من أفضل وأبرع علماء العصر ، والأبحاث التى يقومون بها هى أحدث ما توصّل إليه العلم ، فى كل المجالات .

لوّح الدكتور (فؤاد) بيده مرة أخرى ، على نحو لا يوحى بأن هتاف الدكتور (ناظم) قد ترك لديه أدنى أثر ، وقال :

ـ لقد قرأت كل تلك الأبحاث جملة جملة ، وكلمة كلمة ، بل وحرفًا حرفًا ، ووجدتها كلها تافهة ، تتصاعد من نقطة إلى أخرى ، استنادًا إلى ما تصوّر الجميع أنه حقيقة علمية لا تقبل الجدل .

ثم مال نحو الدكتور (ناظم) ، وعادت عيناه شبه الجاحظتين تتألقان ، وهو يضيف بلهجة عجيبة :

ـ الصفات الرئيسية للخلية الحية .

شىء ما فى لهجته وصوته ونظرته ، جعل الدكتور (ناظم) يعاود الجلوس على مقعده ، ويقول بصوت مبحوح :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟!

لوّح الدكتور (فؤاد) بيده ، قائلاً :

ـ أعنى أن الكل يبدأ أبحاثه ، بافتراض أنه يعلم تمامًا كل السمات الرئيسية للخلية الحية(*) ، ومن هنا تبدو له كل النتائج ، التى يتوصّل إليها ، سليمة ومنطقية تمامًا ، طبقًا للافتراض الأوّلى .

(*) الخلية : فى علم الأحياء ، العناصر التى تتكوّن منها أنسجة النبات والحيوان ، استخدم المصطلح لأول مرة (روبرت هوك) ، عام ١٦٦٥ ، والخلية ذات طبيعة معقدة ، فهى تحوى نواة مغمورة فى البروتوبلازم ، ومحاطة بغشاء خارجى ، وتعتبر الخلية هى اللبنة الأولى لكل كيان حى .

ثم مال نحو الدكتور (ناظم) بحركة حادة ، مضيفًا :

- ولكن الواقع أنهم يجهلون قدرات هذه الخلايا البشرية تمامًا .

جفّ حلق الدكتور (ناظم) ، وهو يحدّق فى وجهه ، وقد خالجه خوف مبهم تجاهه ، جعله يسأله بصوت شبه مختنق :

- هل تدرك ما يعنيه قولك هذا ؟!

صاح الرجل بغتة ، وهو يربّت على حقيبته فى قوة :

- بالتأكيد .

انتفض جسد الدكتور (ناظم) فى عنف ، مع الصيحة المباغتة ، حتى إنه كاد يقفز نحو زر استدعاء طاقم الأمن ، لولا أنه تابع الرجل فى انفعال جارف ، وهو يواصل التربيت على حقيبته فى قوة :

- هنا ستجد نتائج أبحاث عشر سنوات متصلة ، تثبت أن قدرات الخلايا الحية تتجاوز أضعاف ما يمكننا تخيّله .. المهم أن نجد الوسيلة لاستخراج تلك القدرات الكامنة ، ودفعها إلى الظهور .. لن يمكنك أن تتصوّر قط ما يمكننا أن نحصل عليه حينذاك .. إننا سنصبح قادرين على إنتاج مقاتلين هائلين .. خارقين .. مقاتلين لا يشق لهم غبار .

جذبت العبارة الأخيرة انتباه واهتمام الدكتور (ناظم) بشدة ، فسأل فى لهفة :

- كيف ؟!

تألّقت عينا الدكتور (فؤاد) أكثر وأكثر ، حتى بدتا مخيفتين للغاية ، وهو يلوّح بكفه فى عنف ، قائلاً فى انفعال بلغ ذروته :

- بأن نشحن أجسادهم بالطاقة النووية .

صدم الجواب أذنى الدكتور (ناظم) كصفعة قوية ، فارتجف فى مقعده ، وحدّق فى وجه الدكتور (فؤاد) بدهشة مستنكرة ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويتراجع فى المقعد فى بطء ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

- أهذا ما أتيت من أجله يا رجل ؟!

هتف الرجل فى حماس ، وهو يلوّح بذراعيه فى الهواء ، تاركًا أوراقه تتبعثر على أرضية الحجرة ، وكأنما نسى وجودها تمامًا :

- بالطبع .. أطلق لخيالك العنان ، وتصوّر مقاتلاً تم شحن جسده بطاقة نووية ، تكفى لإنارة مدينة كاملة .. ما الذى يمكن أن يتحوّل إليه ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يقول غاضبًا :

ـ قطعة من الفحم .

تراجع الرجل فى دهشة ، مغمغمًا :

ـ قطعة من ماذا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ الفحم يا رجل .. الفحم(*) هذا كل ما يمكن أن يتبقى من بشرى ، إذا ما تعرض جسده لطاقة نووية تكفى لإنارة منزل واحد .

لوح الرجل بيده فى توتر ، قائلاً :

ـ كلا .. كلا .. أنت لا تفهم الأمر جيدًا .. إننا سنجعل الخلايا البشرية قادرة على تخزين الطاقة النووية ، والاحتفاظ بها ، والتعامل معها ، و ...

هوى الدكتور (ناظم) براحته على سطح مكتبه ، هاتفًا :

ـ كفى ..

(*) الفحم : مادة كربونية ، تكونت نتيجة التحلل الجزئى للمواد النباتية في باطن الأرض ، وتظهر فى أحيان قليلة ، على هيئة طبقات قريبة من سطح الأرض ، وقد ترسبت فى أثناء العصر الكربونى .

ثم مال بجسده كله نحو الرجل ، مستطردًا فى غضب شديد :

ـ اسمع يا هذا .. أنا أيضًا كنت أهوى روايات الخيال العلمى فى صباى وشبابى ، وحتى بعد تخرجى من الجامعة ، إلا أن عملى هنا جعلنى أدرك أنه هناك فارق كبير ، وهوة شاسعة ، بين الواقع والخيال ، وينبغى لك كأستاذ جامعى ، أن تتجاوز هذه الهوة ، وتقفز من عالم الخيال ، لتستقر على أرض الواقع .

احتقن وجه الدكتور (فؤاد) ، وهو يردد :

ـ خيال ؟! واقع ؟! ماذا تقول يا دكتور (ناظم) ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ أقول إننا هنا ، فى إدارة الأبحاث العلمية ، لا نتعامل إلا مع الأمور العلمية الجادة والمنطقية ، ولدينا من التجارب المؤكدة ما يثبت أن الخلية البشرية لا يمكنها احتمال كم محدود من الطاقة الكهربية ، فما بالك بالنووية ؟!

ارتجفت سبابة الرجل ، وهو يلوح بها ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، فى الظروف الطبيعية ، ولكن عقارى يغير من طبيعة الخلايا ، و ...

قاطعه الدكتور (ناظم) فى عصبية أكثر :

ـ عقارك ؟! أى عقّار هذا ؟!

تلفّت الرجل حوله فى توتُّر بالغ ، بحثًا عن حقيبته ، وهو يقول :

ـ عقّارى .. (السترونجالين) .. إنه عقّار من اختراعى ، بعد ثلاث ساعات فحسب من تناوله ، تصبح الخلايا قادرة على الـ ..

بتر عبارته بغتة ، عندما وقعت عينه على حقيبته ، وانقضّ عليها فى لهفة ؛ لينتزع منها أنبوبة اختبار مغلقة ، مكملاً :

ـ آه .. ها هو ذا .. إنه ..

وفجأة ، برزت حدقتاه إلى الأمام ، وبدت هيئته عجيبة مخيفة ، وهو يحدّق فى أنبوبة الاختبار فى رعب هائل ، وكأنما تحولت إلى عقرب سام ، قبل أن يصرخ فى ارتياع :

ـ لا .. لا .. مستحيل :

سأله الدكتور (ناظم) فى توتر :

ـ ما .. ماذا حدث ؟!

التفت إليه الرجل بأنبوبة الاختبار ، هاتفًا :

وفجأة ، برزت حدقتاه إلى الأمام ، وبدت هيئته عجيبة مخيفة ، وهو يحدّق فى أنبوبة الاختبار فى رعب هائل ..

- هذا الـ .. الـ ..

وجحظت عيناه بشدة ، وبرزتا على نحو مخيف ، وهو يطلق شهقة قوية ، ويمسك صدره بيده ، فهتف الدكتور (ناظم) ، وهو يضغط زر الطوارئ بكل قوته :

- يا إلهى ! ماذا أصابه ؟! ماذا أصابه ؟!

ومع آخر حروف كلماته ، هوى الدكتور (فؤاد) مرتطمًا بالأرض فى عنف ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها رجال الطوارئ المكتب ، فهتف بهم الدكتور (ناظم) :

- أسرعوا .. إنه يعانى من أزمة قلبية على الأرجح .

قالها ، وتجمد تمامًا خلف مكتبه ، متابعًا ما يفعله رجال الإسعاف والطوارئ ، حتى سمع أحدهم يطلق زفرة يائسة ، ثم رآه يلتفت إليه ، ويهز رأسه ، قائلاً فى أسى :

- لا فائدة .. لقد مات .

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ..

لقد ذهب الرجل بلا مقدمات ، تاركًا خلفه لغزًا كبيرًا .. وغامضًا .

* * *

٢ - اللغـز ..

الخميس : العاشر من مايو .. الرابعة وعشر دقائق عصرًا ..

ارتسمت ابتسامة مرحة على وجه (أكرم) ، وهو يستقبل (نور) و (سلوى) ، فى حجرته بالمستشفى المركزى ، ولوّح لهما بيده ، وهو ينثنى على مقعده ، ليسمح لزوجته (مشيرة) بدفع وسادة لينة خلف ظهره ، قائلاً :

- مرحى يا رفاق .. أكان من الضرورى أن يصيبنى ما أصابنى ، حتى أحظى باهتمامكم ورعايتكم ، على هذا النحو ؟!

لكزته (مشيرة) بمرفقها فى رقة حنون ، وهى تبتسم ، قائلة :

- أيها الجاحد .. ألم تحظ بكل اهتمامى ورعايتى ، منذ تزوجنا ؟!

أطلق ضحكة عالية ، وقال :

- لا بأس من المزيد يا أميرتى .

ثم بتر ضحكته بغتة ، ليسأل (نور) فى اهتمام :

- كيف حال (رمزى) اليوم ؟!

أجابه (نور) بلهجة تحمل نبرة ارتياح :

- حمدًا لله .. لقد غادر قسم الحالات الحرجة هذا الصباح، والأطباء يؤكدون أنه سيغادر المستشفى بعد الغد .

تنهد (أكرم) فى ارتياح ، قائلاً :

- حمدًا لله .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

- الواقع أن مهمتنا الأخيرة كانت عنيفة أكثر مما ينبغى يا رفاق ، حتى إنه ليدهشنى أن خرجنا منها جميعًا على قيد الحياة(*) .

أجابته (مشيرة) فى مرارة :

- ولكن هذا لا يمنع أن ضحاياها كانوا بالعشرات .

بدا الألم على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

- لقد بذلنا أقصى ما يمكننا بذله .

رمق (أكرم) زوجته بنظرة قاسية ، وهو يهتف :

- العالم كله اعترف بأنك أبليت بلاءً حسنًا يا (نور) .

(*) راجع قصة (بصمة الموت) .. المغامرة رقم (١١٢) .

ثم استطرد بسرعة ، فى محاولة لإدارة دفة الحوار :

- ولكن أين (نشوى) و (محمود) الصغير ؟! لماذا لم يحضرا معكما ؟!

أجابته (سلوى) مبتسمة :

- لقد حضرا معنا ، ولكن (نشوى) ذهبت إلى حجرة زوجها بالطبع .

أطلق (أكرم) ضحكة مرحة ، وربت على ظهر (مشيرة) فى حرارة ، قائلاً :

- لو أننى فى مكانها ، لما فعلت سوى هذا .

ابتسم (نور) بدوره ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم تنهد فى عمق ، قبل أن يستطرد :

- فمن حقنا جميعًا أن نحظى بقدر كاف من الراحة ، بعد كل ما بذلناه من جهد .

استرخى (أكرم) فى مقعده ، وأسبل جفنيه ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة واسعة ، متمتمًا :

- بالطبع يا (نور) ، وأنا مصرّ على الإفادة بكل لحظة من فترة الراحة هذه .. كل لحظة ..

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان

شاب ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، وسيم الطلعة ، يدلف إلى مكتب رئيس وحدة العلاج النووى بالمستشفى، قائلاً بابتسامة هادئة ، ولهجة مهذبة وقور :

- مساء الخير يا سيدى .. اسمى (غبريال) المساعد الأول للدكتور (فؤاد راغب) ، رئيس وحدة الأبحاث الخلوية بجامعة (القاهرة) الجديدة .

صافحه رئيس وحدة العلاج النووى فى حرارة ، ودعاه إلى الجلوس ، قائلاً :

- تفضل يا أستاذ (غبريال) .. أبلغونى أنك أجريت اتصالاً بنا صباح اليوم ، بشأن تعاون ما ، تطلبونه منا ، لأحد أبحاثكم الخاصة .

اعتدل (غبريال) فى مجلسه ، وقال :

- هذا صحيح يا سيدى .. إنها مجرد تجربة بسيطة عاجلة ، نحتاج فيها لتعريض بعض الأنسجة للإشعاع النووى .

هز رئيس الوحدة كتفيه ، قائلاً :

- هذا أمر بسيط ، لم يكن يحتاج إلى اتصال خاص .

أشار (غبريال) بسبابته ، قائلاً :

- ربما يا سيدى ، ولكن الأمر يحتاج منا حتمًا إلى

فحص وحدة الطاقة النووية لديكم ، قبل البدء فى التجربة .

ضاقت حدقتا رئيس الوحدة ، وهو يتطلع إليه بدهشة ، قبل أن يقول :

- فحص وحدة الطاقة ؟! وما شأنكم بها ؟! إنكم ستجرون تجربتكم فحسب !

بدا (غبريال) شديد التهذيب ، وهو يجيب :

- معذرة يا سيدى .. نعلم أنه مطلب مبالغ وسخيف ، ولست فى حل من ذكر أسبابه ، ولكن الدكتور (فؤاد) يؤكد لسيادتكم أن هذا أمر بالغ الأهمية ، بالنسبة لنجاح أو فشل تجربته ، ويرجوكم عدم الإصرار على معرفة التفاصيل ، نظرًا لأنه - كأى عالم - يرغب فى إحاطة تجربته بنطاق من السرية ، حتى تحين لحظة الإعلان عنها .

انعقد حاجبا رئيس الوحدة ، وتراجع فى مقعده ، وراح يرمق (غبريال) بنظرات مدققة مستريبة ، إلا أن الشاب بدا له هادئًا وديعًا ، إلى الحد الذى أزال الكثير من شكوكه ، وجعله يعتدل ، قائلاً :

- فليكن .. سأطلب من مهندس الوحدة منحك تقريرًا وافيًا عنها ، ثم ..

قاطعه الشاب فى لهفة :

ـ معذرة يا سيدى ، ولكن هذا لن يصلح .

عاودته شكوكه كلها دفعة واحدة ، وهو يسأله فى حدة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه (غبريال) فى اهتمام :

ـ إنها أمور فنية معقدة ، ولكنها تحتم ضرورة فحص وحدة الطاقة النووية مباشرة .

تنهد رئيس الوحدة فى حرارة ، وعاد يتراجع فى مقعده ، ويرمق الشاب بنظرات طويلة ، وقد عربدت فى رأسه عشرات الشكوك ، والشاب يجلس هادئًا منتظرًا ، حتى قال الرجل :

ـ فليكن يا أستاذ (غبريال) .. سأسمح لك بفحص وحدة الطاقة النووية لدينا ، ولكن فى حضور مهندس الوحدة ، وطاقم الصيانة كله .. هذا أقصى ما يمكننى فعله .

تألقت عينا الشاب على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ لا بأس يا سيدى .. لا بأس .. هذا أيضًا أقصى ما تمنيناه ، عندما تقدمنا بطلبنا .. أشكرك يا سيدى .. أشكرك جزيل الشكر .

لم يشعر رئيس الوحدة بالارتياح قط ، منذ رأى ذلك التألق فى عينى الشاب ، ولقد استقرّ ذلك الشعور بعدم الارتياح فى وجدانه ، حتى بعد أن غادر الشاب مكتبه ، بصحبة مهندس الوحدة ، فظلّ جالسًا على مقعده بضع دقائق فى صمت ، ثم لم يلبث أن ضغط زر الاتصال بسكرتيرته ، وقال فى توتر ملحوظ :

ـ أريد إجراء اتصال بجامعة (القاهرة) الجديدة .. قسم الأبحاث الخلوية .. الدكتور (فؤاد راغب) شخصيًا .. وعلى الفور .

وأنهى الاتصال ، ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وجلس ينتظر إتمام الاتصال ، وهو يتساءل فى أعماقه :

لماذا يشعر بكل هذا القلق والتوتر ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وبينما انطلق ذلك القلق يعربد فى أعماقه ، كان (غبريال) يقف مع المهندس وطاقم الصيانة ، أمام وحدة الطاقة النووية الحديثة ، التى تم تزويد المستشفى المركزى بها مؤخرًا ، والتى تعدّ أقوى وحدة طاقة نووية علاجية ، فى الشرق الأوسط كله ، والمهندس يسأله فى اهتمام :

ـ ها هى ذى وحدة الطاقة .. ما الذى تريد فحصه فيها بالضبط .

تألقت عينا (غبريال) ، على نفس النحو العجيب ، وهو يقول :

ـ مصدر الطاقة الرئيسى .. أريد فحص مخارج الطاقة ومداخلها .

بدت الدهشة على وجه المهندس ، وهو يسأله :

ـ ولماذا ؟! هذا أمر لا يفيد أية تجارب طبيعية بالتأكيد .. ربما تقصد أنك ترغب فى معرفة ما يمكن الحصول عليه من طاقة ، فى الحالات العلاجية .

انطلقت من بين شفتى (غبريال) ضحكة ساخرة قصيرة ، تردد صداها فى المكان ، على نحو أدهش الجميع وأقلقهم ، قبل أن يقول :

ـ تلك الطاقة التافهة لا تعنينى إطلاقًا .. إننى أسعى لمعرفة مقدار ما تحويه تلك الوحدة من طاقة ، وأقصى ما يمكنها إطلاقه .

تبادل الجميع نظرات قلقة متوترة ، ثم قال المهندس فى حذر عصبى :

ـ معذرة يا أستاذ (غبريال) .. أعتقد أن ما تطلبه ليس متاحًا ، من الناحية الرسمية .. إننى أحتاج إلى تصريح خاص ، و ..

قاطعه (غبريال) بلهجة صارمة جافة ، وهو يتجه نحو الوحدة بخطى سريعة :

ـ أهنا تحتفظون بالمادة المشعة ؟!

اتسعت عينا المهندس ، وهو يهتف به :

ـ نعم .. ولكن حذار أن تقترب منها .. لابد أن ترتدى الزى الواقى أولاً ، و..

بتر عبارته مذعورًا ، عندما أمسك (غبريال) مقبض الكوة الكبيرة ، وأداره فى حزم ، فصرخ فى طاقم الصيانة :

ـ امنعوه .. امنعوا هذا المجنون ، قبل أن تحدث كارثة .

اندفع رجال الطاقم نحوه ، وقلوبهم تخفق فى عنف ، إلا أنه جذب المقبض فى قوة ، على الرغم من التحذير الكبير الواضح على الكوة ، التى انفتحت فى عنف ، على نحو شهق له المهندس فى رعب هائل ، وتراجع معه رجال الطاقم فى ذعر ، والمهندس يهتف :

ـ رباه ! لقد كشف المادة النووية .. رباه !

ومع آخر حروف كلماته ، انطلق فى المكان إنذار قوى ، يعلن حدوث تسريب بالغ الخطورة فى الطاقة

النووية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد واصل (غبريال) عمله فى سرعة ولهفة ، وعيناه تتألقان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وأمام العيون الذاهلة المذعورة ، حدث أمر مذهل رهيب ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

« معذرة يا سيدى ، ولكن لن يمكنك التحدث إلى الدكتور (فؤاد راغب) .. »

أدهشت العبارة رئيس وحدة العلاج النووى ، فضغط زر الاتصال الداخلى بسكرتيرته ، وهو يسألها :

ـ ولماذا ؟! ألا يمكنهم العثور عليه ؟! أيجهلون أين هو ؟!

أجابته سكرتيرته بسرعة :

ـ بل يعلمون مكانه جيدًا يا سيدى ، ولكن ..

قاطعها فى عصبية :

ـ ولكن ماذا ؟!

احتملت السكرتيرة عصبيته كعادتها ، وأجابت :

ـ ولكن الدكتور (فؤاد) مات ظهر اليوم يا سيدى .

تراجع رئيس الوحدة كالمصعوق ، هاتفًا :

ـ مات ؟!

تفجّر نبع مذعور من التوتر فى أعماقه ، وتدفقت عشرات الأسئلة فى رأسه ، وكأنها حمم ملتهبة ، انطلقت من بركان ثائر ..

الدكتور (فؤاد) مات ؟!

ما الذى أتى بمساعده المزعوم هذا إذن ؟!

ما الذى يسعى إليه ؟!

ولماذا اختار وحدة العلاج النووى ؟!

ولماذا وحدة الطاقة بالتحديد ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

واندفعت يده فى عصبية شديدة إلى زر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يهتف بسكرتيرته فى حدة :

ـ اتصلى فورًا بجهاز الأمن ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة جهاز الإنذار ..

ومع انطلاقه ، تردد صوت أنثوى آلى هادى ، فى كل مكان بالمستشفى ، عبر أبواق أجهزة التحذير الإليكترونية ، المنتشرة فى كل الأدوار ، يقول :

- تحذيـر .. تسـرُّب إشعـاعي محـدود ، من قسم العلاج النـووى .. برنـامج الطـوارئ سيتعامل مـع الموقف على الفور .. برجاء البقاء داخل الحجرات ، وعدم مغادرتها ، حتى وصول فريق التطهير .. تكرُّر .

قبل حتى أن تكتمل العبارة ، كان (نور) يقفز من مقعده، ويهتف برفاقه، وهو يندفع خارج حجرة (أكرم) :

- لا تغادروا أماكنكم .. سأستطلع الأمر ، وأعود على الفور .

هبَّ (أكرم) من مقعده بدوره ، وهتف بزوجته :

- هذا ينطبق على النساء فقط .

اتسعت عينا (سلوى) فى ذعر ، فـى حين هتفت (مشيرة) :

- لا .. احترس يا (أكـرم) .. ما زلت فى مرحلة النقاهة .

وثب خارج الحجرة ، متجاهلاً عبارتها ، وهو يقول ساخرًا :

- هذه هى النقاهة الحقيقية ، التى تصلح لأمثالى يا أميرتى .

وانطلق يعدو حتى لحق بـ (نـور) ، الذى قال ، دون أن يلتفت إليه :

- المفترض أن تبقى فى حجرتك .

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، قائلاً :

- حقًا ؟!

لم يُعلِّق (نور) بحرف واحد ، وهما يعدوان جنبًا إلى جنب ، عَبْر ممرات المستشفى ، فاعترض أحد رجال الأمن طريقهما ، هاتفًا :

- الزما الحجرات .. محظور الخروج إلى الممرات فى أثناء الـ ..

قاطعه (نور) ، وهو يبرز هويته :

- (نـور) و(أكـرم) ، من المخـابرات العلميـة المصرية .. ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

قبل أن تنفرج شفتا رجل الأمن عن حرف واحد ، ظهر مدير المستشفى ، وهو يهتف فى توتر ولهفة :

- بهذه السرعة ؟! يا إلهى ! لم أتصوَّر أن تبلغ كفاءة مخابراتنا العلمية هذا الحد .

التفت إليه (أكرم) فى سخرية ، فى حين كرَّر (نور) سؤاله عليه فى قلق :

- ماذا حدث ؟! أهو خلل ما ؟!

لوَّح المدير بذراعيه ، وهو يعدو إلى جوارهما ، قائلاً فى انفعال جارف :

ـ بل هو حادث متعمَد .. ذلك المحتال نجح فى خداعى ، وذهب مع المهندس وطاقم الصيانة إلى وحدة الطاقة النووية ، ثم حدث ما حدث .

تبادل (نور) نظرة متوترة مع (أكرم) ، قبل أن يهتف الأخير :

ـ محتال ؟!

استلّ (نور) مسدسه الليزرى من غمده ، وهو يضاعف من سرعة عدوه ، فى حين هتف (أكرم) ، وهو يعدو إلى جواره :

ـ مرحى .. وكانت (مشيرة) تؤكد لى أننى لن أحتاج إليه هنا .

هتف بالعبارة ، وهو ينتزع مسدسه التقليدى ، من طيات ثوب المرضى الذى يرتديه ، فاتسعت عينا مدير المستشفى فى ذهول ، وهو يشير إليه ، صائحًا :

ـ مستحيل ! من أين أتيت به ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ هل تمزح يا رجل ؟! إننى رجل مخابرات علمية .

اتسعت عينا المدير أكثر وأكثر ، ولم يهضم الجواب قط ، فى حين بلغ ثلاثتهم ، مع رجال الأمن ، منطقة

وحدة الطاقة النووية ، فأشار المدير إلى الجميع فى توتر بالغ ، وهو يهتف :

ـ احترسوا .. من الخطر البالغ دخول الوحدة ، دون زى واق ، فى مثل هذه الـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوت فى المكان فرقعة عنيفة ، امتزجت بصرخة ألم هائلة ، وصوت ارتطام قوى ، فهتف (نور) ، وهو يندفع نحو باب الوحدة :

ـ لا .. لا يمكننا الانتظار أكثر .

جذبه أحد رجال الأمن بعيدًا عن الباب ، وهو يقول فى حدة :

ـ أوامر المدير لا تناقش أيها الـ ..

ولم يكتمل قوله أبدًا ..

فمع جذبته القوية لـ (نور) ، دوت فرقعة أخرى هائلة ، ثم ارتطم جسم كبير مشتعل بباب الوحدة ، وانتزعه من مكانه ، ودفعه معه لأربعة أمتار كاملة ، عبر الممر المواجه له ، وبقوة كادت تضرب (أكرم) والمدير كالصاعقة ، وانتزع فى طريقه ثلاثة من رجال الأمن بالفعل ، قبل أن يرتطم بالأرض كالقنبلة ، ويتدحرج الجسم الذى انتزعه من مكانه ، ليرتطم بالجدار المجاور ، ويستقرّ عند قاعدته ..

واتسعت عيون الجميع فى ذهول وارتياع ..

فذلك الجسم المشتعل ، الذى انتزع الباب الثقيل من مكانه ، لم يكن سوى المهندس ..

مهندس صيانة وحدة الطاقة النووية ..

وكان المسكين قد لقى مصرعه ، وراحت النيران تلتهم جسده بلا رحمة ..

وفى ذعر بلا حدود ، هتف رئيس الوحدة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نور) و (أكرم) ، فقد تبادلا نظرة واحدة ، حملت كل ما يدور فى أعماقهما ، ثم اندفع كل منهما بمسدسه ، داخل الوحدة ..

كانت النيران مشتعلة فى كل مكان ، وأجهزة الإطفاء الإليكترونية تبدأ عملها بالفعل ، وكانت هناك أشلاء عدة جثث متناثرة فى المكان ..

وهتف (أكرم) :

ـ رباه !! إنه ليس مجرد محتال .. إنه سفاح .. بل وحش رهيب .. وحش مفترس .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سطع ضوء مبهر للغاية فى المكان ، وانطلقت معه ضحكات ساخرة عالية ،

فذلك الجسم المشتعل ، الذى انتزع الباب الثقيل من مكانه ، لم يكن سوى المهندس ..

جعلت (نور) يرفع مسدسه نحو الضوء بحركة تلقائية ، واكبه فيها (أكرم) ، و ...

وانطلق مسدساهما فى آن واحد ..

انطلقت أشعة مسدس (نور) الليزرية ..

ورصاصات مسدس (أكرم) التقليدية ..

ومع دوى الرصاصات ، صدر صوت آخر عجيب ، أشبه بصوت معدن ملتهب ، يُصبّ فى ماء بارد ..

واندفع ذلك الصوت الساطع المبهر نحوهما ..

وارتفعت الضحكات الساخرة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع ارتفاعها ، واصل الرجلان إطلاق مسدسيهما فى عصبية ، وأغلقا عيونهما مع الضوء المبهر ، ولكنهما شعرا بلفح أشبه بالنيران يضربهما ، وبقوة هائلة تدفعهما جانبًا ..

بل وتنتزعهما من مكانهما انتزاعًا ..

قوة حملتهما فى عنف ، وضربت بهما الجدار على الجانبين ، محمّلة بتلك الضحكات الساخرة المخيفة ، قبل أن يندفع ذلك الضوء الساطع نحو الجدار الخلفى للمكان ، و ..

ودوت فرقعة هائلة جديدة ..

فرقعة أشبه بارتطام صاعقة قوية بجدار سميك ..

وتناثرت أحجار صغيرة فى المكان ، وارتطمت بجسدى (نور) و (أكرم) فى عنف ، وتصاعدت أدخنة كثيفة ، مع تلاشى تلك الضحكات الساخرة ..

وغمر الضوء الحجرة ..

ضوء الشمس الطبيعى ، الذى تسلّل عبر فجوة كبيرة فى الجدار ..

وهدأ كل شىء دفعة واحدة ..

وران على المكان صمت رهيب ، استغرق ثانية واحدة ، قبل أن يقفز (نور) و (أكرم) من مكانهما بغتة ، فى آن واحد ، وكأنهما يتبعان برنامجًا مدروسًا ، وينطلقان عبر فجوة الجدار ، أمام عيون مدير المستشفى ورجال أمنها الذاهلين ..

وكانت الفجوة تقود إلى ساحة صغيرة ، ثم إلى ممر ضيق ، ينتهى بساحة انتظار السيارات ..

ولم يكن هناك أدنى أثر ، فى الساحة أو الممر ، لأى كائن كان ..

أو أى شىء ..

وبإشارة من (نور) ، اندفع الاثنان عبْر الممر ، حتى بلغا ساحة السيارات ، التى بدت لهما هادئة خالية ، حتى امتداد البصر ..

وفى حنق ، هتف (أكرم) :

ـ اللعنة ! أين ذهب ذلك الشىء ؟!

تطلّع إليه (نور) بنظرة صامتة متوترة ، والسؤال نفسه يعربد فى ذهنه ممتزجًا بسؤال آخر أكثر أهمية ..

ترى ما هو هذا الشىء ؟!

ما هويته ؟!

وما صلتهُ بذلك المحتال ، الذى أشار إليه رئيس الوحدة ؟!

ومرة أخرى ، ألقى نظرة كبيرة طويلة على المكان ، وقد بدا له أن الراحة ، التى كانوا يحلمون بها قد ولّت وانتهى أمرها ..

وأن فريقه بصدد مواجهة لغز جديد ..

لغز رهيب ومخيف ..

إلى أقصى حد .

* * *

٢ ـ العدوّ ..

الخميس العاشر من مايو .. الخامسة عصرًا ..

استدارت عيون الدكتور (ناظم) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، إلى المقدّم (نور) ، وهو يدلف إلى حجرة القائد ، ويؤدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور الدين محمود) فى خدمتكما .

أشار إليه القائد الأعلى فى لهفة ، قائلاً :

ـ تقدّم يا (نور) .. من الرائع أنك وصلت بهذه السرعة ، ومن حسن الحظ أنك شاهدت بنفسك ما نحن بصدده .

أجابه (نور) ، فى مزيج من الاهتمام والتوتّر :

ـ صحيح أننى وزميلى (أكرم) قد شاهدنا الأحداث ، وعاصرناها بنفسينا يا سيّدى ، إلا أننى لم أستطع بعد تكوين فكرة عنها ، أو حتى إيجاد تفسير منطقى لها .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول الدكتور (ناظم) :

- ربما كانت لدينا بعض الخيوط يا (نور) .

تطلع إليه (نور) بنظرة ملؤها التساؤل والاهتمام ، فأسرع يروى له تفاصيل مقابلته للدكتور (فؤاد) فى الصباح ، وحتى لقى الرجل مصرعه ، ثم تابع فى قلق واضح ملحوظ :

- لقد أدهشنا موته المفاجئ فى الواقع ، ولكن طبيبنا الشرعى ، الدكتور (محمد حجازى) ، أكد أنها وفاة طبيعية ، بسبب أزمة قلبية طارئة ، من أثر انفعال بالغ ، وصرح باتخاذ الإجراءات الرسمية المعتادة لدفن الجثة ، ولقد عهدت بأوراقه ، وبالعقار الذى أتى به ، إلى نخبة من أفضل خبرائنا ، لدراستهما ، وتحديد صحة ادعائه من عدمه .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وما الذى توصل إليه الخبراء ؟!

أجابه القائد الأعلى هذا المرة ، قائلاً :

- إنهم ما زالوا يدرسون الأوراق يا (نور) ، ولكنهم يؤكدون أن ما جاء بها مدهش للغاية ، وأنه يشرح بالتفصيل مدى ما يمكن أن يمتلكه أى بشرى من قدرات خارقة ، تفوق أقصى ما يمكن أن تتخيله

عقولنا ، إذا ما استطاعت خلاياه أن تختزن الطاقة النووية ، وتستخدمها كيفما شاء صاحبها .

اندفع الدكتور (ناظم) يضيف :

- بشرط واحد .. أن يتناول الجرعة المحدودة من ذلك العقار .

ثم انطلقت من أعمق أعماق كيانه زفرة ملتهبة ، قبل أن يضيف :

- وهنا تكمن المشكلة .

سأله (نور) فى لهفة :

- أية مشكلة ؟!

رفع الدكتور (ناظم) سبابته ليجيب ، ولكن القائد الأعلى قال بسرعة :

- العقار نفسه يا (نور) .

التفت إليه (نور) بنظرة متوترة متسائلة ، فتابع :

- العلماء الذين عهدنا إليهم بفحص العقار ، استخدموا بالطبع أجهزة التحليل الإليكترونية ، للتوصل إلى تركيبه ، فوجدوا أمامهم مفاجأة مدهشة ، أبلغونا بها على الفور .

قال (نور) بحماس مباغت :

- دعنى أستنتجها يا سيِّدى .. لقد وجدوا أن هذا العقار مجرَّد سائل بسيط ، لا قيمة له .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة دهشة ، قبل أن يهتف الأخير :

- وكيف أدركت هذا يا (نور) ؟!

اعتدل (نور) فى وقفته ، قائلاً :

- مجرَّد استنتاج محض يا سيِّدى ؛ فالشاب الذى التقى برئيس وحدة العلاج النووى فى المستشفى ، ادَّعى أنه المساعد الأوَّل للدكتور (فؤاد راغب) ، ولقد استدعينا صورته عبر قناة المعلومات ، على جهاز الكمبيوتر ، وتعرَّفه رئيس الوحدة بالفعل ، ووجدنا أن بياناته ، التى أدلى بها ، صحيحة ، وأنه كان يشغل - بالفعلُ - منصب المساعد الأوَّل للدكتور (فؤاد) ، على الرغم من أنه مجرَّد فنى للأشعة النووية .

سأله القائد الأعلى فى حذر :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجاب (نور) فى سرعة :

- يعنى أن كل شىء سيبدو منطقيًا للغاية ، لو افترضنا

أن المساعد (غبريال) ، فنى الطاقة النووية ، قد سرق عقار الدكتور (فؤاد راغب) ، واستخدمه ليحصل على تلك القوة الخرافية ، التى تحدَّث عنها البحث .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يتمتم :

- يا إلهى !

أما القائد الأعلى ، فقد مال على مكتبه ، وقال فى عصبية :

- اشرح وجهة نظرك جيِّدًا يا (نور) .

أشار (نور) بيديه ، وهو يقول فى اهتمام :

- طبقًا لرواية الدكتور (ناظم) ، فقد أصيب الدكتور (فؤاد) بتلك الأزمة القلبية ، التى أودت بحياته ، عندما حدَّق فى أنبوبة الاختبار ، التى يفترض أن تحوى ذلك العقار ، الذى أمضى عشر سنوات من عمره لاختراعه ، ولقد حاول المسكين أن يقول شيئًا ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، ونظريتى تقول : إن الرجل ، عندما جاء إلى هنا ، كان واثقًا من أن تلك الأنبوبة الصغيرة تحوى عقاره المدهش ، ولكنه لم

يكد ينظر إليها ، حتى أدرك على الفور أنها لا تحوى ذلك العقار .. ربما لاختلاف اللون ، أو القوام ، أو أية صفة أخرى ، المهم أن هذا قد أصابه بهلع شديد ، وانفعال عنيف ، أدى إلى تلك الأزمة القلبية ، التى التهمته ، وهو يحاول إعلان أن هذا ليس عقاره .. بل وربما أدرك فى تلك اللحظة أيضًا أن العقار الحقيقى قد سُرق ، بوساطة أقرب مساعديه ، الذى تناول العقار بالفعل ، ثم راح يبحث عن مصدر للطاقة النووية ، يصلح لشحن خلاياه ، للحصول على القدر الأوَّل من القوة .

اعتدل القائد الأعلى فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ القدر الأوَّل ؟! هل تعنى أنه سيسعى للحصول على طاقة أكبر ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى توتُّر بالغ ، فى حين أجاب (نور) فى حزم :

ـ ليس لدى أدنى شكٍّ فى هذا يا سيِّدى ، فذلك المساعد (غبريال) لم يسع للحصول على ما يمكن أن تمنحه إياه وحدة علاج نووى صغيرة فحسب ، وإنما كان يحتاج إلى قدر من الطاقة ، يشحن به

خلاياه ، حتى يكتسب بعض القوة ، التى تمكِّنه من بلوغ ما أراد ، وكلنا نعلم أن الأماكن التى يمكن الحصول منها على الطاقة النووية محدودة للغاية ، فإما أن يحصل عليها من مصادر عسكرية ، وهذا مستحيل تمامًا ، نظرًا للحراسة المشدَّدة حول تلك المصادر ، أو من إحدى محطات توليد الكهرباء من الطاقة النووية ، والوصول إلى داخلها أيضًا أمر شبه مستحيل ، بالنسبة لغير المختصِّين ، من العاملين فيها ، مما يعنى أن البديل الأخير والوحيد أمامه ، كان الحصول على القدر الأدنى من الطاقة ، من خلال وحدة علاجية محدودة ، فى أحد المستشفيات ، ومع ما سيمتلكه من قوة بعدها ، سيسعى للحصول على المزيد والمزيد من الطاقة ، حتى يكتمل شحن خلاياه بسماتها الجديدة .

انتهى (نور) من كلماته ، فران صمت رهيب على المكان ، وارتسم مزيج من التوتر والذعر والهلع على وجهى القائد الأعلى والدكتور (ناظم) ، قبل أن يقطع الأخير ذلك الصمت ، متمتمًا :

ـ ربَّاه !!

واندفع القائد الأعلى يسأل فى توتر بالغ :

ـ إذن فأنت تعتقد أن هدفه التالى هو إحدى الوحدات العسكرية النووية .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى تفكير عميق ، استغرق لحظات طوال ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ كلا يا سيدى .. لست أعتقد أنه قد اكتسب ما يكفى من القوة ، للانقضاض على هدف كهذا .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ لم يكتسب ما يكفى من القوة ؟! يا إلهى ! أى قول هذا يا (نور) ؟! كل ما فعله فى المستشفى ، ولم يكتسب ما يكفى بعد .

تنهد (نور) قائلاً :

ـ هذا صحيح للأسف يا دكتور (ناظم) .. وكل ما أخشاه هو أنه إذا ما نجح فى خطوته القادمة ، فستتضاعف تلك القوة عشرات المرات ، وربما لن تكفى جيوشنا كلها عندئذ للتصدى له .

شحب وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يردد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما القائد الأعلى ، فقد التقى حاجباه الكثان فى

شدة ، قبل أن يضرب سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً فى صرامة :

ـ ما هدفه التالى يا (نور) ؟!

اتجه (نور) فى حركة سريعة إلى خريطة (القاهرة) الجديدة ، التى تغطى الجدار المجاور لمكتب القائد الأعلى بأكمله ، وأشار إلى نقطة عليها ، مجيبًا فى حزم وحسم :

ـ هنا .

وانقضت صاعقة عنيفة على الرجلين ، وهما يحدقان فى النقطة ، التى أشار إليها (نور) ..

النقطة التى لم تكن سوى محطة توليد الكهرباء النووية ، التى تضىء مدينة (القاهرة) الجديدة .. بأكملها ..

* * *

لم يستطع خبير الأدلة الجنائية كتمان دهشته العارمة ، وهو يجول ببصره فى حجرة وحدة الطاقة النووية بالمستشفى ، وتوقفت عيناه عند رجال المستشفى ، الذين يحملون جثة محترقة ، لأحد أفراد طاقم الصيانة ، قبل أن يشيح بوجهه فى امتعاض ظاهر ، مغمغمًا :

- يا للبشاعة !

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

- كنت أظنك قد اعتدت مثل هذه الأمور .

أشار الرجل بيده ، قائلاً :

- ليست كل الحوادث بمثل هذا العنف .

وعاد يدير عينيه فى المكان ، قبل أن يتابع فى توتر :

- لقد واجه هؤلاء الرجال شيئًا رهيبًا ، حطّم جهاز الطاقة ، واستهلك كل ما يحويه من مادة مشعّة ، ثم أصاب هؤلاء المساكين بقذائف نارية قوية على الأرجح ، قبل أن ينسف الباب ، ويخترق الجدار بقذيفة نارية أخرى .

أجابه (أكرم) فى حزم :

- بعد أن أطلقنا عليه النار أنا والمقدّم (نور) .

مطّ الرجل شفتيه ، مغمغمًا :

- أشكّ فى هذا .

قال (أكرم) فى حدة :

- تشكّ فى ماذا يا رجل .. لقد أطلقنا النار عليه أمام الجميع ؟!

أشار الرجل بيده بعصبية ، قائلاً :

- لقد سمعت هذه القصة ثلاث مرات على الأقل يا سيّد (أكرم) .. أنت أطلقت عليه رصاصات تقليدية ، والمقدّم (نور) أطلق عليه أشعة مسدسه الليزرى .. الكل روى لى هذه الواقعة ، ولكن لا يوجد أدنى أثر لإطلاق نيران هنا .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- ماذا تعنى يا رجل ؟!

أجابه الخبير فى حدة :

- أعنى أن ما أطلقتماه لابد وأن يصيب شيئًا ما ، أو يرتدّ عنه على الأقل ، فإذا ما أصاب جسدًا بشريًا ، أو حيوانيًا ، فستسقط من هذا الجسد قطرات دماء .. قطرة واحدة على الأقل ، أما لو كان صاحب الجسد يرتدى درعًا واقية ، فسترتدّ عنه الرصاصات ، أو تتكسر عليه أشعة الليزر ، وفى هذه الحالة لابد أن تترك أثرًا لارتطامها بالجدار مثلاً .. أو بالسقف ، أو الأرضية ، أو على أقل تقدير ، ستخرج شظية صغيرة من ذلك الدرع ، وتتناثر هنا أو هناك ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حدة أكثر :

- ولا يوجد هنا أدنى أثر ، لأى احتمال من هذه الاحتمالات .

قال (أكرم) فى صرامة :

- ربما يمتصّ أشعة الليزر .

أجابه الخبير بلهجة متحدية :

- وماذا عن الرصاصات ؟!

انتزع (أكرم) مسدسه من غمده ، ودفعه أمام عينى الخبير ، قائلاً :

- انظر يا رجل .. مسدسى من الطراز ذى الساقية الدوّارة ، ورصاصات هذا النوع تختلف فى شكلها وطبيعتها عن رصاصات المسدس الآلى ، فهى ذات حلقة بارزة إضافية عند القاعدة ، تجعل الساقية تحتفظ بالمظاريف الفارغة ، بعد إطلاق الرصاصات ، على عكس رصاصات المسدس الآلى ، التى تحوى تجويفًا بالقرب من القاعدة ، يسمح للخطّاف الآلى بسحب المظروف الفارغ من الماسورة ، وإلقائه خارجًا ، لتحلّ محله رصاصة جديدة(*) .

(*) حقيقة .

لم يفهم الرجل ما يعنيه (أكرم) بهذا الشرح ، فغمغم فى عصبية :

- أعلم هذا .

أكمل (أكرم) فى صرامة ، وهو يفتح ساقية مسدسه :

- عظيم .. انظر هنا إذن ، وستجد الساقية كلها محشوة بمظاريف فارغة ، ولو شممت ماسورة المسدس ، فستدرك أنه قد تمّ إطلاقه مؤخّرًا جدًّا ، ألا يعنى لك هذا أننى أطلقت رصاصات مسدسى على ذلك الشىء الساطع .

انعقد حاجبا الخبير ، وهو يقول فى حدة :

- لو أن هذا صحيح ، فأين ذهبت إذن ؟

صاح (أكرم) :

- وما شأنى أنا .. ربما انغرست فى جسده .. كل ما أذكره أننى رأيت ضوءًا ساطعًا ينقضّ علىّ ، فأطلقت رصاصاتى نحوه ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى توتر شديد ، وكأنما تذكّر شيئًا ما ، مما جعل الخبير يسأله فى لهفة :

- وماذا يا سيد (أكرم) ؟! وماذا ؟!

تطلع إليه (أكرم) بضع لحظات عجيبة ، وكأنه يراه لأول مرة ، قبل أن يقول فى انفعال :

- وسمعت صوتًا أشبه بسكب معدن منصهر ، فى ماء بارد .

اتسعت عينا الخبير فى شدة ، وهو يهتف :

- ماذا ؟!

ثم أدار عينيه إلى أرضية المكان فى حركة حادة سريعة ، وتركز بصره عند نقطة بعينها ، لم يلبث أن اندفع نحوها ، وانحنى يفحصها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يرفع عينيه إلى (أكرم) ، متمتمًا ، وكأنه يحدث نفسه :

- يا إلهى ! وأنا الذى تصورتها شظية من شظايا الوحدة المحطمة !!

اتجه (أكرم) نحوه ، وهو يسأله فى قلق :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الرجل مبهوتًا :

- الدليل يا سيد (أكرم) .. الدليل .

ثم شرد بصره ، وهو يضيف بصوت مرتجف :

- الدليل على أننا نواجه شيئًا رهيبًا .. رهيبًا للغاية .

وانتقلت ارتجافة صوته إلى جسد (أكرم) كله .. وبعنف ..

* * *

استرخى كبير مهندسى المولد النووى الرئيسى لمدينة (القاهرة) الجديدة ، فى مقعده الكبير الوثير ، خلف مكتبه الضخم ، متطلعًا فى تكاسل إلى شاشات الكمبيوتر الثلاث أمامه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح ، وهو يقول لنفسه :

- حمدًا لله .. كل شىء يسير على ما يرام ، فى هذه الآونة .. لو استمر الحال على المنوال نفسه ، حتى نهاية الشهر ، سنحصل على مكافأة جودة بالتأكيد .

كانت أجهزة الكمبيوتر الثلاثة أمامه تتابع مستويات الطاقة ، التى يتم توليدها بوساطة المفاعل النووى ، وانطلاقها عبر الكابلات الضخمة ؛ لتغذية (القاهرة) الجديدة ، وكل المدن المحيطة بها ، وتنقل إليه لحظة فلحظة أية تطورات ، مهما بلغت ضآلتها ، فى مراحل إنتاج الطاقة وتوزيعها ..

واتسعت ابتسامته أكثر ، وأكثر ، وهو يتابع الشاشات ، و ..

وفجأة ، ارتفع رنين الهاتف الخاص ..

انطلق بغتة ، حتى أن جسده كله انتفض فى عنف ، ووثب من فوق مقعده ، وقفزت يده بحركة آلية تختطف سمّاعة ذلك الهاتف الأحمر اللون ، والذى يصله بالقيادة الأمنية مباشرة ، وتضعها على أذنه ، وهو يقول فى انفعال شديد :

ـ المفاعل الرئيسى .. من المتحدّث ؟!

أتاه صوت (نور) وهو يقول بلهجة صارمة آمرة :

ـ هنا قيادة المخابرات العلمية المصرية .. هناك خطر داهم يتهدّد المفاعل الرئيسى .. فريق الطوارئ فى طريقه إليك ، وحتى يصلك ، خلال خمس دقائق على الأكثر ، مر طاقم الحراسة كله بالتواجد حول المكان ، وأعلن حالة الطوارئ القصوى .. غير مسموح لأى مخلوق بالدخول إلى المكان ، أو الخروج منه ، مهما كانت الأسباب والمبرّرات .. هل تفهم ؟!

ارتجفت كلمات الرجل ، وجفّ حلقه على نحو عجيب ، وهو يسأل بصوت مختنق :

ـ لماذا يا سيدى ؟! ماذا سيحدث بالضبط ؟! أى خطر نواجه .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ أطع الأوامر فحسب يا رجل .. إننا ..

قبل أن يتمّ (نور) عبارته ، دوى صوت أشبه بانفجار مكتوم ، وارتجّت حجرة كبير المهندسين كلها فى عنف ، حتى إنه فقد توازنه ، وسقط أرضًا ، وسقط معه الهاتف الأحمر فى قوة ، فصرخ مرتاعًا :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا يفعلون بنا ؟! أهو هجوم جوى ؟!

لم تكن صرخته قد اكتملت بعد ، عندما انطلقت صفارات الإنذار فى المكان كله ، مع دوى انفجار آخر ، فاختطف المهندس المذعور سمّاعة الهاتف ، وصرخ :

ـ لقد .. لقد بدأ الهجوم يا رجل المخابرات .. النجدة .. النجدة ..

جاوبه صمت مطبق ، يعلن انقطاع وسائل الاتصال ، فى حين تواصل دوى صفارات الإنذار ، على نحو مخيف ، وامتزج بصرخات رهيبة ، تنطلق من أماكن شتى فى المفاعل ، فامتقع وجه المهندس ، واتسعت عيناه فى هلع ، وراح يردّد :

- رباه ! ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث هنا ؟!

وبأصبع مرتجفة ، ضغط الرجل أزرار شاشات المراقبة ، وتطلع إليها فى خوف ، إلا أنه لم تكد تضىء ، وتنقل إليه ما يحدث فى المفاعل ، حتى انطلقت من حلقه شهقة ، مذعورة ، وتراجع بحركة حادة ، حتى التصق بالجدار ، وهو يصرخ :

- يا إلهى ! ما هذا ؟! ما هذا ؟!

فأمامه مباشرة ، على كل شاشات المراقبة ، كان هناك ضوء مبهر ، ينطلق نحو وحدة الطاقة النووية مباشرة ، مطيحًا بكل ما يعترض طريقه ، من حواجز وعقبات ، وأبواب ..

وحتى البشر ..

وعلى الرغم من رعبهم وذعرهم ، راح رجال الأمن يطلقون نيرانهم نحو ذلك الضوء المبهر ، الذى يتخذ مظهرًا مخيفًا ..

ولكن كل طلقاتهم راحت سدى ..

كلهم رأوها تبلغ ذلك الضوء المبهر ..

ثم ينتهى أمرها هناك ..

وأمرهم أيضًا ..

فالضوء يواصل اندفاعه نحوهم ..

ويسحقهم أمامه ..

يسحقهم سحقًا ..

وصرخات المساكين تنطلق هائلة رهيبة ، مخترقة أذنى المهندس وكيانه كله ، فيواصل ارتجافه أكثر وأكثر.

ثم دوى انفجار آخر ..

انفجار أكثر عنفًا ، انطفأت معه كل شاشات المراقبة ، وخبت كل الأضواء ..

إلا شاشات الكمبيوتر الثلاث ..

وبصوت أقرب إلى اللهاث الذاهل ، تمتم كبير المهندسين :

- أين وحدة النجدة ؟! أين هى ؟! ذلك الشىء سيبيدنا جميعًا بلا رحمة ! بلا أدنى رحمة ..

ومع آخر حروف كلماته ، انطلق صفير متقطع من أجهزة الكمبيوتر الثلاثة ، فاستدار إليها كبير المهندسين بحركة حادة ، وانطلقت من حلقه شهقة عنيفة هذه المرة ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. مستحيل !

فعلى الشاشات الثلاث ، راحت مستويات الطاقة تنخفض وتنخفض ، بسرعة مذهلة ، كما لو أن وحشًا نوويًا ضخمًا يلتهمها فى شراهة ونهم لا مثيل لهما ..

وانطلقت من حلقه شهقة عنيفة هذه المرة ، وهو يصرخ :
ـ لا .. لا .. مستحيل ! ..

واتسعت عينا المهندس أكثر وأكثر ..
وتواصل انخفاض الطاقة ..
طاقة هائلة ، تكفي لإنارة (القاهرة) الجديدة وضواحيها ، راحت تنسحب من المفاعل النووي ، وتغوص في خلايا بشري واحد ..
وخفتت كل مصابيح المدينة دفعة واحدة ..
وتوقفت الآلات والمعدات الكبيرة ..
ثم الصغيرة ..
وحتى الأجهزة المنزلية البسيطة ..
وفجأة ، توقف كل شيء ..
وران على المكان صمت رهيب ..
صمت استغرق ثواني معدودة ، قبل أن يقطعه دوي أبواق مركبات النجدة ، التي يقودها المقدم (نور الدين محمود) ..
لقد وصلت أخيرًا ، ولكن بعد فوات الأوان للأسف ..
العدو نفذ مهمته بنجاح هذه المرة أيضًا ..
ثم اختفى ..
وبلا أدنى أثر .

* * *

٤ ـ الهدف ..

الخميس : العاشر من مايو .. السادسة والنصف مساءً ..

سعل (رمزى) مرتين فى انفعال ، وهو يستمع ، مع أعضاء الفريق ، إلى ما رواه لهم (نور) بأدق التفاصيل ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ إذن فقد تمكن (غبريال) هذا من شحن خلاياه بالطاقة النووية بالفعل ، طبقًا لما ورد فى أبحاث الدكتور (فؤاد) رحمه الله .. عجبًا ! لو أن أحدًا أخبرنى بهذا ، منذ يوم واحد ، لاتهمته بالإفراط فى الخيال ، ولأكدت له أن العلم يتعارض مع هذا الأمر تمامًا .

أجابه (نور) فى توتر :

ـ هذه واحدة من مميزات العلم ومعجزاته يا صديقى ، فلا يمكنك أبدًا أن تدعى فيه أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان ، وأن ما تسير عليه من

قواعد لن يتغيَّر قط ، ففى ليلة وضحاها يخرج عالم آخر بنظرية جديدة ، تكفى لتقلب كل ما سبقها من قواعد رأسًا على عقب .. وفى حالتنا هذه كان من الممكن أن نستنكر كل ما جاء فى أبحاث الدكتور (فؤاد) ، وأن نرفضه تمامًا ، لولا أن ساءت الأمور بسرعة مدهشة ، لتضعنا أمام تطبيق علمى عملى لنظريته على نحو عنيف وواضح ، وبثمن باهظ للغاية .

قالت (سلوى) متوترة :

ـ ولكن أية قوة تلك التى سيكتسبها الرجل ، بعد أن التهم طاقة المفاعل النووى بأكملها ؟! لقد اكتسب قوى رهيبة ، لمجرَّد امتصاص طاقة وحدة العلاج النووى وحدها !! يا إلهى ! أكاد أرتجف من مجرَّد التفكير فى هذا .. لقد أدت عملياته الأولى إلى نتائج رهيبة .. (القاهرة) الجديدة كلها توقَّفت عن العمل ، بعد انقطاع الطاقة ، ولولا استخدام المولدات اليدوية القديمة ، لغرقنا جميعًا فى ظلام دامس ، ولتوقَّفت كل الأجهزة الآلية عن العمل .

غمغم (أكرم) ساخطًا :

ـ والمشكلة أننا نعتمد في حياتنا كلها على تلك الأجهزة الإليكترونية اللعينة طوال الوقت .

أجابته (نشوى) في عصبية :

ـ إنها سمة العصر يا (أكرم) ، ولسنا وحدنا من يفعل هذا .

قال في حدة :

ـ إذن فأنت تعتقدين أن ...

قاطعه (نور) في صرامة :

ـ كفى يا (أكرم) .. كفى يا رفاق .. أعلم أن الموقف متوتر للغاية ، ولكن هذا لا يعني أن نفرغ توتراتنا في بعضنا ، دعونا ندخر كل طاقتنا للتصدي لذلك العدو الخارق ، الذي يواجهه وطننا ، بل وربما يواجهه العالم أجمع .

ران على الحجرة صمت مشوب بالخجل ، قبل أن يغمغم (أكرم) في حزم :

ـ إنني أعتذر ، وأعترف أن أوتار أعصابي كلها مشدودة للغاية ، بعد مواجهتي لذلك الوغد في المستشفى .

أجابه (نور) بلهجة قوية :

ـ لا بأس يا (أكرم) .. كلنا نعاني هذا التوتر الزائد ، فالأمر باغتنا ونحن في أمس الحاجة للراحة والاسترخاء ، ولم نكن نتوقع أن نجتمع هنا الآن ، قبل مرور فترة قصيرة من انتهاء مهمتنا العنيفة السابقة ، لنواجه خصمًا جديدًا خارقًا ، وأنا أعلم أن الأمر ليس سهلاً أو هينًا ، فالكل مرهق ، وأنت و(رمزي) أصررتما على مغادرة المستشفى ، والانضمام إلينا ، على الرغم من أنكما لم تتجاوزا فترة النقاهة بعد ، وهذا يعني أن المواجهة ستصبح أكثر صعوبة ، و ...

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في صرامة :

ـ وخطورة .

عاد الصمت يغلف الحجرة بضع لحظات ، قبل أن يقول (رمزي) :

ـ هناك مشكلة أكثر أهمية يا (نور) .

التفت إليه الجميع في تساؤل ، فتابع :

ـ أين ومتى ستأتي المواجهة ؟!

سألته (سلوى) في سرعة :

ـ ماذا تعني ؟!

سعل مرة أخرى ، قبل أن يجيبها فى اهتمام :
ـ أعنى أنه فى المرة السابقة ، كان من الطبيعى أن يستنتج (نور) هدف الضربة التالية ؛ لأننا كنا نعلم أن الشاب ما زال بحاجة إلى مزيد من الطاقة ، لشحن خلاياه ، ولكننا فى هذه المرة نجهل هدفه القادم ؛ لأننا ـ وبكل بساطة ـ نجهل ما يسعى إليه فى النهاية .

قال (أكرم) فى حدة :
ـ نجهل ما يسعى إليه ؟! أهذا أمر مبهم يا رجل .. إنه يسعى للقوة .. القوة المطلقة .

بادره (رمزى) فى سرعة :
ـ لماذا ؟!

حدق (أكرم) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يجيب فى عصبية :
ـ لماذا ماذا ؟!

أجابه (رمزى) بنفس السرعة :
ـ لماذا يسعى لاكتساب كل تلك القوى الخرافية ؟! فالقوة ليست هدفًا فى حد ذاتها ، ولكنها وسيلة لبلوغ هدف آخر ، فالدول تكتسب القوة لحماية نفسها ، أو

لقتال عدوّها ، أو حتى لاستعمار دول أخرى ، وفرض سيطرتها وإرادتها عليها ، والمؤسسات تمتلك القوة لحماية مصالحها ، والتفوّق على منافسيها ، وربما للسعى خلف أسرار بعض المؤسسات الأخرى .. والأفراد لا يختلفون كثيرًا فى هذا الشأن ، فعندما يسعى شاب مثل (غبريال) هذا ، للحصول على طاقة نووية خرافية ، فهو لا يفعل هذا حبًا فى القوة وحدها ، وإنما ليبلغ بها هدفًا آخر .. الثراء ، أو السطوة ، أو السيطرة .

تمتمت (نشوى) فى توتر :
ـ أتعشّم ألا يكون مجنونًا آخر ، يحلم بالسيطرة على العالم أجمع كسابقيه .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :
ـ مع قوة رهيبة كهذه ، لن أستبعد احتمالاً كهذا .

قالها ، فران على المكان صمت مهيب ، والجميع يتبادلون نظرات الحيرة والتوتّر ، حتى قال (أكرم) فى عصبية ، وبلهجة غاضبة مستنكرة :
ـ هل تعنون إذن أنه ليس أمامنا سوى الجلوس ساكنين ، فى انتظار ضربته القادمة ، حتى يمكننا تحديد هدفه ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ كلا بالطبع .. إننى أرفض هذا السكون ، مهما كانت الصعوبات والعقبات .

ثم شدّ قامته ، مستطردًا :

ـ (نشوى) .. سأعهد إليك بالمهمة المعتادة .. اقتحمى شبكة الكمبيوتر ، واسعى خلف (غبريال) هذا ، واحصلى على كل المعلومات الخاصة به : تاريخه .. خبراته .. مؤهلاته .. حياته .. وحتى الأنواع التى يفضلها من المأكولات والمشروبات .. وبالذات ملفه النفسى ، الذى ستعهدى به إلى (رمزى) ؛ ليعكف على دراسته ، ويحدّد لنا طبيعة الخصم الذى نواجهه ، وما يمكن أن يفعله فى خطواته التالية .

قال (رمزى) :

ـ هذا لو أنه سيظلّ محتفظًا بطبيعته السابقة .

التفت إليه الجميع فى قلق ، وقالت (سلوى) متوترة :

ـ هل تعتقد أنه سيتغيّر ؟!

أشار بيده قائلاً :

ـ لست أعتقد فحسب ، بل أكاد أكون واثقًا من هذا .. الشاب لم يعد كما كان يا رفاق .. لقد تبدّلت خلاياه ، ولم تعد كسابق عهدها .. لقد تم شحنها بطاقة نووية هائلة ، وهذا لن يقتصر حتمًا على جسده وحده ، وإنما على خلايا مخه ، وسوائله الحيوية أيضًا ، ومن الطبيعى ـ والحال هكذا ـ أن يختلف تفكيره عن ذى قبل ، وأن تختلف سماته النفسية أيضًا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنه سيصبح أحدّ ذكاءً ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، وهو يدير عينيه فى وجوههم ، قبل أن يجيب فى حزم بالغ :

ـ أو أكثر جنونًا .

هوى عليهم الجواب كالصاعقة ، وراحوا يتبادلون نظرات شديدة التوتر ، قبل أن يحسم (نور) الأمر ، قائلاً :

ـ فليكن .. أكثر ذكاءً أو أكثر جنونًا .. سنواجهه فى كل الأحوال .

استلّ (أكرم) مسدسه ، ولوّح به ، هاتفًا :

ـ مرحى يا رفاق .. هذه هى الروح التى أحبّذها .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- لست أعتقد أن مسدسك يفيد هذه المرة يا (أكرم) .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وانعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

- ذلك الوغد يحيط نفسه بطاقة رهيبة .. أذابت رصاصات مسدسى ، قبل أن تبلغ جسده ، فى حجرة الطاقة بالمستشفى .. مازلت أذكر تلك الدهشة ، التى غمرت خبير الأدلة الجنائية ، عندما عثر على رصاصة ذائبة ، على أرضية الحجرة .. ذلك فقط جعله يصدِّق قصتى .

تمتمت (نشوى) :

- ربَّاه ! ما الذى سيمكنه فعله إذن ، بعد أن اكتسب تلك الطاقة الهائلة الإضافية .

أجابها (نور) فى حزم :

- من المؤكد أن أوراق الدكتور (فؤاد) رحمه الله ، ستمنحنا الكثير من الأجوبة ، فى هذا الشأن .

ثم انعقد حاجباه ، مستطردًا فى اقتضاب :

- ولكن ..

التفتت إليه العيون كلها ، وسأله (رمزى) ، وهو يميل إلى الأمام فى قلق :

- ولكن ماذا يا (نور) ؟!

صمت (نور) لحظة ، وكأنما تحمل أعماقه جوابًا خطيرًا للسؤال ، ثم أجاب فى حزم صارم قوى :

- ولكننا بحاجة إلى خبير طاقة فى الفريق .

خفقت قلوبهم فى قوة مع كلماته ، وقفزت بهم ذاكرتهم ، فى آن واحد ، إلى شخص ما زالوا يفتقدون وجوده بشدة ..

إلى (محمود) ..

(محمود) رفيقهم السابق ، وخبير الطاقة والأشعة فى الفريق ، والذى بذل حياته مرتين من أجلهم ..

مرة فى نهر الزمن(*) ..

وأخرى على كوكب الطغاة(**) ..

ودون أن تدرى (سلوى) ، انهمرت الدموع من عينيها لتغمر وجهها ، فى حين أخفت (نشوى) وجهها بكفيها ، وراحت تنتحب دون بكاء ، وعضَّ (رمزى) شفته السفلى فى مرارة ، و(أكرم) يغمغم :

- يا إلهى !

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .
(**) راجع قصة (كوكب الطغاة) .. المغامرة رقم (١١١) .

قاوم (نور) بشدة تلك الغصة فى حلقه ، وتجلَّد بعزيمة فولاذية ، وهو يقول فى صرامة :

- الواجب فوق كل شىء يا رفاق .. إننا نحتاج إلى من يحلَّ محلَّ (محمود) ، مهما سبب لنا هذا من ألم ومرارة .. الواجب فوق كل شىء .

ثم أشاح بوجهه ؛ ليخفى انفعاله ، وهو يضيف بمنتهى الحزم :

- وتذكروا أننا نواجه هذه المرة خصمًا لا قبل لنا به .. خصمًا نجهل حتى أين نجده ، وما الذى يسعى إليه فى النهاية .. خصمًا خارقًا .. خارقًا للغاية .

وترددت كلماته فى جو الحجرة ، لتخفق معها قلوبهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

هبط الظلام بسرعة ، على تلك المنطقة ، عند هضبة المقطم القديمة ، التى خلت تمامًا من أى أثر للحياة ، وتناثرت فيها أطلال فيلات قديمة ، كانت تحتلَّ يومًا أفضل مواقع (القاهرة) القديمة ، قبل

انهيار عام ألفين وثلاثة ، الذى أخليت بعده المنطقة تمامًا ..

ووسط الأطلال والظلام ، بدا ظل شخص يتحرك فى خفة مدهشة ، وسط الأحجار المتناثرة ، وكأنما يطير فوقها ، ولا يمسها بقدميه ، حتى بلغ فيلا قديمة ، بدت أكثر تماسكًا مما حولها ، فتجاهل بابها القديم ، ودار حولها ، ثم توقف أمام الجدار الخلفى ، وضغط أحد أحجاره فى قوة ، فدار جزء من الجدار حول نفسه ، كاشفًا صالة صغيرة ، دلف إليها الشاب بسرعة ، وانتظر حتى أغلقَ الجدار خلفه ثم شدَّ قامته ، وتألقت عيناه ..

تألقتا بحق ، وليس تعبيرًا مجازيًا ..

لقد انبعث منها بريق قوى ، أضاء المكان كله ، وكشف وجه (غبريال) ، وابتسامته الظافرة المزهوة ، وهو يرفع قبضته ، هاتفًا :

- القوة .. أخيرًا أصبحت أمتلك القوة .

نطقها بلهجة أقرب إلى الجنون ، ثم أطلق بعدها ضحكة عالية مجلجلة ، كادت ترجَّ المكان كله ، قبل أن يضىء الأنوار ، ويتطلع إلى ما أمامه فى فخر ..

كان يقف وسط مختبر صغير ، من الواضح أنه قد نجح فى تكوينه بنفسه ، عبْر سنوات طوال ، ونقل إليه ، بوسيلة ما ، بعض الأجهزة الحديثة ، لقياس طاقة الخلايا وتطوّراتها ..

وفى حزم ، اتجه (غبريال) إلى صورة كبيرة معلقة على الجدار ، لرجل فى أواخر الأربعينات من عمره ، ووقف أمامها فى شجن واحترام بالغين ، وارتجفت شفتاه ، وهو يتمتم ، وكأنه يتحدّث إليها :

- قرّ عينًا .. لقد حانت لحظة الانتقام .. الآن لدى القوة لسحق الجميع .. الكل سيدفعون الثمن .. وبلا رحمة .

توقّف بضع لحظات أخرى أمام الصورة ، ثم استدار بحركة حادة ، ولوّح بقبضته ، صائحًا :

- سيدفعون الثمن .

دوت فى المكان فرقعة قوية ، وتألّقت قبضته فى شدة ، ثم انطلقت منها كرة من النيران ، شقّت هواء الحجرة بصوت أقرب إلى الفحيح ، وارتطمت بالجدار ، وانفجرت عليه بدوى مكتوم ، مخلفة فجوة كبيرة ، تطلّع إليها (غبريال) بنظرة متوترة ، وغمغم فى عصبية :

- ينبغى أن أتعلّم التحكّم فى قواى الجديدة هذه ، وإلا تسبّبْتَ فى تدمير نفسى يومًا ، أو ...

صمت بغتة ، وبدا عليه توتر بالغ ، جعله يتمتم :

- اللعنة ! ترُى هل ..

لم يتمّ عبارته ، وإنما اتجه مباشرة نحو أجهزة الفحص ، وجلس على المقعد المقابل لها ، وراح يوصل جسده ببعض الأسلاك ، ويضغط أزرار الكمبيوتر الملحق بالأجهزة ، ثم راقب فى اهتمام بالغ تلك النتائج ، التى تراصت أمامه على الشاشة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتابع الأرقام والكلمات ، ثم لم يلبث أن انتزع الأسلاك فى عنف ، هاتفًا :

- اللعنة ! اللعنة !

ونهض من المقعد فى عصبية ، وراح يدور فى المكان فى توتر بالغ ، قبل أن يتوقّف مرة أخرى أمام الصورة ، ويقول :

- رد فعل غير متوقّع على الإطلاق .. ذلك الغبى (فؤاد) لم يكمل أبحاثه كما ينبغى .. لم يكن من حقه أن يتعجّل إعلان بحثه .. لقد أفسد كل شىء .. كل شىء ..

كانت الجدران ترتجّ مع صيحاته الغاضبة ، فأطبق شفتيه فى حنق ، وتألّقت عيناه ببريق مخيف ، انعكس على الجدران والأجهزة ، وهو يتابع فى سخط :

ـ لا ينبغى أن أضيع لحظة واحدة إذن .. كل شىء لا بد أن يتمّ بسرعة ..

وصمت لحظة ، انعقد خلالها حاجباه فى شدة ، ثم أضاف :

ـ سنختصر الخطوات .. الراحة تبلغ الحد الأدنى ، والسرعة تبلغ الحد الأقصى .. لا بد أن ينتهى كل شىء بأقصى سرعة .. لا بد .

وألقى نظرة أخرى على الصورة ، ثم دار على عقبيه ، واتجه نحو الجدار المتحرك ، وضغط زرًا مجاورًا له ، فدار الجدار حول نفسه ، وغادر هو المكان ، وانطلق عائدًا إلى (القاهرة) الجديدة ..

وإلى هدف جديد ..

* * *

« مستحيل !.. »

نطق (رمزى) الكلمة بغتة فى حزم ، جعل رفاقه كلهم يلتفتون إليه متسائلين ، فلوّح بالملف الذى يمسك به ، مكملا :

ـ لا يمكن أن يكون هذا هو الملف النفسى

ـ (غبريال) .. مستحيل تمامًا !

قالت (نشوى) فى حيرة :

ـ ولكننى استخرجته من ملفات الكمبيوتر الخاصة به بالفعل .

أجابها (رمزى) فى حزم أكثر :

ـ مستحيل ! هذا الملف لشاب سوى وديع ، يمكن أن تنتابه ثورة غضب ذات مرة ، فيركل كلبًا ضالاً فى الطريق ، ولكن من المستحيل أن يخطِّط لسرقة مديره ، والسعى لامتلاك قوة خارقة ، مطيحًا فى سبيل هذا بأرواح العشرات ، دون أن يطرف له جفن .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

ـ ربما سئم الطيبة والوداعة ، وقرّر أن ينتهج بحياته نهجًا جديدًا ، انتقامًا ممن أساءوا استغلال سماته الجيّدة مثلاً .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس هذا الطراز .. الشخص الذى طالعت ملفه الآن ، يميل إلى الالتزام بالنظم والقواعد ، ويكره

الفوضى وعدم الالتزام ، وليس لديه أدنى ميل للتخريب أو التدمير ، أما الشاب الذى سرق عقار الدكتور (فؤاد) ، واستغله ليصنع كل هذا ، فهو من طراز مخالف تمامًا .. طراز نشأ وأعماقه تصطلى بمقت ونقمة ، التهما مشاعره على مر السنين ، وولدا فى كيانه رغبة عنيفة فى التفوق والسيطرة ، وهذه الرغبة هى دافعه الأول للحصول على القوة ، و ...

« ما الذى يعنيه هذا يا (رمزى) ؟! »

ألقى (نور) سؤاله بغتة ، قبل أن يتمّ (رمزى) حديثه ، فاستدار إليه هذا الأخير ، قائلاً :

ـ ما الذى تقصده بسؤالك بالضبط يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى عصبية :

ـ إنك تؤكد أن الملف النفسى لا يمكن أن ينطبق على خصمنا ، فما الذى يعنيه من وجهة نظرك ، كخبير فى الطب النفسى .

تنهد (رمزى) ، مجيبًا :

ـ احتمالان لا ثالث لهما يا (نور) .. إما أن هذا التقرير النفسى زائف ، وأنه لا يخص الشخص الذى نحن بصدده ، أو ...

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ أو أن ذلك الشخص ليس (غبريال) الحقيقى .

تبادل الجميع نظرات متوترة ، وقالت (نشوى) :

ـ ولكن رئيس الوحدة الطبية تعرف صورة (غبريال) ، التى حصلنا عليها فى ملفه .

أجابها (رمزى) فى حزم :

ـ التقرير زائف إذن .

اندفعت (نشوى) تقول بغتة :

ـ أو ربما ...

لم تتم عبارتها ، مما دفع والدها إلى سؤالها فى عصبية :

ـ ربما ماذا ؟!

صمتت لحظة ، شرد خلالها بصرها ، ثم التفتت إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة فى حزم :

ـ معذرة يا أبى .. أريد التأكد من نظريتى أولاً .. قبل الإفصاح عنها .

قالتها ، وراحت أصابعها تتعامل مع الكمبيوتر فى سرعة واهتمام ، فهتف (نور) فى حدة :

ـ أى أسلوب هذا ؟!

أجابته (سلوى) فى سرعة :

ـ أسلوبك يا (نور) .

التفت إليها بحركة حادة ، ولكنها ابتسمت فى حنان ، مكملة :

ـ من شابه أباه فما ظلم .

احتقن وجه (نور) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وانطلقت من حلق (أكرم) ضحكة مجلجلة ، فى حين ابتسم (رمزى) فى هدوء وقور ، وتطلع إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ صدقت يا (سلوى) .. نفس أسلوب (نور) التقليدى .. يرفض الإفصاح عما يدور فى ذهنه ، حتى يمتلك الخيوط كلها بين يديه .

قهقه (أكرم) ضاحكًا مرة أخرى ، وربت على كتف (نور) فى قوة ، قائلاً :

ـ هل يضايقك هذا ؟! لو أننى فى موضعك لما وسعتنى الأرض ، من فرط سعادتى وفخرى يا رجل ، ولما ....

« معذرة أيها السادة .. »

ترددت العبارة بغتة فى الحجرة ، بصوت هادئ

وديع ، فالتقى حاجبا (أكرم) بشدة ، وأحنقه أنه يقطع شخص ما حديثه ، والتفت مع الجميع إلى باب الحجرة ، حيث أتى الصوت ، ووقعت أبصارهم على شاب ممشوق القوام ، وسيم الملامح ، له شعر كستنائى كثيف ، وعينان عسليتا اللون ، يضع فوقهما منظارًا طبيًا أنيقًا ، ويتابع حديثه بنفس الهدوء ، قائلاً :

ـ هذه حجرة الفريق .. أليس كذلك ؟!

سأله (أكرم) فى غلظة :

ـ من أنت ؟! ومن سمح لك بالدخول إلى هنا ؟!

انفرجت شفتا الشاب ليجيب سؤال (أكرم) ، إلا أن (نور) سبقه إلى هذا ، وهو يقول فى حزم :

ـ دعونى أقدم لكم (طارق) .. أحدث أعضاء الفريق .

هتف (أكرم) مستنكرًا ، وهو يرمق الشاب الوسيم بنظرة استهجان :

ـ أحدث أعضاء الفريق ؟! فريقنا ؟!

تجاهل (نور) العبارة ، وتابع بسرعة :

ـ (طارق) خبير فى الأشعة والطاقة بكل أنواعهما .

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

ـ هذا ؟!

أما (سلوى) ، فقد غمغمت فى أسى :

ـ أتعنى أنه سيحلّ محلّ (محمود) .

أدار (طارق) عينيه فى وجوههم فى صمت ، ثم عدّل وضع منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أشكركم على حسن استقبالكم يا رفاق ، والآن دعونا نبدأ العمل على الفور ، فلقد أخبرونى أن الأمر بالغ الخطورة والحساسية ، وحذرونى من إضاعة لحظة واحدة فيما لا يفيد ..

ثم اتجه إلى مائدة الاجتماعات ، ووضع فوقها حقيبته ، وفتحها ليبرز داخلها جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به ، وراح يعالج أزراره بضربات سريعة ، متابعًا :

ـ لقد درست الموقف كله ، وأنا فى طريقى إلى هنا ، وقمت بحساب كمية الطاقة ، التى امتصّها جسد ذلك الشاب ، وراجعت الآثار التى تركها فى منطقتى هجومه ، ولقد أدهشتنى النتائج للغاية ، وبدت لى

مستحيلة تمامًا من الناحية العلمية .

تمتم (أكرم) فى سخرية :

ـ يا للعبقرية !

تجاهل (طارق) التعليق تمامًا ، وهو يواصل ، قائلاً :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد قارنت النتائج على جهاز الكمبيوتر ، بما ورد فى أبحاث الدكتور (فؤاد) ، وتوصلت إلى الآتى .

قالها ، والتفت يواجه الجميع ، مضيفًا :

ـ أولاً : لقد حصل الشاب على أقصى قدر من الطاقة النووية ، يمكن لخلاياه احتماله ، وهذا يعنى أنه لن يسعى للحصول على المزيد من الطاقة ، ويعنى أيضًا أنه يمكننا استبعاد مصادر الطاقة النووية كهدف قادم له .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وثانيًا ؟!

أجابه فى سرعة وثقة :

ـ ما اكتسبه من طاقة يمنحه بالفعل قدرات خارقة للغاية ، وأهمها أنه قادر على إحاطة جسده بأغلفة

مختلفة من الطاقة ، يمنحه كل منها قوة خارقة ، ذات طابع خاص ، فمن الممكن أن يحيط نفسه بغلاف من الضوء الساطع ، يبهر خصومه ، ويغشى أعينهم ، ويفقدهم القدرة على التصويب والتركيز ، أو بغلاف من الطاقة الصافية ، أشبه بدرع واقية من الرصاصات والقنابل ، وحتى الصواريخ الموجَّهة ، كما أن بإمكانه أيضًا إحاطة جسده بغلاف كهرومغنطيسى ، يفسد عمل أجهزة الرادار ، والكشف الحرارى ، والتتبُّع الصوتى ، ويمنحه فى الوقت ذاته قدرة مدهشة على إخفاء جسده تمامًا عن الأعين ، وفى الوقت ذاته ، يمكنه أن يطلق الطاقة المختزنة فى جسده ، فى شكل كرات من النار ، أو صواعق كهربية ، قادرة على نسف أعدائه ، وسحق دروعهم سحقًا .. باختصار أيها السادة .. إننا أمام سلاح بشرى جديد ، يفوق بقدراته أقصى ما بلغه خيال الإنسان ، فى روايات الخيال العلمى القديمة .

ران على الحجرة صمت مهيب ، بعد أن انتهى (طارق) مما لديه ، وارتسم الوجوم على وجوه الجميع ، فيما عدا (أكرم) ، الذى قطع الصمت بغتة ،

وهو يصفِّق فى بطء ، قائلاً :

ـ عظيم .. العضو الجديد بالفريق أثبت تفوّقه وبراعته منذ اللحظة الأولى ، ونجح فى التأثير على الأعضاء القدامى بمهارة .. تهنئاتى أيها الساحر العظيم .. والآن ماذا تحمل فى جعبتك أيضًا ؟! العصا السحرية ، وجراب (هوكس بوكس) ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ اصمت يا (أكرم) .

لوَّح (أكرم) بذراعه ، قائلاً فى عصبية :

ـ بالطبع .. وهل يمكن أن يتحدَّث أحد ، بعد أن توصَّل العبقرى الجديد للحقائق كلها .

أجابه (طارق) فى هدوء شديد :

ـ ليس الحقائق كلها يا سيِّد (أكرم) .. لقد شرحت قدرات الخصم فحسب ، ولكننى لم أتوصَّل بعد إلى ما يهدف إليه بقوته ، ولا إلى وسيلة السيطرة على تلك القوة ومواجهتها ، وهذا يستلزم جهدًا وعملاً متواصلاً .

رفع (أكرم) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، قائلاً :

ـ حقًا ؟! يا إلهى ! كنت أتصور أن ...

قاطعه (نور) فى صرامة غاضبة هذه المرة :

ـ كفى يا (أكرم) .

ثم واجه الجميع ، مضيفًا :

ـ (طارق) عضو جديد بالفريق ، ولقد تم اختياره من بين عشرات الخبراء فى مضماره ، بوساطة بحث علمى دقيق ، وهو هنا ليؤدّى مهمته ، وليتعاون معنا جميعًا على التصدّى للعدو الذى نواجهه ، وسيسير العمل هنا ـ كما اعتدنا ـ بروح الفريق .. هل تفهمون جميعًا .. روح الفريق .

صمت الجميع دون تعليق ، فى حين أشاح (أكرم) بوجهه فى توتّر ، وظلّ (طارق) على هدوئه ، يراقب الجميع بنظرة متفحّصة ، يشع منها ذكاء واضح ، و ...

وفجأة ، انطلق أزيز هاتف الفيديو الخاص ..

انطلق ليقطع حالة الوجوم والصمت ، وليثب (نور) نحوه فى خفة ، ويضغط زره ، قائلاً فى لهفة :

ـ من المتحدّث ؟!

ظهر وجه الدكتور (ناظم) على شاشة الهاتف ، والتوتّر يطلّ من كل خلجة من خلجاته ، وقال :

ـ (نور) .. لقد ضرب النووى ضربته الجديدة .

شهقت (سلوى) فى قوة ، وانعقد حاجبا (أكرم) ، وبدا الاهتمام الشديد على وجوه (رمزى) و(سلوى) و(طارق) ، فى حين سأل (نور) فى عصبية :

ـ أين ؟!

ازدرد الدكتور (ناظم) لعابه فى صعوبة ، قائلاً :

ـ سأخبرك يا (نور) .

وعندما أخبره بالهدف الأخير ، تفجّرت فى المكان كله دهشة بالغة .

دهشة بلا حدود .

* * *

٥ - لماذا ؟!

الخميس : العاشر من مايو .. العاشرة والربع مساءً .

شقت (مشيرة) طريقها في صعوبة ، مع فريق التصوير الهولوجرافي الخاص ، نحو فيلا النائب العام السابق ، في ذلك الحي الراقي ، من (القاهرة) الجديدة ، وتعلقت عيناها بسحب الدخان المتصاعدة من الفيلا ، وهي تهتف في قوة :

- أفسحوا الطريق .. شبكة (أنباء الفيديو) .. أفسحوا الطريق .

اعترضها أحد رجال الأمن ، قائلاً في صرامة :

- توقفي يا سيدة (مشيرة) .. هناك أوامر بعدم الإعلان عن الأمر ، في الوقت الحالي .

صاحت غاضبة :

- عدم الإعلان عنه ؟! أي قول هذا يا رجل ؟! لقد اقتحم أحدهم فيلا النائب العام السابق ، وقتل طاقم

حراسته بأكمله ، قبل أن يقتال الرجل في وحشية ، وبضجة أيقظت الحي كله ، وبلغت مسامع ربع سكان (القاهرة) الجديدة على الأقل ، فكيف يمكن إخفاء أمر كهذا ؟!

أجابها رجل الأمن في صرامة :

- عودي إلى منزلك يا سيدتي .. الأوامر هي الأوامر .

انعقد حاجباها في شدة ، وهي تهتف :

- فلتذهب الأوامر إلى الجحيم .. لا بد أن يعرف الشعب الحقائق كلها ..

ثم التفتت إلى فريق التصوير ، مستطردة بلهجة آمرة :

- ابدأ التصوير .. البث على الهواء مباشرة .

هتف رجل الأمن في غضب :

- سيدتي .. إنك تخالفين أوامر عسكرية مشددة .

تجاهلته (مشيرة) تمامًا ، وهي تواجه عدسات التصوير ، قائلة :

- سيداتي سادتي .. معكم ، على الهواء مباشرة (مشيرة محفوظ).. من جريدة أنباء الفيديو الهولوجرافية .. أتحدث إليكم من موقع الأحداث ،

وترون خلفى سحب الدخان ، المتصاعدة من فيلا النائب العام السابق ، الذى تم اغتياله فى ظروف غامضة ، على الرغم من !.

اندفع رجل الأمن نحوها ، وأزاح آلة التصوير فى خشونة ، هاتفًا :

ـ سيدتى .. سأضطر لاتخاذ إجراء لن يروق لك أبدًا .. أوقفى البث ، وعودى إلى منزلك أو جريدتك .. الأوامر صارمة حاسمة فى هذا الشأن .

تشبثت (مشيرة) بموقعها فى عناد ، وصاحت :

ـ هل ترون أيها السادة ؟! إنهم يحاولون منعنا من نقل الحقيقة إليكم ! وهذا يجعلنا نتساءل : ما الذى يخفونه ؟ أية قوة تلك التى فعلت كل هذا ؟!

التقى حاجبا رجل الأمن فى غضب هادر ، وهتف ، وهو ينتزع مسدسه الليزرى ، ويصوبه إلى آلة التصوير :

ـ سيدتى .. لقد اضطررتنى لهذا .

قفزت (مشيرة) تحول بينه وبين آلة التصوير ، هاتفة :

ـ على جثتى .. إياك أن تخدش الآلة ، وإلا ...

وهتف ، وهو ينتزع مسدسه الليزرى ، ويصوبه إلى آلة التصوير :
ـ سيدتى .. لقد اضطررتنى لهذا ..

قاطعها المصورُ فجأة فى ارتباك :

ـ سيّدة (مشيرة) .. لقد توقّف البث .

استدارت إليه بغضب ارتجّ له كيانها كله ، وهى تهتف :

ـ ماذا تقول ؟! سأخصم شهرًا كاملاً من راتبك ، لو أن ...

قاطعها صوت (نور) هذه المرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه ليس المسئول يا (مشيرة) .. نحن فعلنا هذا .

اتسعت عيناها فى دهشة وغضب ، وهى تحدّق فى وجه (نور) ، الذى تابع بنفس الصرامة :

ـ (سلوى) تجلس فى سيّارتى ، مستخدمة جهازها الخاص باعتراض البث الهولوفيزيونى وتشتيته .

ثم التقى حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

ـ الموقف جد خطير يا (مشيرة) ، ولسنا نحبذ إثارة فزع الجماهير ، فى هذه المرحلة بالذات .

صاحت به غاضبة :

ـ لقد أثير فزعهم بالفعل ، وكل ما يحتاجون إليه هو معرفة الحقيقة .

أجابها فى غضب :

ـ أحيانًا تكون الحقيقة هى ما يتمنى المرء ألا يعرفه أبدًا .

صاحت فى حدة :

ـ من وجهة نظركم فحسب .. الحقيقة هى الحقيقة ، ومن حق الجميع معرفتها ، مهما كانت مخيفة أو مفزعة .

أجابها فى حنق :

ـ سيعرفونها فى الوقت المناسب ، أما الآن فليست لدينا دقيقة واحدة نضيعها هنا .. هيا ارحلوا .. فلن يمكنكم الحصول على أية معلومات الآن .

عقدت ساعديها أمام صدرها فى عناد ، قائلة :

ـ لن أتحرك من هنا .

زفر (نور) فى ضجر ، وأشار إلى رجال الأمن ، قائلاً فى صرامة آمرة :

ـ أخرجوهم من هنا .

هتف رجل الأمن فى حماس :

ـ أوامرك يا سيدى .

صاحت (مشيرة) فى غضب ، ورجال الأمن يدفعونها مع رجالها بعيدًا :

ـ هذا ليس عدلاً .. من حق الشعب معرفة الحقائق .. من حقه أن ..

قاطعها صوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ رويدك يا أميرتى .. الأمر لا يستحق كل هذا .

اتسعت عيناها فى دهشة غاضبة ، وهى تحدّق فيه ، وفى (طارق) الذى يسير إلى جوارها ، قبل أن تصرخ :

ـ (أكرم) .. أنت مشترك فى هذا .. أراهن على أنك صاحب الفكرة .. دعهم يسمحون لى بالبقاء .. (أكرم) ..

أسرع (أكرم) الخطى مبتعدًا ، وهو يلوّح لها بأصابعه ، قائلاً :

ـ إلى اللقاء يا أميرتى .. سنلتقى فى المنزل .. لا تنسَ إطفاء الهولوفيزيون قبل نومك .. إلى اللقاء .

صرخت باسمه فى غضب ، ولكنه زاد من سرعته ، حتى اختفى بين رجال الأمن ، و (طارق) يكاد يعدو خلفه ، متسائلاً :

ـ من هذه ؟!

أجابه (أكرم) فى خشونة :

ـ لا تقلق نفسك بشأنها .. إنها زوجتى .

ارتفع حاجبا (طارق) فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ زوجتك ؟! عجبًا ! وما الذى أتى بها هنا .

أجابه (أكرم) ساخرًا :

ـ لتحضر لى طعام الغداء .

هتف (طارق) فى دهشة حقيقية :

ـ طعام الغداء .

صاح به (أكرم) فى حدة :

ـ ماذا دهاك يا رجل ؟! ألم تتعرّف زوجتى ؟! إنها (مشيرة محفوظ) ، الصحفية اللامعة ، ورئيسة تحرير أنباء الفيديو ، وهى هنا لتغطية الحادث إعلاميًا .. أيكفيك هذا الجواب أيها العبقرى ؟!

تطلّع إليه (طارق) لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

عضّ (أكرم) شفته السفلى فى غيظ ، وقد استفزّه هذا الهدوء الشديد ، الذى يميّز عضو الفريق الجديد ، وراح يفرغ حنقه عبْر صوته ، وهو يشق طريقه بين رجال الأمن ، قائلاً فى حدة :

ـ أفسحوا الطريق .. مخابرات علمية .

كان كل رجال الأمن يفسحون لهما الطريق بسرعة ، مع الرمز الخاص على سترتيهما ، والذى يحمل شعار المخابرات العلمية ، حتى بلغا الفيلا ..

أو بمعنى أدق .. ما تبقى منها ..

كان من الواضح أن الشاب النووى قد اقتحمها بصاعقة قوية ، انتزعت بابها ، وهدمت جانبًا كاملاً من أسوارها وجدرانها ، قبل أن يطلق كراته النارية على حراسها ، ويسحقهم سحقًا ، ثم انقضّ على النائب العام السابق وزوجته ، وقتلهما بأبشع وسيلة ممكنة ..

كانت جثة الزوجة محترقة فى الردهة ، وفوقها جزء من الجدار المتهدّم ، فى حين كانت جثة النائب العام السابق ممزّقة شر تمزيق ، فى الطابق العلوى ، وقد تفحّمت أطرافها ..

وكان المكان يكتظ برجال الأدلة الجنائية ، والفحص الإشعاعى ، وبينهم الدكتور (محمد حجازى) ، الطبيب الشرعى الأوّل لجهاز المخابرات العلمية ، و(نور) ..

ودون أن يدرى ، وجد (أكرم) نفسه يهتف :

ـ يا للبشاعة !

التفت إليه الدكتور (حجازى) و (نور) لحظة فى دهشة ، فى حين ظلّت ملامح (طارق) هادئة رصينة كعادتها ، وهو يضع حقيبته فوق ما تبقّى من منضدة نصف محترقة ، ويبدأ عمله على جهاز الكمبيوتر داخلها فى سرعة واهتمام ، دون أن يلتفت إلى (نور) ، الذى قال لـ (أكرم) فى اهتمام :

ـ هل استجوبت الجيران ؟!

أجابه (أكرم) فى سرعة ، وهو يخفى امتعاضه :

ـ كلهم اتفقوا على الأقوال نفسها يا (نور) .. كل شىء كان يسير فى هدوء كالمعتاد ، ثم فجأة ، سمعوا انفجارًا عند الفيلا ، أعقبه صوت إطلاق مسدسات الليزر ، وتألّق ضوء ساطع فى المكان ، وعندما خرجوا لاستطلاع الأمر ، كان هناك انفجار آخر ، سقطت بعده الجدران الجنوبية للفيلا ، وخبا الضوء المبهر ، مخلفًا جثث طاقم الأمن ، محترقة ومتناثرة فى الحديقة ، وران الصمت لما يقرب من دقيقتين كاملتين ، وبعدها تألّق الضوء مرة أخرى ، فى الطابق الثانى ، وسمع الجميع صرخة ألم رهيبة ،

مِيَّزوا خلالها صوت النائب العام السابق ، قبل أن يسود صمت مخيف ، لم يقطعه سوى دوى أبواق سيارات رجال الشرطة ، عندما وصلت للموقع .

التقى حاجبا (نور) فى تفكير عميق ، وهو يغمغم :

ـ دقيقتان كاملتان ؟!

تطلَّع إليه (أكرم) فى دهشة ، ثم قال ، محاولاً إثارة اهتمامه :

ـ العجيب أن كل الجيران يؤكدون أن أحدًا لم يغادر الفيلا قط ، حتى وصولنا .

بدا له (نور) شاردًا ، وهو يكرِّر :

ـ لماذا قضى دقيقتين كاملتين ، قبل أن يقتل النائب العام السابق ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ (نور) .. هل انحصرت المشكلة كلها فى هاتين الدقيقتين ؟

خُيِّل إليه أن (نور) لم يسمع سؤاله ، وهو يضيف بنفس الشرود :

ـ ولماذا النائب العام السابق ؟!

زفر (أكرم) فى حنق ، وقال :

ـ حسن .. عندما تنتهى من تأملاتك ، يمكنك أن تستمع إلىّ .

حدَّق (نور) فى وجهه بشرود أكثر ، وكأنما غاب ذهنه كله فى لجة من التفكير العميق ، الذى قطعه الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ لم تكن عملية قتل فحسب .

انتزعت العبارة (نور) من شروده ، فالتفت إلى الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟!

نهض الدكتور (حجازى) ، وانتزع قفازه المطاطى الرقيق ، وهو يجيب :

ـ القاتل لم يمثِّل بالجثة بعد مصرع صاحبها ، وإنما مزَّق أطرافه وهو على قيد الحياة .

سرت قشعريرة فى جسد (أكرم) ، وهو يقول :

ـ يا للبشاعة !

أما (نور) ، فقد ازداد انعقاد حاجبيه ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، تاركًا الدكتور (حجازى) يتابع :

ـ يبدو أن المسكين قد اختبأ هنا ، أو حاول المقاومة ، مما أغضب قاتله ، الذى يتمتَّع بقوة

خرافية ، فانتزع أطرافه بمنتهى القسوة والوحشية ، عقابًا له .

هتف (أكرم) فى غضب ، وهو يلوّح بمسدسه :

ـ يا للوغد ! أقسم أن أمزّقه إربًا ، لو وقع فى يدى يومًا .

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) بنظرة مشفقة ، قائلاً :

ـ لو التقيتما يومًا ، فأقصى ما سيبلغه طموحك هو أن تخرج من المواجهة حيًا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وكأنما لم يرق له رأى الدكتور (حجازى) ، فى حين سأل (نور) فى اهتمام :

ـ هل توجد آثار مقاومة واضحة ؟! أقصد هل يمكنك أن تستنبط ما حدث هنا يا دكتور (حجازى) ؟!

« أنا يمكننى هذا » ..

نطق (طارق) العبارة بهدوئه المثير ، فاستدار إليه (أكرم) بحركة حادة ، وسأله (نور) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أشار (طارق) إلى شاشة جهازه ، مجيبًا :

ـ ستجد كل شىء هنا .

اتجه الثلاثة إليه فى اهتمام ، فتابع ، مشيرًا إلى بقعة حمراء واضحة على الشاشة :

ـ هذا الجهاز يتعقّب أثر الطاقة ، بعد أربعين دقيقة كاملة من وجودها ، وهذه البقعة الحمراء تمثّل لحظة ظهورها ، عند أسوار الفيلا ، وهذا يعنى أن خصمنا قد أحاط نفسه بمجال الاختفاء الكهرومغنطيسى ، حتى بلغ الفيلا .

اتسعت البقعة الحمراء على الشاشة بغتة ، حتى كادت تشملها كلها ، و (طارق) يواصل فى اهتمام :

ـ هنا أطلق كمية كبيرة من الطاقة ، نسفت الأسوار والبوّابة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى بطء :

ـ يبدو أنه لم يُحسن بعد التحكّم فى قوته ، أو أنه أراد إبهار وإرهاب الجميع ، فالطاقة التى أطلقها تفوق بكثير ما يكفى لهدم الأسوار .

لم يعلّق أحدهم بحرف واحد ، وهم يتابعون خيوطًا حمراء ، تناثرت على الشاشة فى مختلف الاتجاهات ، فى حين راحت البقعة الحمراء تتحرك فى سرعة ،

فقال (طارق) مشيرًا إليها :

ـ ها هى ذى مرحلة القتال .. الحراس يطلقون عليه مسدساتهم ، وهو يقذفهم بكراته النارية .

تألقت الشاشة مرة أخرى باللون الأحمر ، فهتف (أكرم) فى انفعال :

ـ هدم جدران الفيلا الجنوبية .

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط .. ثم صعد إلى هنا ، و ...

صمت بغتة ، فقال الدكتور (حجازى) فى حذر :

ـ وقاتل النائب العام .. أليس كذلك ؟

هزّ (طارق) رأسه نفيًا ، وتطلّع إلى الشاشة فى اهتمام بالغ ، قائلاً :

ـ كلاّ يا سيّدى .. لقد وقف هناك ، بالقرب من هذا الركن .. وقف ساكنًا لبعض الوقت .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل يمكنك تحديد ذلك الوقت ؟

تطلّع (طارق) إلى الركن المعنى لحظة ، ثم ضغط أزرار جهازه فى سرعة ، وتابع بقعة برتقالية باهتة ، تكوّنت فى مواجهة البقعة الحمراء المتألّقة ،

قبل أن يقول بهدوئه المثير :

ـ طوال الوقت تقريبًا أيها القائد .

سأله (نور) فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (طارق) :

ـ أعنى أنه لم يغادر مكانه ، طوال الدقيقتين اللتين مضتا ، ما بين اقتحامه الفيلا ، وقتله للنائب العام السابق ، وكان هذا الأخير يقف أمامه مباشرة طوال الوقت .

سأله (نور) فى توتر أكثر :

ـ دون مقاومة ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وقال مكررًا العبارة :

ـ دون مقاومة أيها القائد .. دون مقاومة .

كانت شاشة الجهاز تنقل ، فى تلك اللحظة ، مشهد البقعة الحمراء المتألّقة ، وهى تنقضّ على البقعة البرتقالية الباهتة ، وتمزّقها إربًا ، فتراجع (نور) ، قائلاً فى عصبية :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وكأنما ينفض

عنها المشهد البشع ، وهو يجيب :

ـ محاولة إبراز قوة يا (نور) .. لقد اكتسب طاقة هائلة ، ويسعى لإبراز ما يمكن أن يفعله بها .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ ولكن لماذا النائب العام السابق ؟! ولماذا استغرق دقيقتين كاملتين قبل أن يقتله ، على هذا النحو البشع .. لماذا ؟! لماذا ؟!

لم يحر أحدهم جوابًا ، فى حين راح التساؤل يتردَّد فى أعماقهم ، وكأنما لم تعد قلوبهم تنبض بسواه ..

لماذا ؟!

لماذا ؟!

* * *

« الانتقام » ..

انطلقت الكلمة من بين شفتى (نور) كالقنبلة ، فى حجرة اجتماعات الفريق ، فى مبنى المخابرات العلمية المصرية ، فدوت فى عقول الجميع فى عنف ، وجعلتهم يتجهون بأبصارهم ومشاعرهم نحو (نور) ، و(سلوى) تقول :

ـ الانتقام ؟! ممن ، ولماذا يا (نور) ؟!

كان (نور) يتحرك فى الحجرة فى توتر ملحوظ ، وهو يجيب :

ـ هذا هو التفسير المنطقى الوحيد .. فلو أن ذلك الشاب ينشد إبراز قوته الخارقة ، والتأثير فى رجال الأمن والشعب فحسب ، لما اختار النائب العام السابق هدفًا لضربته ، ولكان اتجه بها للنائب العام الحالى ، فهذا يصنع ضجة إعلامية أكبر ، وتأثيرًا أكثر عنفًا ، علمًا بأن الحراسة المحيطة بالرجلين على نفس القدر من القوة والكفاءة .. بل إن فيلا النائب العام الحالى لا تبعد أكثر من شارعين ، عن فيلا النائب العام السابق .

غمغم (أكرم) فى تردُّد :

ـ ربما ضلَّ طريقه .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (طارق) وعدَّل منظاره الطبى فوق أنفه ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أن هذا الاحتمال ليس واردًا على الإطلاق ، فى حالتنا هذه .

احتقن وجه (أكرم) ، وقال فى عصبية :

ـ لا بد من دراسة كل الاحتمالات .. أليس كذلك ؟!

تراقص شبح ابتسامة ساخرة ، على ركن شفتى (طارق) ، وهو يجيب بنفس الهدوء :

ـ آه .. بالتأكيد .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وتضاعف احتقان وجهه ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن اندفع (نور) ، قائلاً :

ـ وهناك أيضًا قضية الدقيقتين .

التفت إليه (أكرم) ، مفرغًا غضبه كله ، وهو يقول فى حدة :

ـ أما زلت تعتبر أن هاتين الدقيقتين هما سر القضية كلها ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد .. خصمنا النووى اعتاد التحرك بسرعة ، وتوجيه ضرباته على نحو خاطف ، ودون أن يبالى بأحد ، أو يتوقف لحظة واحدة للتقييم أو المراجعة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد ظلّ يحاصر النائب العام السابق فى ركن حجرته بالطابق الثانى ، لمدة دقيقتين كاملتين ، على الرغم من أن الرجل لم يُبد مقاومة تُذكر ، وبعدها مزّقه إربًا فى وحشية مخيفة ، لم

يتعرّض لها أى من ضحاياه فى السابق .

قال (رمزى) فى اهتمام :

ـ ومن أدرانا أن الرجل لم يكن يقاوم ؟! ربما كان يقف فى الركن ، مطلقًا رصاصات تقليدية نحو خصمه .. إنها لن تظهر على جهاز التعقب الحرارى للطاقة ، كما تفعل أشعة الليزر .

أجابه (نور) على الفور :

ـ النائب العام السابق لم يكن يمتلك أية مسدسات ، سواء ليزرية أو تقليدية ، ولم يكن فى الركن ما يشير مجرد إشارة إلى إطلاق رصاصات تقليدية ، كما أن أحدًا من الجيران لم يسمع دوى رصاصات .. أضف إلى هذا أن المقاومة لا تبرر قتله على هذا النحو البشع ؛ فلقد قاومناه (أكرم) وأنا فى المستشفى ، وأطلقنا عليه رصاصاتنا ، ولكنه لم يفعل شيئًا .

قال (طارق) :

ـ كان هذا قبل أن يكتمل شحن خلاياه بالطاقة النووية .

سأله (نور) :

ـ وما الفارق الذى يمكن أن يحدثه هذا فى رأيك ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى بالتحديد .. إننا نتحدث عن مخ

بشرى ، تغيَّر نمط خلاياه تمامًا ، وتحوّلت إلى مخزن لطاقة لم نعرفها فى تاريخها كله ، ولا أحد يدرى ما يمكن أن يؤدّى إليه هذا .. عبقرية مفرطة .. سرعة استجابة خرافية .. أو حتى جنون مطبق .. كل الاحتمالات واردة ، ولن يمكن تحديد أو استنباط ردود أفعاله الحالية ، إلا بعد دراسة تصرفاته وأساليبه .

قال (نور) فى حزم :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ، ولكنه لا يفسِّر أمر الدقيقتين .

سأله (رمزى) :

ـ ما تفسيرك لهما إذن يا (نور) ؟!

صمت (نور) لحظة ، شدّ خلالها قامته ، ثم أجاب بلهجة قوية واثقة :

ـ لقد استغرق النووى هاتين الدقيقتين ، ليتحدَّث مع النائب العام السابق ، قبل أن يقتله .

بدا مزيج من الدهشة والتساؤل على وجوه الجميع ، وانتقل بتلقائية إلى لسان (أكرم) ، الذى قال :

ـ يتحدّث معه ؟! أهذا معقول يا (نور) ؟

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ بل هذا هو المعقول الوحيد يا (أكرم) .. إنها فكرة الانتقام ، التى تحرك (غبريال) منذ البداية ،

والتى دفعته لسرقة عقار (السترونجالين) من الدكتور (فؤاد) ، وجعلته يسعى لاكتساب كل تلك القوى الخارقة .. نفس الفكرة التى جعلته يهاجم النائب العام السابق ، ثم يحاصره فى ركن حجرته ، ليذكره بما دفعه للانتقام .. لقد أفصح له عن هويته ، وشرح له ما تصوَّر أنه لا يتذكره ، حتى يتشفى برؤية انفعاله وذعره ، قبل أن ينقضّ عليه ، مفرغًا كل غضبه وثورته ، ورغبته فى الانتقام ، بتمزيقه شرّ ممزّق .. هذه هى الصورة الوحيدة ، التى تجعل الأمر كله منطقيًا ، وتضع تفسيرًا لكل ما بدا لى غامضًا ، منذ وصلت إلى مسرح الجريمة .

هتف (رمزى) فى حماس :

ـ بالضبط يا (نور) .. إنك عبقرى كعهدنا بك .

ثم التفت إلى الباقين ، مستطردًا فى انفعال :

ـ تحليل (نور) يتفق تمامًا مع كل التوقعات النفسية ، لشخص مثل خصمنا هذا .. إنه الدافع المنطقى ، الذى كنت أبحث عنه .. الانتقام .. هذا الشاب يسعى للانتقام من شخص ما .

قال (نور) بسرعة :

ـ أو من عدة أشخاص .

سألته (سلوى) فى توتر :

- هل تعتقد هذا ؟! أتعنى أنه هناك ضحايا آخرون فى الطريق ؟!

أجابها فى حزم :

- احتمال وارد بشدة .

ثم التفت إلى ابنته (نشوى) ، متابعًا :

- راجعى كل ملفات النائب العام السابق .. كل القضايا التى تولاها بنفسه ، منذ تبوأ منصبه هذا .. وبالذات حالات الإدانة العنيفة ، وابحثى عن أى خيط يربطه بـ (غبريال) هذا ، و .....

قاطعته فى توتر :

- لن يفيدنا هذا .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وسألها (نور) :

- لماذا ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبة :

- لأن الشخص الذى نواجهه ليس (غبريال) .. ليس كذلك أبدًا .

وكانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة .

* * *

٦ - الضربة القادمة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الثالثة والنصف صباحًا ..

فجأة ، استيقظ النووى ، داخل مخبئه الصغير ، وسط أطلال هضبة (المقطم) القديمة ..

فجأة ، استعاد جسده كله نشاطه الفذ ، وكأنما أضيئت بطارية كبيرة فى أعماقه ..

وعندما فتح عينيه ، سطعتا بذلك البريق الأخاذ ، وأضاءتا المكان كله ..

وبحركة حادة عنيفة ، اعتدل جالسًا على فراشه ، والتقى حاجباه فى غضب ..

لم يكن يتوقع قط تلك النتائج الجانبية للتجربة ..

الدكتور (فؤاد) كان مخطئًا فى تلك النتائج الأخيرة ..

لقد تصور أن الطاقة الهائلة ، التى تنبض بها عروقه وخلاياه ، ستجعله يقظًا متألقًا طوال الوقت ..

مهما بذل من جهد ..

ومهما أطلق من طاقة ..

ولكن هذا لم يكن صحيحًا ..

فعلى الرغم من الطاقة الخرافية ، التى شحن بها كل خلية فى جسده ، ما زال هذا الجسد يحمل الكثير من سماته البشرية ..

وما زال يحتاج إلى النوم ..

وإلى الطعام ..

لقد عاد من الحى الراقى ، بعد أن مزّق أوّل خصومه شرّ ممزّق ، وهو ينتفض من فرط النشوة والانفعال ..

وكان يستعد للانقضاض على خصمه الثانى ..

ولكن جسده تهالك بغتة ..

فجأة ، صار يلهث من أجل قليل من الراحة ..

إنه لا يدرى حتى كيف بلغ مخبأه ..

لقد بذل جهدًا خرافيًا ليفعل ..

وعندما استلقى على فراشه الصغير ، هوى فجأة فى لجة عميقة من النوم ، لم يستيقظ منها سوى الآن ..

وهذا خطأ بشع ، فى عقار الدكتور (فؤاد) وتجربته ..

خطأ جعله يستعيد إحساسه ببشريته ، بعد أن تصوّر أنه تحوّل إلى نصف إله ..

ولقد ولّد هذا فى أعماقه غضبًا هادرًا ، جعله ينهض فى حدة ، ويضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ يا لحماقة الدكتور (فؤاد) هذا !! كان ينبغى أن يدرس نظرياته جيدًا ، قبل أن يجبرنى على وضعها موضع التنفيذ .

أوصل جسده مرة أخرى بتلك الأسلاك ، فى سرعة ومهارة ، وراح يراقب فى توتر نتائج الفحص ، التى تظهر على الشاشة ..

ولم ترق له تلك النتائج ..

لم ترق له أبدًا ..

وفى عصبية ، أخذ يراجع أوراق وأبحاث الدكتور (فؤاد) للمرة العشرين ، قبل أن يلقيها بامتداد يده ، حتى نهاية الحجرة ، صائحًا :

ـ اللعنة ! اللعنة ! كان ينبغى أن يتمّ أبحاثه حتى النهاية .

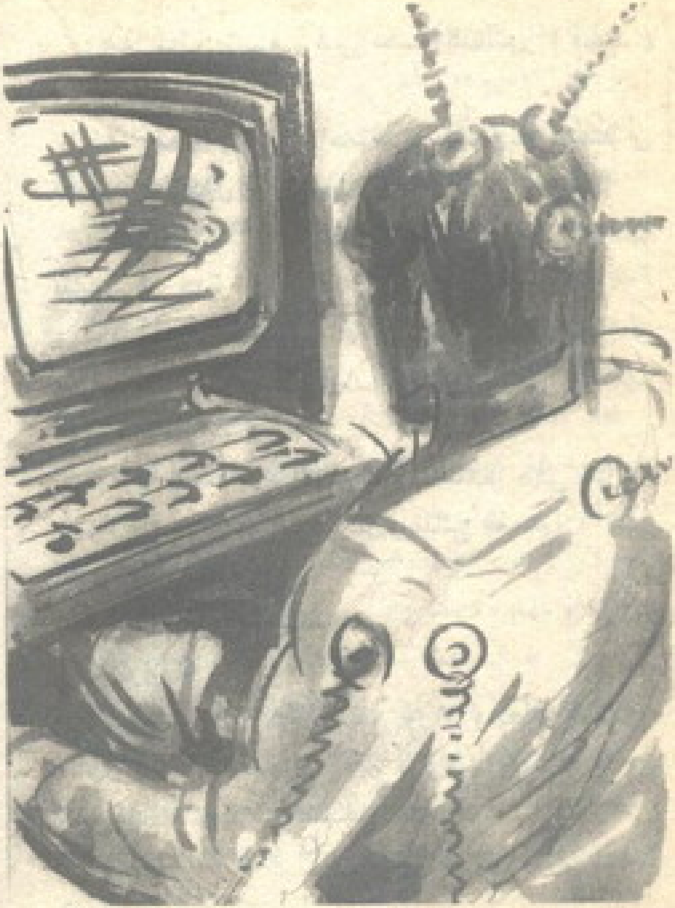

أوصل جسده مرة أخرى بتلك الأسلاك ، فى سرعة ومهارة ، وراح يراقب فى توتر نتائج الفحص ، التى تظهر على الشاشة ..

انتابته آلام جديدة فى معدته ، فمطَّ شفتيه ، مستطردًا فى حنق :

ـ كيف يمكن أن يحتاج جسد كهذا إلى الطعام ؟! كيف ؟!

قالها ، وهو يشعر بجوع شديد ، لم يشعر بمثله فى حياته قط ، فاتجه إلى المبرِّد ، وأخرج كل محتوياته ، وراح يلتهمها فى نهم بالغ ، أثار دهشته بحق ، خاصة وقد انتبه إلى أنه قد التهم طعام أسبوع كامل فى وجبة واحدة ، فانعقد حاجباه ، وهو يتمتم :

ـ كان ينبغى أن تسجِّل هذه النتائج أيها العالم الغبى .. الجسد المشحون بالطاقة النووية يحتاج إلى أضعاف أضعاف ما يحتاج إليه الجسد العادى من الطعام .. كان ينبغى أن تدرك هذا .

نهض من أمام المائدة ، وعاد يراجع نتائج الفحص ، قبل أن يلتفت إلى الصورة المعلَّقة على الجدار ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن .. كل هذا لن يوقفنى .. سأواصل العمل حتى النهاية .

وصمت لحظة ، ثم قال محدثًا الصورة :

- اطمئن .

وشدّ قامته ، وهو يغادر المكان ، فى تلك الساعة من الليل ، وأفكاره تتجه مع كيانه كله إلى الهدف الجديد ..

بكل الحزم ..

والشراسة ..

* * *

فرك (نور) عينيه فى إرهاق ، وهو يجلس إلى جوار ابنته (نشوى) ، أمام شاشة الكمبيوتر الخاص بها ، وتراجع برأسه إلى الخلف ، وهو يقول :

- إذن فـ (غبريال) الحقيقى مات منذ عدة سنوات ، وبالتحديد فى تلك الفترة ، التى تم تدمير كل الوثائق خلالها ، وامحى فيها تاريخ البشرية ، إبان الاحتلال الفضائى(*) ، وذلك الشخص ، الذى نواجهه الآن ، استغلّ فترة إعادة البناء ، واستخرج شهادة ميلاد باسم (غبريال) ، ثم انتحل شخصيته ، وحصل على هوية رسمية باسمه .. إنه مخطّط طويل المدى إذن .

أجابته (نشوى) فى إرهاق واضح :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

- مخطّط وضعه شخص حاد الذكاء ، حتى يتمكّن من بلوغ غاية انتقامية ، على نحو يطفئ نيران الغضب المستعرة فى أعماقه .

أشار إليها (نور) ، قائلاً :

- بالضبط .. والأمر الذى يسعى للانتقام من أجله ، يتعلّق بواحدة من القضايا ، التى تولاها النائب العام السابق ، فى أثناء فترة عمله .. السؤال إذن هو : أية قضية تلك ، ومن المشاركون فيها بالضبط ؟!

أسبلت جفنيها ، مغمغمة :

- هذا ليس بالأمر السهل يا أبى .. لقد راجعت كل القضايا ، التى أصدر فيها النائب العام السابق قرارًا بالإدانة ، وهى أكثر من مائة قضية ، كل منها يمكن أن تكون القضية المنشودة .. إننى أحتاج إلى مزيد من المعلومات ، للتوصّل إلى نتائج جديدة .

اعتدل (نور) ، قائلاً :

- وماذا لو راجعنا كل قضية على حدة ، وبحثنا بينها عن ...

قاطعه (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

- رويدك يا (نور) .. ألا ترى يا رجل أن ابنتك

تكاد تفقد وعيها من فرط الإرهاق ؟! أمها نفسها لم تحتمل الإجهاد المتواصل ، ولاذت بالنوم ، وكذلك زوجها ، فامنحها قدرًا من الراحة ، وإلا لانهارت تمامًا ، وفقدنا كل خبراتها .

تقارب حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ نعم .. أنت على حق .

ثم ربّت على كتف ابنته فى رفق ، مستطردًا :

ـ هيّا يا (نشوى) .. اذهبى للنوم ، وسأكمل أنا هذا العمل .

لم تحاول الاعتراض ، وهى تنهض متهالكة إلى واحدة من حجرات النوم ، الملحقة بمقرّ الفريق ، فى حين راح (نور) يواصل العمل على الكمبيوتر ، مراجعًا كل تفاصيل القضية الأولى ، فقال (أكرم) فى ضيق :

ـ هل تعتقد أن هذا سيوصلك إلى شىء ما ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل أنا واثق من هذا ؛ فلقد انتقم خصمنا من النائب العام السابق ، على نحو يوحى بوجود ثأر قديم بينهما ، وهذا يشير إلى أن النائب قد أعدم أحد أقربائه على الأرجح .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أعدمه ؟! ولماذا الإعدام بالتحديد ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يسترخى على أحد المقاعد الوثيرة :

ـ إنه لن يسعى للثأر ؛ لأن النائب العام سجن أحد المقربين إليه لعام أو عامين بالتأكيد .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، واحتقن وجهه بشدة ، وهو يلتفت إلى (طارق) ، قائلاً فى حدة :

ـ قل لى أيها الكتكوت الفصيح : ألا تشعر بالملل قط ، من دور العبقرى المثالى هذا ، الذى تلعبه طوال الوقت ؟!

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (طارق) ، وهو يقول :

ـ كلا .. إننى أميل إليه كثيرًا .

هبّ (أكرم) من مقعده ، قائلاً فى غضب :

ـ هل تحاول استفزازى ؟!

هزّ (طارق) كتفيه فى برود ، قائلاً :

ـ ولماذا أفعل ؟! المفترض أننا أعضاء فريق واحد ، ونسعى للهدف ذاته .

أشار (أكرم) إلى صدره فى عصبية ، وهو يهتف :

ـ ربما كنا أعضاء فى فريق واحد ، ولكن هذا لا يعنى أبدًا أن نكون على قدم المساواة ، فأمثالك لا يفعلون شيئًا سوى الجلوس خلف المكاتب ، والعبث بأجهزة الكمبيوتر ، أما أنا ، فمن الفئة المقاتلة ، التى تواجه الخطر فى النهاية ، وتتصدّى له ، وتقضى عليه قضاءً مبرمًا .

تطلّع إليه (طارق) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول بنفس الهدوء :

ـ عجبًا ! يبدو أنك لا تؤمن بأهمية العلم ، على الرغم من انتمائك إلى المخابرات العلمية يا سيدُ (أكرم) .

لوّح (أكرم) بقبضته ، هاتفًا :

ـ أنت على حق يا عبقرى العباقرة .. لست أؤمن سوى بما يمكن أن تحققه قبضتى هذه .

ظهر شبح الابتسامة الساخرة على شفتى (طارق) ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

توقّف (نور) عن عمله ، عندما استشعر تكهرب الموقف ، وقال فى صرامة :

ـ كفى يا (أكرم) .

إلا أن (أكرم) لم يتوقّف ، وهو يلوّح مرة أخرى بقبضته ، قائلاً فى غضب :

ـ نعم .. حقًا أيها المتحذلق .. هل ترغب فى تجربة قوة قبضتى ، فى مواجهة علمك الغزير ؟!

أجابه (طارق) ، والابتسامة الساخرة لا تزال تتراقص على شفتيه :

ـ ستكون تجربة طريفة بالتأكيد .

صاح (نور) مرة أخرى :

ـ كفى .

ولكن الكلمة خرجت من بين شفتيه ، فى نفس اللحظة ، التى اندفع فيها (أكرم) نحو (طارق) بالفعل ، وهو يهتف :

ـ فليكن .. ها هى ذى التجربة الطريفة أيها الوغد .

كان (طارق) يجلس مسترخيًا تمامًا على مقعده ، عندما انقضّ عليه (أكرم) كالصاعقة ، إلا أن النشاط دبّ فى جسده بغتة ، قبل أن يبلغه هذا الأخير بسنتيمترات معدودة ، فوثب من المقعد بخفة مدهشة ، ومال جانبًا فى مرونة ، جعلت قبضة (أكرم)

تتجاوزه ، ثم قفزت يده تقبض على معصم (أكرم) ، وأداره فى سرعة وبراعة ، ففوجئ (أكرم) بجسده يدور فى الهواء ، قبل أن يتلقّى ركلة قوية خلف ساقيه ، جعلته يهوى جالسًا على نفس المقعد ، الذى كان يجلس عليه (طارق) منذ لحظة واحدة ، وذراع هذا الأخير تحيط بعنقه كالفولاذ ، وهو يقول بنفس الهدوء العجيب :

ـ والآن ، ما رأيك فى التجربة يا سيّد (أكرم) ؟! هل تتفق مع وجهة نظرك ، أم لا ؟!

احتقن وجه (أكرم) فى شدة ، وكاد ينفجر غيظًا ، و(نور) يقول فى صرامة :

ـ هذا ما أردت تحذيرك منه .. (طارق) ليس خبيرًا بالطاقة والأشعة فحسب .. إنه أيضًا بطل مصر السابق ، فى ألعاب الدفاع عن النفس ، والقتال اليدوى الحر .

لم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، من فرط احتقان وجهه ، ولكن (طارق) تخلّى عن عنقه فى بساطة ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فأنا شخص مسالم ووديع

للغاية ، وأتمنى من كل قلبى أن نصبح صديقين يا سيّد (أكرم) ، فلقد راجعت ملف خدمتك ، وأنا شديد الإعجاب بك .

صمت (أكرم) بضع لحظات ، ووجهه يزداد احتقانًا ، ثم نهض بحركة حادة ، قائلاً :

ـ أشكرك .

زفر (نور) فى ضيق ، وفتح شفتيه ليقول شيئًا ما ، لولا أن انطلق أزيز هاتف الفيديو الخاص بغتة ، فمال يضغط زره ، هاتفًا :

ـ المقدّم (نور) .

ظهرت على الشاشة صورة الدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى لهفة :

ـ ضربة جديدة للخصم النووى يا (نور) .

سأله (نور) فى لهفة :

ـ أين ؟! ومن ؟!

ارتبك الدكتور (ناظم) لحظة ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ اللواء (شاكر عيد) يا (نور) .. وزير الداخلية .. الأسبق .

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..
إذن فالعدو الخارق يواصل حملة الثأر والانتقام ..
بمنتهى العنف ..
والسرعة ..

* * *

انعقد حاجبا (مشيرة محفوظ) فى شدة ، وهى تقرأ ذلك الخبر ، الذى بلغها على الفور ، ثم رفعت عينيها إلى مساعدها ، قائلة فى انفعال :

ـ اغتالوا وزير الداخلية الأسبق ؟! رباه !! حدسى لم يخطئ قط .. إنها عملية ضخمة .. سلسلة من الاغتيالات الإرهابية ، تبذل الحكومة قصارى جهدها لتغطيتها ، وإخفاء أخبارها عن الشعب .. لا يمكن أن نسمح بهذا قط .. أولاً وحدة العلاج النووى فى المستشفى العام ، ثم المفاعل النووى ، وبعده اغتيال اثنين من أشهر رجال المرحلة السابقة ، وكل هذا فى أقل من أربع وعشرين ساعة .. أضف إلى هذا ظهور (نور) و(أكرم) فى أماكن الحوادث .. لا .. لا يمكن أن يفوتنا سبق كهذا قط .

تنهد مساعدها فى أسى ، قائلاً :

ـ المشكلة أن رجال الأمن سيمنعون اقترابنا وتصوير الحادث ، كما فعلوا فى المرة السابقة .

هتفت فى حدة :

ـ ليس من حقهم .. الدستور صريح فى هذا الشأن .. الإعلام والصحافة لهما مطلق الحرية فى جمع المعلومات ، والسعى للحصول عليها ، ولا يمكن منع هذا إلا بقرار من النائب العام ، أو بحكم قضائى ، وهذا يعنى أن رجال الأمن لا حق لهم فى منعنا من تصوير الحادث .

أجابها مساعدها فى ضيق :

ـ هذا صحيح ، من الناحية النظرية يا سيدتى ، ولكن رجال الأمن سيصرون على منعنا من بلوغ المكان ، ومن نقل الحقيقة للشعب ، وسيعترضون البث ، كما فعلوا فى المرة السابقة ، ولن يكون أمامنا ، والحال هكذا ، سوى الاعتراض ، ورفع الأمر لقاضى الأمور العاجلة ، وعندما نستصدر حكمًا لصالحنا ، فى غضون أربع وعشرين ساعة ، كما ينص القانون ، سيكون رجال الأمن قد أخفوا كل شىء ، ولم يعد لدينا ما نقدمه للجمهور .

انعقد حاجباها فى غضب ، مع صحة منطقه ، وشعرت بالدماء تغلى فى عروقها ، من فرط حنقها وسخطها ، فضربت راحتها بقبضتها ، هاتفة :

ـ لا .. لا يمكنهم أن يفعلوا بنا هذا .. لا يمكنهم .. ليس من حقهم .

وراحت تقطع حجرتها فى حدة وعصبية ، وعقلها المشتعل بنيران الغضب يدير الأمر أكثر من مرة ، و ...

وفجأة ، قفزت إلى ذهنها فكرة ، جعلتها تتوقف بحركة حادة ، ثم تلتفت إلى مساعدها ، قائلة فى انفعال أكبر :

ـ مُر الرجال بالاستعداد .. سنسبق رجال الأمن إلى موقع الحادث ، ونلتقط صور كل شىء .

سألها مبهوتًا :

ـ كيف ؟!

أجابته فى حماس :

ـ بوساطة قواتنا الجوية .

بدت عليه دهشة عارمة ، فتابعت فى حماس عارم :

ـ اتصل فورًا بطيار الهليوكوبتر الخاصة بالجريدة ، وانتزعه من فراشه .. لا أعذار أو تبريرات .. أريده هنا على أهبة الاستعداد ، خلال عشر دقائق على الأكثر ، وخلال هذه الفترة أريد نقل آلة تصوير إلى الهليوكوبتر ، مع مصورٌ واحد ، وكل ما يكفى لبث الصورة ، على الهواء مباشرة .

وتألقت عيناها ، وهى تضيف فى انفعال ، ارتجف له صوتها :

ـ سنثبت لـ (نور) و (أكرم) هذه المرة أننا الأفضل .. وبلا منازع .

وانتقل الانفعال إلى جسدها .. بأكمله ..

* * *

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، ولم ينبس ببنت شفة ، والسيارة تنطلق به ، مع (أكرم) و(طارق) ، نحو منزل وزير الداخلية الأسبق ، حتى أن (أكرم) قال فى توتر ، محاولاً كسر حاجز الصمت المهيب :

ـ ترى لماذا وزير الداخلية الأسبق ؟!

مطّ (طارق) شفتيه ، دون أن يجيب ، وهو يعمل

على جهازه فى اهتمام ، فى حين صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب بتساؤل آخر :

ـ بل لماذا وزير سابق أيضًا ؟!

قال (أكرم) فى اهتمام :

ـ أعتقد أن هذا يؤيد نظريتك الخاصة بالثأر يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالتأكيد ، وسيضيق هذا دائرة البحث أيضًا ؛ فسنبحث الآن عن قضية تولى أمرها وزير الداخلية الأسبق ، وأصدر حكم الإدانة فيها النائب العام السابق .

غمغم (طارق) ، وهو يواصل التعامل مع جهازه :

ـ أتعشم أن تنحصر دائرة البحث فيهما .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو ينطلق بالسيارة ، ورمق (طارق) بنظرة مستهجنة ، عبر مرآة السيارة الداخلية ، فى حين صمت (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. أنا أيضًا أتعشم هذا .

فتح (أكرم) فمه ، ليقول شيئًا ما ، وهو ينحرف بالسيارة فى شارع جانبى لاختصار بعض الوقت ،

ولكنه فوجئ بشخص يعبر ذلك الشارع ، فى خطوات سريعة للغاية ، فضغط فرامل السيارة فى قوة ، وهو يميل بها بحركة حادة ، محاولاً تفادى الاصطدام به ، هاتفًا :

ـ اللعنة ! من أين جاء هذا ، فى ساعة كهذه .

نجحت محاولته فى تفادى الارتطام بذلك الشخص ، الذى لم يبد عليه حتى أنه قد لاحظ ما حدث ، وهو يواصل سيره بنفس الخطوات السريعة ، إلى الجانب الآخر من الشارع ، فى حين اختلّ توازن (نور) و(طارق) داخل السيارة ، مع الانحراف المباغت ، وكاد جهاز الكمبيوتر الخاص بالأخير يسقط ، لولا أن التقطه بحركة سريعة ، قائلاً :

ـ احترس يا سيد (أكرم) .

صاح (أكرم) فى حنق :

ـ وماذا كان يمكننى أن أفعل .. ذلك الأحمق ظهر فجأة ، و ...

قاطعته صيحة خافتة من (طارق) :

ـ يا إلهى !

اعتدل (نور) إثر الصيحة ، وسأله فى توتر شديد :

- ماذا هناك ؟!

حدّق (طارق) فى بقعة حمراء واضحة ، على شاشة جهازه ، مجيبًا :

- إنه هنا .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

- ماذا ؟!

أما (نور) ، فسأله فى انفعال :

- أين يا (طارق) ؟! أين ؟!

التفت إليه (طارق) ، مجيبًا :

- انظر إلى فيض الطاقة ، الذى التقطه جهازى .. إنه هو .

هتف به (أكرم) فى عصبية :

- من هو ؟!

أشار (طارق) بيده ، مجيبًا فى سرعة :

- ذلك الشخص .. عابر الطريق .

سرت ارتجافة انفعال قوية فى جسد (نور) ، وهو يهتف :

- ربّاه !

أما (أكرم) ، فقد التقى حاجباه فى شدة ، وأدار

عجلة القيادة فى حركة حادة ، ليدور بالسيارة كلها ، محاولاً اللحاق بذلك الشخص ، وهو يهتف :

- ذلك اللعين ! لقد أوقعنا به .

وفى سرعة ، رفع (نور) ساعته إلى شفتيه ، وضغط زرًا فى جانبها ، وهو يقول :

- من المقدّم (نور الدين) إلى القيادة .. تم تحديد موقع الخصم النووى .. نحتاج إلى أكبر دعم ممكن .. أكرّر .. تم تحديد موقع الخصم النووى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع (أكرم) يهتف فى حماس :

- ها هو ذا .

ارتفعت عيونهم جميعًا إلى نقطة واحدة ، انطلق (أكرم) نحوها بالسيارة ، بأقصى سرعة ممكنة ..

النقطة التى بدا فيها ذلك الشخص ، وهو يواصل سيره بنفس الخطوات السريعة ، وكأنه يتجه إلى هدف محدود ..

ومع ذلك الصرير العنيف ، الذى أحدثته إطارات السيارة ، توقف ذلك الشخص ، والتفت إليهم بحركة حادة ..

وخفقت قلوبهم فى قوة ، عندما أضاءت مصابيح السيارة وجهه ..

نعم .. إنه هو ..

(غبريال) ..

أو الشخص ، الذى مازالوا يعرفونه باسم (غبريال) .. عدوهم الخارق ..

النووى ..

وكرد فعل تلقائى ، استلّ (أكرم) مسدسه ، وضغطت قدمه دوّاسة الوقود أكثر وأكثر ..

وزادت سرعة السيارة ، وهى تنطلق نحو العدو ..

ولكن الشاب لم يتحرك من موضعه ..

لقد شدّ قامته ، ووقف يواجه السيارة ، وعيناه تتألقان ببريق التحدّى والقوة ..

ومع تألقهما ، سطع الضوء فجأة فى وجه (أكرم) ، فهتف فى غضب ، دون أن ينحرف بالسيارة :

ـ اللعنة ! ألف لعنة !

ونقل المسدس برمية ماهرة إلى يسراه ، وأخرجها عبْر نافذة السيارة ، و ...

وفجأة ، وعلى الرغم من الضوء الساطع ، الذى

يكاد يغشى بصره ، شاهد تلك الكرة المشتعلة ..

كرة من النيران ، فى حجم كرة سلة ، رآها تندفع نحو السيارة مباشرة ..

وبكل قوته ، هتف (نور) :

ـ احترس يا (أكرم) ..

وقبل حتى أن ينطلق الهتاف ، كان (أكرم) ينحرف بالسيارة بالفعل ..

كانت انحرافة سريعة وماهرة للغاية ..

ولكن كرة النار أصابت مؤخرة السيارة ..

ودوى الانفجار ..

وعبر الشارع الواسع ، وثبت السيارة وثبة هائلة مخيفة ، والنيران تشتعل فى مؤخرتها ، ثم هوت لترتطم بالأرض ..

وبمنتهى العنف .

* * *

وعبر الشارع الواسع ، وثبت السيارة وثبة هائلة مخيفة ، والنيران تشتعل فى مؤخرتها ..

٧ - وسقط القائد ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الرابعة والربع صباحًا ..

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبية ، داخل الهليوكوبتر ، التى تنقلها مع المصوِّر ، إلى المنطقة السكنية ، التى كان يقيم فيها وزير الداخلية الأسبق ، حيث تم اغتياله ، وقالت للطيَّار فى حدة :

- ألا يمكنك أن تسرع أكثر ؟! لو وصل (نور) و (أكرم) إلى الموقع قبلنا ، سنفقد الكثير من الأمور ، وربما خسرنا السبق كله .

أجابها الطيَّار فى ضجر :

- سيِّدتى .. إننى أنطلق بالفعل بأقصى سرعة يسمح بها ، للتحليق فوق المناطق السكنية ، والقانون يحتم أن ..

قاطعته فى حدة :

- فليذهب القانون إلى الجحيم .. أريد أن أصل إلى

موقع الحادث بأقصى سرعة ، مهما كان الثمن .

هزَّ الطيَّار رأسه ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّدتى ، ولكن القانون ..

قاطعته مرة أخرى فى غضب :

ـ قلت لك : لست أبالى بالقانون .. إنك تعمل لحساب (أنباء الفيديو) ، والشىء الوحيد ، الذى ينبغى أن تطيعه ، هو أوامرى فحسب .

أجابها الطيَّار فى صرامة هذه المرة :

ـ الواقع أننى ، لو أطعت أوامرك هذه ، فلن يمكننى أن أعمل لحساب (أنباء الفيديو) ، أو لحساب أى عميل آخر ، فتجاوز قانون الطيران يؤدى إلى سحب ترخيصى ، وهذا ثمن فادح للغاية .. بالنسبة لى على الأقل .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ـ أتعنى أنك لن ..

قاطعها المصوِّر هذه المرة ، هاتفًا :

ـ سيِّدة (مشيرة) .. انظرى .

التفتت بسرعة إلى حيث يشير ، واتسعت عيناها فى شدة ، عندما وقع بصرها على الضوء الساطع ،

المنبعث من شخص يقف فى الطريق ، وسيارة نُمطية قديمة تندفع نحوه بأقصى سرعتها ..

وشهقت (مشيرة) فى ارتياع ..

لقد تعرَّفت تلك السيارة من الوهلة الأولى ..

وأدركت أنها سيارة زوجها (أكرم) ..

وفى نفس اللحظة ، التى أدركت فيها هذا ، كان النووى يطلق كرته النارية نحو السيارة ..

واتسعت عينا الطيَّار فى دهشة مذعورة ، وانتفض جسد المصوِّر ، فى حين أطلقت (مشيرة) صرخة رهيبة ، عندما رأت السيارة تقفز فى الهواء ، ثم تهوى مرتطمة بالأرض فى عنف ، وتنقلب على جانبها ، وهى تنزلق على الطريق بسرعة مخيفة ، حتى ارتطمت بجدار أحد المنازل ، وتوقَّفت ، والنيران مشتعلة فى مؤخرتها ..

وصرخت (مشيرة) :

ـ (أكرم) .. زوجى .. إنه زوجى .. اهبط بسرعة يا رجل .. لا بد أن ننقذه .. أسرع بالله عليك .

تردَّد الطيَّار فى إطاعة أمرها ، وهو يتطلَّع فى خوف إلى النووى ، الذى وقف ظافرًا منتشيًا ، يغمر

السيارة بضوء عينيه الساطعتين ، فصاحت ثائرة :

ـ قلت لك : اهبط .

غمغم الطيّار ، وهو يدور بالهليوكوبتر حول المكان :

ـ أتعتقدين أنه من الحكمة أن نفعل ؟!

وفي الوقت نفسه ، هتف المصوّر في حماس :

ـ لقد سجلت كل ما حدث ، ويمكنني أن أبثه مباشرة ، و ...

صرخت تقاطعه في انهيار :

ـ إنه زوجي .. ألا تفهمان ؟! زوجي .

وفي هدوء مستفز ، رفع النووي عينيه المضيئتين ، وتطلع إلى الهليوكوبتر ، التي تحوم فوقه ..

وتجمدت دماء الطيّار والمصوّر في عروقهما ..

وحتى (مشيرة) ، انعقدت صرختها في حلقها ، في رعب هائل ، امتزج بخوفها على زوجها ، فانتفضت كل خلية في جسدها هلعًا وارتياعًا ..

ولكن النووي خفض عينيه في هدوء عجيب ، وسار بخطواته السريعة ، مبتعدًا عن السيارة ، ثم تألق جسده ، و ..

واختفى ..

هكذا فجأة ، تلاشى من أمام أعينهم ، كما لو أنه قد سقط في العدم ..

ولثانية أو ثانيتين ، ظلّ الجميع يحدقون في ذلك الموضع ، الذي اختفى عنده النووي ، في ذهول تام ، ثم هتفت (مشيرة) بغتة ، وهي تضرب كتف الطيّار براحتها :

ـ هيّا .. اهبط الآن يا رجل .

كانت الهليوكوبتر تبدأ مرحلة الهبوط بالفعل ، عندما ، برز (طارق) من نافذة السيارة ، والدماء تسيل من جرح في جبهته ، ثم وثب خارجها ، وتعلق ببابها الأمامي ، وراح يجاهد في استماتة ، محاولاً فتحه ، ثم لم يلبث أن استجمع قواه ، وهوى بمرفقه على زجاج النافذة ، فحطمه في عنف ، قبل أن يميل ليجذب (أكرم) خارجها ، وهو يهتف :

ـ (أكرم) .. استعد وعيك يا رجل .. أسرع بالله عليك .. السيارة ستنفجر .

كان (أكرم) نصف فاقد للوعي ، يحدق في وجه (طارق) كالذاهل ، ولسانه معقود في حلقه ، لا يقوى على الكلام ، فواصل (طارق) جذبه بكل قوته ، حتى

أخرجه من السيارة ، فى نفس اللحظة التى هبطت فيها الهليوكوبتر ، على قيد عشرة أمتار ، فوثبت منها (مشيرة) ، وانطلقت نحوه ، هاتفة فى ارتياع :

ـ أهو .. أهو على قيد الحياة ؟!

حمل (طارق) جسد (أكرم) ، ووثب به إلى الأرض ، وأسرع به إليها ، وأرقده عند جانب الطريق ، مجيبًا :

ـ نعم .. نعم .. إنه يعانى من الصدمة فحسب ، ولكن القائد (نور) فاقد الوعى ، عند الجانب السفلى للسيارة ، وجسده محشور بين المقعد ولوحة القيادة .. لا بد أن نبذل قصارى جهدنا لإخراجه من هناك ، قبل أن تنفجر السيارة .

كان المصوّر يواصل التقاط ما يحدث ، وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا فى حماس ، فى حين صاح الطيّار فى توتر بالغ ، وهو يحدّق فى النيران المشتعلة ، والتى امتدّت حتى منتصف السيارة تقريبًا :

ـ لا تحاول العودة إلى هناك يا هذا .. السيارة من الطراز التقليدى ، الذى يستخدم الوقود السائل .. إنها ستنفجر بعد قليل .. احترس .

ولكن (طارق) لم يبال بالتحذير ، أو يلتفت إليه ، وهو يعدو نحو السيارة كالمجنون ، ويعتلى جانبها المرتفع ، ثم ينفذ إليها ، عبر النافذة التى حطمها منذ قليل ، ويختفى داخلها ..

وفى عصبية ، هتف الطيّار :

ـ يا للمجنون ! إنه يقتل نفسه !

هتفت (مشيرة) ، وهى تحتضن (أكرم) فى لهفة :

ـ إنه يحاول إنقاذ (نور) .

صاح الطيّار :

ـ لن ينجح فى إنقاذ أحد .. تلك السيارة ستنفجر حتمًا .. دعونا نبتعد من هنا ، قبل أن تبلغنا شظايا الانفجار .

تمتم (أكرم) فى هذه اللحظة ، فى توتر :

ـ (نور) .. السيارة .. (طارق) ..

احتضنته (مشيرة) بقوة أكبر ، وهى تقول :

ـ اهدأ يا حبيبى .. اهدأ .. سيسير كل شىء على ما يرام بإذن الله .. كل شىء ..

تراجع الطيّار فى ذعر إلى الهليوكوبتر ، وهو يغمغم :

- هذا جنون .. جنون مطبق .

لم يسمع (طارق) حرفًا واحدًا من كل هذا ، وهو يجاهد داخل السيارة ، لانتزاع (نور) الفاقد الوعي من مكانه ، فألصق ظهره بمقعد هذا الأخير ، وثنى ركبتيه ، ليدفع لوحة القيادة بقدميه ، بكل ما يمتلك من قوة ، قائلاً لنفسه :

- هيا يا (طارق) .. لا تتقاعس الآن .. استنفر كل قواك .. قاوم كل ما تشعر به من ألم وتهالك ، ولا تخذل قائدك أو تتخلى عنه .. هيا .

كان يبذل أقصى طاقاته بالفعل ، حتى إن ظهره صرخ من فرط الألم ، وراحت قدماه ترتجفان ، وشعر بلفح النيران فى عنقه ، إلا أنه لم يهن أو يتراجع ..

كان يمتلك إرادة فولاذية ، جعلته يواصل الضغط ..

ويواصل ..

ويواصل ..

ثم صدرت تلك الفرقعة ..

وتحطمت لوحة القيادة ..

وبكل قوته ، انتزع (طارق) (نور) من مكانه ، وراح يجاهد لإخراجه من السيارة ..

ولكن جسم السيارة كان ساخنًا على نحو رهيب ، جعله يهتف :

- يا إلهى ! وكأننا فى قلب الجحيم نفسه ..

ومن بعيد .. هتف الطيّار ، وهو يقفز داخل الهليوكوبتر :

- ستنفجر السيارة الآن .. لن يمكننى الانتظار أكثر .

ارتجف قلب (مشيرة) ، وهى تقول :

- يا إلهى ! (نور) ..

انتفض (أكرم) بين ذراعيها ، وهو يهتف فجأة :

- (نور) ؟! السيارة !!

ثم انتزع نفسه بحركة حادة ، وكأنما عاد إليه وعيه كله دفعة واحدة ، واندفع نحو السيارة ، صائحًا :

- تماسك يا (طارق) .. أنا فى طريقى إليك .

اتسعت عينا الطيّار فى دهشة بالغة ، فى حين هتفت (مشيرة) فى ارتياع :

- لا يا (أكرم) .. لا .

لم يبد عليه أنه قد سمع هتافها ، وهو ينتزع قميصه ، ويستخدمه ليعتلى السيارة ، التى تلتهمها النيران فى سرعة ، ثم يمد يده إلى (طارق) عبر

النافذة المحطمة ، هاتفًا فى حزم :

ـ أعطنى (نور) .. أسرع بالله عليك .

تعاونا على إخراج (نور) من السيارة ، على الرغم من آلام الحروق ، التى أصابت ذراعيهما ، من جراء النيران والصاج الساخن ، فحمله (أكرم) على كتفيه ، ووثب به من فوق السيارة ، وانطلق يعدو مبتعدًا عنها ، صائحًا :

ـ أسرع يا (طارق) .. أسرع ..

لحقت به (مشيرة) ، هاتفة :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

فصاح بها :

ـ ابتعدى بالله عليك .. السيارة ستنفجر .

ثم التفت خلفه ، مستطردًا :

ـ هيا يا (طارق) .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، عندما لم يجده خلفه ، وصاح فى توتر :

ـ (طارق) .

فوجئ به يخرج من السيارة وسط النيران ، حاملاً حقيبة جهازه ، فهتف :

ـ يا إلهى ! ماذا فعلت أيها المجنون ؟!

ارتفعت أبواق سيارة إطفاء قادمة ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (طارق) إلى الأرض ، والنيران تلتقط طرف سترته ، وانطلق يعدو ، و ...

وفجأة ، دوى الانفجار ..

انفجار انتزع (طارق) من مكانه ، وألقاه إلى الأمام ، وهو يحتضن حقيبته بكل قوته ، فى نفس الوقت الذى دفع فيه (مشيرة) ، و (أكرم) الذى يحمل (نور) ، نحو مترين كاملين ، ليسقط الجميع على مقربة من الهليوكوبتر ، الذى خفض قائدها رأسه داخلها ، وهو يحمى وجهه بذراعيه ، فى حين واصل المصوِّر التقاط ما يحدث ، وهو يلهث من فرط الانفعال ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! لقد التقطت كل شىء .. لقد فعلتها ..

ومع آخر حروف كلماته ، وصلت سيارة الإطفاء إلى المكان ، وقفز رجالها يعملون فى سرعة وهمة ، لإطفاء النيران ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارة إسعاف ، اندفع نحوها (طارق) ، وهو يلوِّح بذراعيه ، صائحًا :

ـ أسرعوا .. القائد مصاب .. أسرعوا ..

انتفض جسد (مشيرة) ، وهى تدير عينيها فيما حولها ، قبل أن تحدق فى (نور) ، الذى استلقى فاقد الوعى ، والدماء تنزف من مكان ما فى صدره ، وتغمر قميصه الأبيض وسترته الجلدية ، وتغمغم بصوت مرتجف :

ـ رباه ! يا لها من ليلة ! يا لها من ليلة !

وربما كانت عبارتها هى أصدق ما قيل بالفعل ..

يا لها من ليلة !

* * *

بدأ الشفق يتلون بالفعل بألوان الشروق الأولى ، عندما بلغ النووى وكره ، فى هضبة المقطم القديمة ، ودلف إليه فى خفة كعادته ..

كان جسده ينتفض ، من فرط الانفعال ، وهو يراجع ما فعله فى تلك الليلة !

لقد ضرب ضربته الثانية ..

وبنجاح ..

تألقت عيناه بذلك البريق المخيف ، وهو يستلقى على فراشه ، ويسترجع المشاهد واحدًا بعد الآخر ..

لقد نسف رجال الحراسة الأغبياء ، الذين تصوروا أنهم يستطيعون صده بمسدساتهم ومدافعهم الليزرية السخيفة ..

ثم سحق جدار المنزل سحقًا ..

وبكل هدوء ، راح يطلق كراته النارية على كل من يجده أمامه ..

وبلا أدنى تمييز ..

كهول .. نساء .. أطفال ..

وأخيرًا ظفر به ..

التقى بوزير الداخلية الأسبق وجهًا لوجه ..

المرة الأولى ، التى التقى به فيها ، لم يكن قد تجاوز بعد رتبة العقيد ..

وكانت الظروف كلها تختلف ..

تختلف تمامًا ..

وفى هذه المرة أصبحت له السيادة ..

والقوة ..

كل القوة ..

وبكل ظفر وشماتة الدنيا ، أفصح للوزير الأسبق عن هويته الحقيقية ..

وذكره بكل شيء ..

وعندما أدرك أن الرجل قد استوعب الأمر ، وأدركه تمامًا ، انقضّ عليه في شراسة ، ومزّقه بكل عنف ووحشية ..

توقّفت ذكرياته القريبة عند هذا الحدّ ، عندما شعر بذلك الألم في صدره ، فنهض إلى جهاز الفحص ، وأوصل جسده بالأسلاك ، وراح يراقب الشاشة ..

الأمور تتطوّر بأسرع مما ينبغي ..

دقات قلبه تكاد تبلغ الألفين ، في الدقيقة الواحدة(*) ..

وهذا يعني أنه يحتاج إلى الراحة ..

بل وأنه مضطر إليها ..

ومن أعماقه ، تصاعدت موجة حنق عارمة ..

إنه لم يتصوّر هذا قط ..

لقد خدعته أبحاث الدكتور (فؤاد) ، وأوهمته بأن جسده ، بعد شحنه بالطاقة النووية ، سيتحوّل إلى جسد خارق جبار ، لا يمكن أن تقهره أية قوة في الوجود ، وأن خلاياه الخارقة لن تحتاج قط إلى الطعام أو الراحة ..

(*) يتراوح معدل نبض الإنسان العادي ، في حالة الاستقرار البدني والذهني ، ما بين ٧٠ ـ ٩٠ نبضة في الدقيقة .

ولكن هذا لم يحدث في الواقع ..

لم يحدث أبدًا ..

أبدًا ..

وفي بطء ، تسلّل الخدر إلى جسده الخارق ، ثم لم يلبث أن غرق في سبات عميق ..

للغاية ..

* * *

« حالة المقدّم (نور) حرجة للغاية .. »

نطق الطبيب العبارة في أسى واضح ، خفق له قلب (سلوى) و (نشوى) في عنف ، فسألته الأولى بكلمات مرتجفة :

ـ هل .. هل سينجو ؟!

تنهّد الطبيب ، مجيبًا :

ـ هذا يتوقّف على الساعات الأربع والعشرين القادمة .

عجزت ساقا (نشوى) عن حملها ، فتهاوت على أقرب مقعد إليها ، مغمغمة :

ـ يا إلهي !

أما (سلوى) ، فقد تفجّرت عيناها بالدموع ، هاتفة :

- رباه ! لقد خشيت هذا اليوم طيلة عمرى .

تطلع إليها الطبيب مشفقًا ، قبل أن يقول فى أسف :

- صديقتىّ .. لقد بذلنا قصارى جهدنا من أجله ، فهو مصاب بكسر فى أربعة من ضلوعه ، وبارتجاج فى المخ ، وتمزق فى أوتار الساق اليمنى ، ومن حسن الحظ أننا لم نعثر على أى أثر للنزيف الداخلى ، أو الكسور المحدودة أو الكاملة .

ثم استطرد فى حسم :

- وهذا يعنى أن حالته ليست بالخطورة التى تتصورانها .. إنه فاقد الوعى من أثر إصابة رأسه والارتجاج الذى أصابه فحسب ، ولكنه لن يلبث أن يستعيد وعيه ، خلال بضع ساعات ، وتتحسن حالته بإذن الله .

انفرجت شفتا (سلوى) لتقول شيئًا ما ، إلا أن صوتًا حازمًا سبقها قائلاً :

- عظيم .. وعندما يستعيد وعيه ، سنقدم إليه انتصارنا هدية بإذن الله .

التفتت (سلوى) و (نشوى) فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهما على (طارق) ، الذى أحيط رأسه وذراعه بالضمادات ، وهو يكمل :

- هيا يا سيدتى .. لا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة .

انعقد حاجبا (نشوى) فى غضب ، فى حين قالت (سلوى) فى حدة :

- ماذا تقول يا (طارق) ؟! (نور) مصاب ، وأنت تتحدث عن هذا ..

برز (أكرم) من خلف (طارق) ، قائلاً فى عصبية :

- لا داعى لأن يدهشك هذا يا (سلوى) ، فمن الواضح أن زميلنا الجديد لا يقيم وزنًا لتلك القيم العاطفية القديمة .

أجاب (طارق) فى حزم :

- الواجب يأتى فى المقام الأول .

هتفت (نشوى) فى سخط :

- حتى بالنسبة لأبى وحالته .

أجابها بنفس الحزم :

- والدك ليس سوى فرد واحد .

ابتسم (أكرم) فى سخرية عصبية ، قائلاً :

- ألم أقل لكما ؟!

لم ينبس (رمزى) ببنت شفة ، وهو يتابع الموقف ، فى حين شد (طارق) قامته ، وقال فى حزم أكبر ، يمتزج بصرامة لم يعهدها فيه أحد من قبل :

- لن أضيع الوقت فى مناقشات سخيفة كهذه .. لقد حصلت من السيدة (مشيرة) على ذلك الفيلم ، الذى يصوِّر ما فعله بنا ذلك النووى ، وسأذهب إلى مقرِّ الفريق لمراجعته ، وفحصه ، ومحاولة استخلاص كلِّ ما يمكن أن يفيدنا منه ، وإذا ما فكر أحدكم على نحو عقلانى ، وقرَّر مواصلة المهمة ، فليلحق بى هناك .

قالها ، وغادر المكان فى خطوات حاسمة سريعة ، لهثت معها عيون الجميع خلفه ، قبل أن يقول (أكرم) فى غضب :

- يا لل ...

قاطعه (رمزى) بغتة :

- إنه على حق .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وهتفت (نشوى) :

- (رمزى) ؟!

كرَّر فى حزم :

- الشاب على حق ، فى كل حرف نطق به .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا فى صرامة :

- لقد واجهتم جميعًا الأمر بعواطفكم ، على نحو

لا يتفق مع طبيعة عملكم ، كفريق من أقوى فرق المخابرات العلمية ، وأكثرها تفوقًا ونجاحًا .. لست أدرى كيف نسيتم جميعًا أن (طارق) قد جازف بحياته فى بسالة ، لإنقاذ (نور) و (أكرم) ، ولولا عناية الله (سبحانه وتعالى) ، وشجاعة ذلك الشاب ، لكان الاثنان فى عداد الموتى .. ألا تعترف بهذا يا (أكرم) ؟!

توترت ملامح (أكرم) ، ثم لم يلبث أن خفض عينيه ، متمتمًا :

- بلى .

واصل (رمزى) بنفس اللهجة :

- الأكثر أهمية أن أحدث أعضاء الفريق ، أكثرنا اهتمامًا بالفريق وحرصًا عليه ، فلو راجعتم أنفسكم ؛ لأدركتم أن ملف (نور) وفريقه لم يسجِّل حالة فشل واحدة ، منذ بدأ عمله .. حتى فى أحلك المواقف ، كنا نتحدى المصاعب ، ونتجاوز الأزمات ، ونحقق الانتصار أيضًا .. والآن نحن نواجه قضية عنيفة ، وخصمًا خارقًا ، لا مثيل له ، إلا فى روايات وأفلام الخيال العلمى ، ولقد سقط قائدنا .. أيعنى هذا أن نتوقف ، ونترك عدونا يواصل طغيانه ، مكتفين

بالبكاء أمام حجرة القائد ؟! خطأ يا رفاق .. خطأ .. لو استعاد (نور) وعيه الآن ، لرفض بشدة ما تفعلونه .. سيرفض أن نسجّل أوّل فشل فى ملفه ، بل وسيصرّ على أن نواصل السعى ، للفوز بالنجاح فى النهاية ، كما اعتدنا دائمًا .. هذه هى الوسيلة الوحيدة ، لنثبت له أننا نستحق الانضمام إلى فريقه .. لنثبت له أننا .. أننا ..

غلبه الانفعال ، فتوقّف لحظة ، التقط خلالها أنفاسه ، قبل أن يضيف :

– أننا نحبه .

هبط عليهم وجوم مهيب ، وهم يتطلّع بعضهم إلى البعض ، بنظرات يمتزج فيها الخجل بتأنيب الضمير ، قبل أن يرفع (أكرم) عينيه ، ويقول فى حزم :

– (طارق) كان على حق .. لا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة .

وربّت على مسدّسه فى حزامه ، ثم أضاف ، وهو يتجه نحو المخرج ، فى خطوات حاسمة واسعة :

– هل ستبقون ، أم ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، كان الجميع يلحقون به ؛ لينطلقوا معًا إلى مقر الفريق ..

إلى حيث يستكملون الصراع مع عدوّهم الجديد .. العدو الخارق ..

* * *

التقى حاجبا القائد الأعلى فى اهتمام بالغ ، وهو يطالع نسخة من فيلم (أنباء الفيديو) ، مغمغمًا فى توتر :

– يا إلهى ! إنه أمر رهيب بالفعل .. هل رأيت كيف انطلقت كرة اللهب من قبضته ، وأطاحت بالسيارة ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

– هذا لا يخيفنى ، بقدر ما تدهشنى قدرته على الاختفاء .. الطاقة التى يولدها جسده ، تمكنه من إحاطة نفسه بغلاف كهرومغنطيسى متغيّر الذبذبة ، يخفى جسده تمامًا ..

ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، مستطردًا :

– أليس كذلك ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى تحفّظ :

ـ أعتقد هذا ، فلست خبيرًا فى مثل هذه الأمور .. هذا يحتاج إلى فيزيقى ، أو خبير طاقة ، وعلى أية حال ، فهو يتفق مع ما جاء فى أوراق الدكتور (فؤاد) رحمه الله .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. ولكن ما شاهدناه الآن مفزع بحق .. لقد رأينا ما فعله بالآخرين ، وبدا لنا بشعًا رهيبًا ، أما رؤيته شخصيًا ، وهو يستخدم قواه الخارقة ، فهذا أمر آخر .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كم يمكن أن يستمر هذا الكابوس ؟!

قال الدكتور (حجازى) بسرعة :

ـ لا يمكن أن يستمرّ طويلاً .

التفت إليه الاثنان فى آن واحد ، وسأله القائد الأعلى فى اهتمام كبير :

ـ هل تعتقد هذا حقًا ؟!

اعتدل الدكتور (حجازى) فى مجلسه ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. هذا أمر طبيعى .

سأله الدكتور (ناظم) فى لهفة :

ـ لماذا ؟!

كان من الواضح أن الدكتور (حجازى) لم يكن يتوقّع كل هذا الاهتمام ، إثر عبارته البسيطة ، فقد ارتبك بعض الشىء ، وتنحنح قبل أن يشير بيده ، مجيبًا :

ـ صحيح أن ذلك الشاب قد تمكّن ، بوسيلة مدهشة ، من شحن كل خلاياه بطاقة نووية هائلة ، تكفى لإضاءة مدينة كاملة ، مثل (القاهرة) الجديدة ، وأن هذه الطاقة قد أكسبته قدرات وقوى خارقة ، لم نتصوّر حتى إمكانية وجودها ، إلا أن هذا لا ينفى أن خلاياه ما زالت بشرية الأصل ، وهذا ما سيودى به فى النهاية .

سأله القائد الأعلى :

ـ كيف ؟!

أشار الدكتور (حجازى) بيديه مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ الله (سبحانه وتعالى) خلق أجسادنا كاملة ،

للمهمة التى خلقت من أجلها ، وكل خلية فى أجسادنا مؤهلة لوظيفتها وإمكانياتها وحدها ، ولقد علمتنا الطبيعة والخبرة وتجارب السابقين ، أنه إذا ما عبثنا بتلك الخلايا ، وحاولنا تغيير طبيعتها ، أو إجبارها على القيام بدور يخالف دورها المحدود ، الذى أسنده إليها الخالق (عزّ وجلّ) ، فقد تستجيب فى البداية ، وتلعب ذلك الدور الإضافى لبعض الوقت ، إلا أن منشأها لا بد أن يتغلب فى النهاية ، فتنهار كلها ، وتسقط أمام الحمل الزائد ، إما مصابة بخلل أو مرض ما ، وإما أن تموت تمامًا .. وهذا يحدث فى كل الأحوال بلا استثناء ، عندما يدخن المرء لفترة طويلة ، أو يتناول الخمور ، أو يتعرض للأتربة ، أو الكيماويات ، أو الأشعة ، لفترة ما ، وربما يحدث تدريجيًا أو دفعة واحدة .. ولكنه حتمًا يحدث .. فالطبيعة قد تنحنى لبعض الوقت ، ولكنها لا تنهزم قط(*) ..

تبادل الدكتور (ناظم) والقائد الأعلى نظرة مدعمة بالانفعال ، قبل أن يسأل الأول فى لهفة :

(*) حقيقة علمية .

ـ ومتى يحدث هذا ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا يتوقف على عوامل عديدة ، لا يمكننى حسمها وحدى .

سأله القائد الأعلى :

ـ هل تعتقد أنك بحاجة للتعاون مع خبير طاقة مثلاً ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ بالطبع .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، ثم اعتدل فى مجلسه ، قائلاً فى حزم :

ـ عظيم .. سأصدر فورًا أمرًا بتكوين فريق مطاردة جديد ، برياستك يا دكتور (حجازى) ، وسأسند إليك مهمة اختيار كل من يتعاون معك من الخبراء والفنيين ، و ...

قاطعه الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ مهلاً يا سيدى القائد .. ما الداعى لإنشاء فريق جديد ؟! لمَ لا أنضمّ إلى فريق (نور) فحسب كالمعتاد ؟!

تطلّع إليه القائد فى دهشة ، قبل أن يقول :

- لقد أصيب (نور) إصابة فادحة ، ولن يستعيد وعيه ، قبل بضع ساعاتٍ ، والأمر لا يحتمل الانتظار .

أجابه الدكتور (حجازى) :

- ربما أصيب (نور) ، ولكن فريقه ما زال يضمّ أفضل الخبراء لدينا ، ولقد انضمّ إليهم مؤخرًا المهندس (طارق) ، وهو - طبقًا لتقاريركم - أفضل خبراء الطاقة النووية وتأثيراتها الحيوية ، فى الوقت الحالى .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، وهو يواصل التطلّع إلى الدكتور (حجازى) ، ثم لم يلبث أن تراجع فى مقعده ، قائلاً :

- دكتور (حجازى) .. أنت كبير أطبائنا الشرعيين ، وواحد من أفضل العلماء المعدودين فى مجالك ، ولكنك لست عسكريًا ، ولم تتولّ يومًا أية مهام أمنية مباشرة ، ولو أنك فعلت ؛ لأدركت أن قوة الفريق ، أى فريق ، لا تكمن فى خبرة أفراده وبراعتهم فحسب ، وإنما أيضًا فى قوة وبراعة قيادته ، وربما يتمادى بعض العسكريين ، ويؤكدون أن قوة الفريق تكمن فى قيادته .. كل القوة .. وفى حالتنا هذه ، صار فريق

(نور) بلا فائدة ، وهذا يعنى التخبّط والارتباك .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

- كل هذا سينتهى بسرعة ، وستنتظم الأمور على النحو الأمثل .

أجابه القائد الأعلى :

- ليس لدينا الوقت لحدوث هذا .. خصمنا يضرب ضرباته فى سرعة وعنف ، ونحن نلهث خلفه طوال الوقت ، ولو توقفنا لحظة ، ولو لالتقاط الأنفاس ، فلن يمكننا اللحاق به قط .

قال الدكتور (حجازى) فى إصرار :

- ولِمَ لا نمنحهم الفرصة لإثبات وجودهم ؟!

هزّ القائد الأعلى ، رأسه نفيًا فى حزم ، قائلاً :

- الموقف لا يحتمل التهاون أو التغاضى ، أو الانسياق خلف أية عواطف ..

أجابه الدكتور (ناظم) هذه المرة :

- إنها ليست مسألة عواطف يا سيّدى القائد .. لقد بدأ (نور) مع فريقه عملهم بالفعل ، ووضعوا خطة البحث ، وحتى بعد سقوط (نور) ، فهم يواصلون السير وفقًا لخطته ، وهم - بالتأكيد - أفضل من

يمكنه مواجهة أية تطورات مباغتة جديدة .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، و ...

وفجأة ، انطلق أزيز جهاز اتصال خاص ، على نحو جعل الدكتور (ناظم) يثب نحوه ، ويطالع الرسالة التى ظهرت على شاشته ، قبل أن يمتقع وجهه ، ويلتفت إلى الرجلين ، قائلاً :

ـ لقد ضرب النووى ضربته الجديدة .

سأله القائد الأعلى فى توتر بالغ :

ـ من ؟!

وأتاه الجواب كالصاعقة ..

فالضحية لم تكن مسئولاً سابقًا هذه المرة ..

لقد كان مسئولاً حاليًا ..

وعلى أقصى درجة من الخطورة .

* * *

٨ ـ الثالث ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. التاسعة صباحًا ..

فركت (نشوى) عينيها فى إرهاق شديد ، وعادت تتطلع إلى الكمبيوتر ، مغمغمة :

ـ لا فائدة .. الأمر ليس سهلاً أبدًا .. من الواضح أن تلك الفترة ، من القرن العشرين ، كانت حافلة بالأحداث للغاية ، فهناك عشرات القضايا ، التى تربط ما بين النائب العام ووزير الداخلية السابقين ، منذ كان الأول وكيلاً للنائب العام ، والثانى ضابطًا فى مباحث أمن الدولة .. لقد راجعت ملفات كل تلك القضايا ، ولكننى عجزت عن إيجاد صلة بينها وبين خصمنا ، خاصة وأننا نجهل اسمه وهويته الحقيقيين .

أجابها (طارق) فى هدوء :

ـ واصلي المحاولة .. ابحثى عن قضايا حدثت منذ ثلاثين عامًا تقريبًا ، يرتبط الجانى فيها بطفل صغير .. ابن .. أخ .. أى شىء آخر .

سأله (أكرم) فى دهشة :

ـ ولماذا هذا بالتحديد ؟!

لم يرفع (طارق) عينيه عن جهازه ، وهو يجيب :

ـ صحيح أننا نجهل هوية خصمنا ، إلا أن ملامحه تؤكدُ أنه فى حدود الثلاثينات من عمره ، ورغبته فى الثأر من مسئولين سابقين بالتحديد ، توحى بأن غضبه يعود إلى مرحلة قديمة ، والأرجح أنه بسبب إدانة أحد المقربين له .. أب مثلاً ، أو شقيق .. وأعتقد أن هذا القريب قد حصل على حكم بالإعدام .

التفتت إليه (سلوى) فى دهشة ، وخيِّل إليها أنها تسمع زوجها (نور) يتحدَّث ، فى حين فغر (أكرم) فاه ، قائلاً :

ـ ومن أدراك أنه أعدم ؟

تراجع (طارق) فى مقعده ؛ وواصل العمل على جهازه بامتداد يده ، مجيبًا :

ـ موت ذلك القريب وحده يمكن أن يولِّد فى أعماق طفل ما كل هذا الغضب والمقت ، ويشعل فى أعماقه رغبة عارمة فى الثأر والانتقام .

كان (رمزى) يراجع فيلم (أنباء الفيديو) ،

عندما نطق (طارق) هذا ، فالتفت إليه فى دهشة ، وسأله :

ـ كيف يمكنك أن تعرف هذا ؟!

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ أتعنى أن ما قاله صحيح ؟!

لم يهتمّ (رمزى) بإجابة سؤاله المستنكر هذا ، وهو يتطلع فى لهفة إلى (طارق) ، الذى بدا عليه اهتمام شديد بضع لحظات ، وهو يطالع شاشة جهازه ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـ إننى من هواة مطالعة كتب الطب النفسى .

تضاعفت دهشة (رمزى) ، وهمَّ بإلقاء سؤال آخر ، لولا أن التفت إليه (طارق) فجأة ، يسأله فى اهتمام :

ـ هل توصلت إلى شىء ، من فحص الفيلم ؟!

اعتدل (رمزى) مجيبًا فى حماس :

ـ بالطبع .

هتفت (نشوى) :

ـ حقًا ؟!

التفت (رمزى) إلى شاشة العرض ، قائلاً :

- لقد قمت بتكبير الصورة عدة مرات ، فتوصلت إلى الكثير .

ترك كل منهم عمله ، والتفوا حوله ، وهم يتطلعون إلى الشاشة ، فى حين أدار هو ذلك المشهد ، الذى رفع فيه النووى عينيه المضيئتين ، وتطلّع إلى آلة التصوير مباشرة ، وقال (رمزى) :

- انظروا .. فى البداية سيبهركم ذلك الضوء ، المنبعث من عينيه ، ولكن لو أسدلنا مرشحًا داكنًا على الصورة هكذا ، فسيلغى أثر الضوء ، وتبدو لنا ملامحه واضحة .

وبضغطه زر ، أسدل ذلك المرشّح الداكن على الصورة ، ثم ثبّت المشهد ، متابعًا :

- انظروا إلى تلك النظرة المخيفة ، المطلّة من عينيه ، وإلى ذلك الميل فى ركن شفتيه .. إنه يتلذّذ بكل خطوة يقوم بها ، وبكل قطرة دم يريقها .. شخصية ثأرية وحشية ، أقرب إلى الجنون ، ولكنه ذلك النوع من الجنون ، الذى برز من طرف عبقرية فطرية ، بلغت حدّها الأقصى .. إنه ينفذ مخططًا مدروسًا ، ربما أعدّه منذ عشرات السنين ، ولديه

وبضغطة زر ، أسدل ذلك المرشّح الداكن على الصورة ، ثم ثبّت المشهد ، متابعًا : ـ انظروا إلى تلك النظرة المخيفة ؟ ..

قائمة مسبقة بأسماء وعناوين ، وربما كل المعلومات عن ضحاياه ، ويستنفر كل قواه الجديدة لتدميرهم ، على نحو يعلن للعالم كله أنهم قد دفعوا ثمن ما اقترفوه بشأنه ، أو بشأن من يثأر من أجله ، أو يثأر له .

سأله (أكرم) فى حيرة :

ـ ولكن مع قواه الرهيبة هذه ، لماذا لم يثأر من كل خصومه فى آن واحد ؟ أعنى أنه لو انتقل من واحد إلى آخر ، خلال بضع ساعات ، لما تمكنت أية قوة من اعتراض سبيله ، ولظفر بهم جميعًا فى ليلة واحدة .

لوّح (رمزى) بسبّابته ، قائلاً :

ـ ويخسر رد الفعل العام لانتصاره ؟! لا يا صديقى .. لو أننى فى موضعه ، لما فعلت هذا قط .. إنه سيظفر بخصومه واحدًا بعد الآخر ، ولكن بفارق زمنى واضح ، يتيح لنا أن نصاب بالذعر والهلع ، ونشد شعورنا ، ونعتصر أمخاخنا ، فى محاولة لاستنباط هدفه التالى .. إنها اللُعبة التى تمنحه متعة الثأر والانتقام .. نفس المتعة التى يحصل عليها ، عندما يذكر ضحيته بما فعلته ، قبل أن يمزّقها إربًا بمنتهى العنف والوحشية .

قال (طارق) فى اهتمام :

ـ لهذا إذن لم يحاول نسف الهليوكوبتر .

أجابه (رمزى) :

ـ بالضبط .. لقد أدرك أنها تلتقط صورته ، وكل ما يفعله ، ولقد ملأ هذا كيانه بالزهو ، وغذّى الجانب النرجسى من شخصيته ، فسمح لها بالبقاء .. بل وقام باستعراض قوته أمام آلة التصوير ، وأحاط نفسه بمجال الإخفاء .

انتهى (رمزى) من حديثه ، فران على المكان صمت تام ، قطعه (طارق) فجأة ، وهو يقول :

ـ تحليل عظيم يا دكتور (رمزى) ، ولكننى أعتقد أن رغبته فى الزهو ليست السبب الوحيد ، لوجود فارق زمنى بين مصرع كل ضحية وأخرى .

التفت إليه الجميع فى اهتمام ، وسأله (أكرم) فى عصبية واضحة :

ـ وما الأسباب الأخرى أيها العبقرى ؟!

صمت (طارق) بضع لحظات ، ثم التفت إلى شاشة جهازه ، مجيبًا :

ـ مازلت أواصل دراستها .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وبدا وكأن الجواب لم يرق له ، وأنه سيلقى سؤالاً آخر ، لولا أن ارتفع أزيز هاتف الفيديو بغتة ، فأسرعت إليه (سلوى) ، وضغطت زر تشغيله ، وقلبها ينبض فى عنف ، ولم تكد ترى وجه الدكتور (ناظم) على شاشته ، حتى سألته بسرعة ولهفة :

- ماذا هناك يا دكتور (ناظم) ؟!

أجابها الرجل فى توتر بالغ :

- النووى ضرب ضربته الثالثة .

تبادل الجميع نظرة شديدة التوتر ، قبل أن تسأله (سلوى) فى انفعال :

- من ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، ثم أجاب بتوتر أكثر :

- المدير .. مدير المخابرات العامة ... الحالى .

وكانت مفاجأة عنيفة للجميع ..

بل قنبلة ..

وشديدة الانفجار ..

* * *

- « كل شىء تم تصويره بالفيديو هذه المرة .. »

أشار الدكتور (محمد حجازى) بيده إلى شاشة عرض كبيرة ، وهو ينطق عبارته هذه ، فتطلّع إليه كل أفراد الفريق باهتمام بالغ ، جعله يضغط زر العرض ، متابعًا :

- فمن الطبيعى أن يحاط منزل مدير المخابرات العامة بكل وسائل المراقبة المعروفة .

بدأ العرض على الشاشة بمشهد طبيعى ، لرجال الحراسة حول منزل مدير المخابرات ، وكل منهم يحمل مدفعه الليزرى ، فى حين تقف سيارة كبيرة ، داكنة النوافذ ، متأهّبة لأية تحركات طارئة ..

ثم ظهر النووى ..

كان يسير فى هدوء ، واضعًا كفيه فى جيبى سترته ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، لأحد الألحان الشعبية المعروفة ، فتأهّب رجال الحراسة ، وتحفزوا بمدافعهم الآلية ، إلا أنه تطلّع إليهم فى سخرية ، وقال :

- عظيم .. رد فعل سريع ومناسب .

أجابه أحد رجال الحراسة فى صرامة ، وهو يصوّب إليه مدفعه الليزرى :

ـ ابتعد عن هنا يا صاح .. امض فى طريقك دون توقُّف .

اتسعت ابتسامة الشاب الساخرة ، وهو يقول :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟!

صاح به الحارس فى غضب :

ـ أعتقد أن هذه الحماقة ستؤدى بك إلى الندم .

بدأ جسد الشاب يتألق فجأة ، مع عبارته الساخرة :

ـ ترى هل سيكون الندم من نصيبى أم من نصيبك ؟!

اتسعت عيون رجال الحراسة في دهشة ، وارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه ضحكات الشاب الساخرة ، وجسده يزداد تألقًا أكثر وأكثر ..

ولم ينتظر رجال الحراسة أكثر ..

لقد انطلقت الأشعة من مدافعهم الليزرية بلا تردُّد ، واتجهت كل خيوطها نحوه ..

ولكنه انقضَّ عليهم ..

وانطلقت كراته النارية ..

ودوت الانفجارات ..

ومع دويها ، طارت الأجساد الممزَّقة ، وسلبت الأرواح بلا هوادة ..

وفى داخل المنزل ، كان طاقم الحراسة الداخلى قد شاهد ما حدث ، وأدرك الخطر المحدق بمدير المخابرات ، فور رؤيته ما حدث فى الخارج ، عبْر شاشات المراقبة ، فبدأ تحركاته بأقصى سرعة ؛ لحماية المدير ، وتنفيذ خطة الطوارئ ، للفرار به ، من ذلك الهجوم المباغت ..

ولكن ذلك النووى كان يتحرك بسرعة مخيفة ..

لقد تجاوز رجال الحراسة ، ونسف الأسوار المحيطة بالمنزل ، ثم انقضَّ على الجدران ، وسحقها سحقًا بصاعقة عجيبة ، انطلقت عندما ضمَّ قبضته إلى بعضها ، فى نفس اللحظة التى نجح فيها طاقم الحراسة الداخلى فى إخراج المدير ، من مخرج خلفى للطوارئ ، واستقلوا معه ومع زوجته سيارة صاروخية مصفحة ، للانطلاق مبتعدين ..

وقبل أن تنطلق السيارة المصفَّحة ، حاملة المدير وزوجته ، مع نصف طاقم الحراسة الداخلى ، انقضَّ عليهم الشاب ، وقد تحوَّل جسده إلى كتلة من الضوء المبهر ..

وبكل بسالة واستماتة ، تصدى له النصف الثانى

من الطاقم ، وانطلقت أشعة مدافعهم الليزرية ، مع انطلاق السيارة المصفحة ..

وهوت كرات النار مرة أخرى ..

وانسحق رجال الحراسة الشجعان ..

وفى هدوء ، وبعينين متألقتين ، وقف النووى يتطلع إلى السيارة الصاروخية المصفحة ، التى انطلقت مبتعدة ، بأقصى سرعة يسمح بها الطريق ..

ثم ضم قبضتيه ، وصوبهما إلى السيارة ، و ...

وانطلقت صاعقة أخرى رهيبة ..

صاعقة أضاءت المنطقة كلها بضوء أزرق مبهر ، وهى تشق طريقها عبر الشارع ، حتى ارتطمت بالسيارة ..

وكان الانفجار هائلاً هذه المرة ..

وطارت السيارة المصفحة ، ثم هوت ترتطم بالأرض ، وتتدحرج فوقها فى عنف ..

وفى خطوات هادئة ، ظافرة ، اتجه النووى نحو السيارة ، التى استقرت في وضع مخيف ، وقد انقلبت رأسًا على عقب ، وحطم الزجاج المصفح لأحد نوافذها ، بصاعقة أخرى محدودة ، ثم انتزع مدير المخابرات من داخلها ..

كان الرجل مصابًا بشدة ، والدماء تنزف من أماكن شتى بجسده ، فى حين لقيت زوجته مصرعها ، مع أحد أفراد طاقمه الخاص ، وأصيب الاثنان الآخران إصابات قاتلة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد حاول أحدهم التقاط مدفعه الليزرى ، إلا أن النووى أطلق نحوه كرة من النيران ، قتلته على الفور ، وأشعلت النيران في السيارة كلها ..

ومع صرخات الحارس الأخير ، الذى تلتهمه النيران ، راح النووى يتحدث مع مدير المخابرات بضع لحظات ، فحدق هذا الأخير فى وجهه بدهشة ، قبل أن تنقلب سحنة الشاب على نحو مخيف ، جعله أشبه بوحش مفترس ، وهو يمزق المدير فى عنف رهيب ، جعل (نشوى) تطلق شهقة رهيبة ، فى حين أشاحت (سلوى) بوجهها ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! يا للبشاعة !

وعض (أكرم) شفته السفلى ، متمتمًا :

ـ الوغد السادى المجنون .

أما (رمزى) و (طارق) ، فقد بدا كل منهما شديد الاهتمام بمتابعة ما يحدث ، دون أن يضيعا

لحظة واحدة فى الغضب والاشمئزاز والاستنكار ..

ومن شاشة العرض ، تعالى صوت أبواق سيارات الأمن ، التى هرعت إلى موقع الحادث ، ولكن النووى لم يبال بها ، وهو يحدق فى أشلاء ضحيته بنظرة جنونية وحشية ، ثم لم يلبث أن التفت إلى حيث يأتى صوت الأبواق ، وارتسم غضب مخيف على ملامحه ، فتمتم (أكرم) فى سخط :

ـ كم قتل هذا الوغد من ضحايا الليلة !

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ كل من شاهدتهم .

التفت إليه (أكرم) ، يسأله فى دهشة :

ـ فقط ؟!

أشار الدكتور (حجازى) إلى الشاشة ، قائلاً :

ـ تابع ما يحدث .

استدار (أكرم) مرة أخرى إلى الشاشة ، حيث بدا الشاب ، والغضب يكتسح كل خلية من خلاياه ، ثم ضمّ قبضتيه ، فشهقت (نشوى) ، وهى تتوقّع انطلاق صاعقة أخرى من قبضتيه ، تنسف سيارات الأمن ..

ولكن هذا لم يحدث ..

فقط تألّقت قبضتاه ببريق أزرق ، لم يلبث أن تلاشى فى سرعة ، فانقلبت شفتاه فى سخط غاضب ، ثم تألق جسده مرة أخرى ، وهو يسير مبتعدًا فى هدوء ، حتى تلاشى فجأة ، فهتف (أكرم) فى انفعال :

ـ هل شاهدتم هذا ؟! هل رأيتم ما حدث ؟!

أجابه (طارق) فى اهتمام :

ـ لقد عجز عن إطلاق صاعقته .

هتف الدكتور (حجازى) فى حماس :

ـ بالضبط .. هذا ما أردت أن تروه .

قالت (سلوى) فى انفعال :

ـ إذن فهذا أحد الأسباب الرئيسية ، لعجزه عن القضاء على كل ضحاياه فى ساعات معدودة .. إنه يفقد قدراته الهجومية إلى حد كبير ، بعد كل قتال عنيف .

سألت (نشوى) فى حيرة :

ـ ولكن كيف يمكنه استعادة قواه ؟! إنه لم يسع حتى لإعادة شحن خلاياه بالطاقة ؟! لم نتلق أية بلاغات ، حول هجوم على إحدى المحطات النووية !

أجابها الدكتور (حجازى) :

ـ هذا لأن وسيلة إعادة الشحن ، أو بمعنى أدق ، استعادة الطاقة بالنسبة إليه ، تختلف عن وسيلة إعادة شحن بطارية صواريخ نووية .

التفت إليه (رمزى) فى اهتمام ، قائلاً :

ـ لأنه بشرى .

أشار إليه الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ بالضبط .. على الرغم من كل ما اكتسبه ، وكل ما فعله ، فهو لا يزال بشريًا خلاياه المشحونة بالطاقة مازالت خلايا بشرية ، لم تنس هويتها الحقيقية بعد ، لذا فهى تحتاج إلى عاملين حيويين للغاية ، لاستعادة نشاطها وقوتها .

ولوَّح بسبابته وإبهامه ، مضيفًا فى حزم :

ـ النوم ، والطعام .

عدَّل (طارق) وضع منظاره فوق أنفه ، وقال :

ـ لا ريب فى أنه سيحتاج إلى كميات كبيرة من الطعام ، مع ساعات قليلة مركزة من النوم ، بعد كل هجوم عنيف .

التفت إليه (أكرم) ، وهمَّ بقول شىء ما ، ولكن (طارق) تابع فى صرامة ، وكأنه يوجه حديثه إليه :

ـ إننى أدرس تأثير الطاقة على جسده ، منذ بدأ هذا الأمر .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وقال :

ـ بالطبع .. أنت لا تجهل شيئًا قط .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى الدكتور (حجازى) ، الذى لم يفته ما حدث ، وقال بسرعة ، محاولاً فضَّ ذلك الاشتباك ، قبل أن يبدأ :

ـ إننى هنا بالتحديد للتعاون معك ، فى هذه الدراسة بالذات ، فهى تحتاج إلى خبير طبى أيضًا .

رفع (طارق) حاجبيه فى اهتمام ، قائلاً :

ـ سيساعدنى هذا كثيرًا بالتأكيد .

اندفعت (نشوى) تقول فجأة :

ـ أعتقد أن ما حدث سيفيدنا كثيرًا ، من ناحية أخرى .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ـ بالطبع ، فلقد ظهرت علاقة جديدة ، يمكن أن تقودنا إلى تحديد شخصية وهوية خصمنا على نحو أدق .

التفتت إليه (نشوى) فى إعجاب ، قائلة :

ـ أرأيتم فائدة الزواج من خبير بالطب النفسى ؟!

قال (رمزى) فى هدوء :

ـ الأمر لم يكن بحاجة إلى خبير فى الطب النفسى لاستنتاجه يا (نشوى) ، فأنت تبذلين قصارى جهدك منذ البداية ؛ لتحديد الهوية الحقيقة لخصمنا ، وكل معلومة جديدة تساعد على تضييق دائرة البحث كثيرًا .. الآن نحن نعلم أن تلك القضية ، التى فجرت رغبة النووى فى الثأر ، قد جمعت يومًا ما بين النائب العام السابق ، ووزير الداخلية الأسبق ، ومدير المخابرات العامة الحالى ، وهكذا يصير الأمر أكثر سهولة بالتأكيد .

ثم تراجع فى مقعده ، متابعًا فى اهتمام ، مشوب بالكثير من القلق :

ـ ولكن المشكلة أنه من الضرورى أن تبذلى جهدًا خرافيًا ؛ للتوصل إلى تلك الهوية ، بأسرع وسيلة ممكنة ، ليس كمحاولة لتحديد الباقين فى قائمة ضحاياه فحسب ، ولكن لأنه من الواضح أن تلك الشحنة النووية ، قد أطلقت كل الجنون ، الكامن فى عقله الباطن وخلايا مخه الرمادية ، إذ إنه يزداد

جنونًا ووحشية فى كل مرة ، ويميل أكثر وأكثر إلى النرجسية والاستعراض ، ولست أدرى كيف سيصبح حاله ، عندما يواجه ضحيته التالية .. ربما نجد أنفسنا أمام نسخة شيطانية رهيبة ، لا قِبَل لكل قوى الأرض بمواجهتها .

هبطت كلماته عليهم كضربة عنيفة ، خفقت لها قلوبهم وعقولهم ، فران عليهم صمت رهيب ، وتبادلوا نظرات متوترة ، مع بعضهم ، قبل أن تغمغم (نشوى) بأنفاس مبهورة :

ـ رباه ! يبدو أنه ليس علىَّ أن أنام ، قبل أن ينتهى هذا الأمر .

تطلَّع إليها (طارق) لحظة فى اهتمام صامت ، ثم اعتدل ، قائلاً :

ـ أعتقد يا رفاق أن الأمر يحتاج إلى نوع من التطوير .

سأله (أكرم) بلهجة عدوانية :

ـ أى تطوير هذا أيها العبقرى ؟!

أجابه (طارق) فى حسم :

ـ خطة .

ارتسمت الدهشة على وجوههم جميعًا ، فتابع بسرعة :

ـ إننا نحتاج إلى خطة جديدة ، تتفق مع المعطيات التى توصلنا إليها ، على ضوء المعلومات الجديدة ، الخاصة بقدرات خصمنا ، ونقاط ضعفه ، وتطوراته الجسدية والنفسية .

واكتسى صوته بتلك الصرامة العجيبة ، وهو يضيف :

ـ باختصار .. لابد أن نضع خطة القتال الجديدة .. فورًا .

تطلعوا إليه جميعًا فى دهشة متوترة ، وتبادلوا نظرات صامتة ، قبل أن تتنهد (سلوى) ، مغمغمة فى أسى :

ـ كم أفتقد (نور) !

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، فالتقط الدكتور (حجازى) سماعته بحركة آلية ، دون أن يضىء شاشته ، وقال :

ـ هنا الدكتور (محمد حجازى) .. من المتحدث ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وأطلّ توتر وقلق بالغين من ملامحه وصوته ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! ومتى حدث هذا ؟!

هبَّ (أكرم) من مقعده بحركة حادة ، واستلَّ مسدسه ، قائلاً فى انفعال :

ـ هل ضرب ضربته الجديدة ؟!

التقى حاجبا (طارق) ، وهو يغمغم :

ـ بهذه السرعة ؟!

أما (سلوى) و (نشوى) و (رمزى) ، فقد انتقل إليهم قلق وتوتر الدكتور (حجازى) ، وهم يتطلعون إليه فى لهفة ، وهو يقول :

ـ سنتصل على الفور .

ثم أنهى المحادثة ، وهو يلتفت إليهم ، وخفق قلب (سلوى) فى عنف ، وهى تتطلع إليه بنظرة متسائلة مذعورة ، قرأتها عيناه على الفور ، فغمغم فى أسى :

ـ إنه زوجك يا (سلوى) .

شهقت بكل ذعر الدنيا وارتياعها :

ـ (نور) ؟! لا ..

وهوى قلبها بين قدميها ..

كالطير الذبيح ..

* * *

تعلقت عينا الشاب النووى بشاشة أجهزة الفحص ، وهى ترسم نتائجها الجديدة ، عَبْر الأسلاك المتصلة بجسده ، وراح قلبه يخفق فى عنف مخيف ، وعلى نحو يكفى لقتل أى إنسان عادى(*) ..

كان من الواضح أن خلاياه تتجه إلى نقطة رهيبة ..

نقطة لم ينتبه إليها الدكتور (فؤاد) ، وهو يجرى أبحاثه ودراساته ..

ولم يدركها هو ، عندما بدأ كل هذا ..

وفى غضب ، انتزع الأسلاك عن جسده ، ونهض هاتفًا :

ـ كان ينبغى أن يدرك هذا .. كان من الضرورى أن يكمل أبحاثه أولاً .

انتابته مرة أخرى ثورة الغضب الصارمة ، وكاد يحطِّم كل ما حوله ، لولا البقية الباقية من تماسكه ، والتى جعلته يدرك أن هذه الآلات هى آخر أمل له فى البقاء ..

(*) إذا ما ارتفع عدد دقات القلب ، ليفوق الستمائة نبضة ، فى الدقيقة الواحدة ، تعجز عضلات القلب عن ضخ الدم إلى شرايين الجسد ، ويصاب القلب بالإخفاق ، وتنهار قدراته ، مما قد يؤدى إلى الوفاة .

وفى أعماقه ، شعر بتلك التقلصات المعتادة ، فمطَّ شفتيه ، قائلاً فى حنق :

ـ الطعام .. الطعام .. لم يعد بوسعى الاستغناء عن وجبة واحدة .

أخرج الأطعمة التى ابتاعها ، فى أثناء عودته من منزل مدير المخابرات ، وراح يلتهمها فى نهم عجيب ، أثار دهشته بحق !

إنه لم يكن يتصوَّر قط أنه قادر على التهام كل هذا القدر من الطعام !!

بل ولا يدرى حتى كيف يمكنه استهلاكه !!

ولكن الوقت لم يكن يسمح له بالتفكير والبحث والدراسة ..

إنه لا يكاد يكفى لإنهاء مهمته ..

وخاصة مرحلتها الأخيرة ..

مرحلة القضاء على آخر ضحاياه ..

وأكثرهم أهمية ، وخطورة ..

انتهى من التهام كل هذا القدر الهائل من الطعام ، ثم ألقى جسده فوق فراشه ، والنعاس يداعب جفنيه فى قوة ..

النوم أيضًا صار أمرًا تستحيل مقاومته ..

ولا يمكن تجاهله ..

إنه وسيلته الوحيدة لاستعادة نشاطه وقواه ..

ولكنه في هذه المرة كان يفكر كثيرًا ..

ويستعيد بعض الذكريات البعيدة ..

البعيدة للغاية ..

وفي ذهنه ، ارتسم وجه مذعور ، يطلّ عليه من خلف القضبان ، وصوت وكيل النيابة يجلجل في قاعة المحاكمة ، مطالبًا بتطبيق أقصى عقوبة ..

مازال يحفظ كل كلمة ترددت في أثناء المحاكمة ..

وكل حرف ..

الاتهامات ..

المرافعات ..

الأدلة ..

ثم قرار الإدانة ..

« حكمت المحكمة حضوريًا ، بإحالة أوراق المتهم إلى فضيلة المفتي ..»

عبارة صارمة حازمة ، أعلنت مولد النهاية ..

وكانت هناك محاولات ..

وتظلمات ..

والتماسات ..

ولكن بلا فائدة أو جدوى ..

وجاءت لحظة التنفيذ ..

والإعدام ..

انتفض جسده في عنف ، عندما بلغ بذكرياته هذه النقطة ، وتصاعدت موجة الغضب مرة أخرى من أعماقه ، حتى بلغت ذروتها المعتادة ، فصرخ :

- كلهم سيدفعون الثمن .. كلهم .

وعلى الرغم من رغبته العارمة في النوم ، هبّ جالسًا على طرف فراشه ، وراح قلبه يخفق في عنف أكثر .

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم نهض في حركة حادة ، وجلس أمام أجهزة الفحص ، وأخذ يتطلع إليها في توتر بالغ ، جعل عينيه تومضان على نحو مخيف ، قبل أن يلتقط الأسلاك في حركة حادة ، ويعيد توصيلها بجسده ، ويشعل الأجهزة ..

ومرة أخرى ، تعلَّقت عيناه بالشاشات ..
والمنحنيات ..
والنتائج ..
وفى دقة بالغة ، أخذت الأجهزة تقدم النتائج ، التى تثير غضبه وألمه وسخطه ..
عقار (سترونجالين) كانت له نتائج مذهلة بالتأكيد ..
وأعراض جانبية بالغة العنف ..
والقسوة ..
والخطورة ..
لقد بدأت خلاياه في تحوّرات كثيرة ، جعلتها قادرة على توليد الطاقة الكهربية ، بعدة وسائل مختلفة ، مستغلة تفاعلات الجسم الطبيعية ، وأنزيماته المتعددة(*) ..
ولكن هذه التحوّرات لم تمض بسهولة ..

(*) الأنزيمات : مواد مسئولة عن معظم التغيرات الكيميائية ، التى تحدث فى المادة الحية ، وعلى الرغم من أنها تسبب عدة تفاعلات معقدة فى الجسم ، إلا أنها لا تتأثر بهذه التفاعلات ، إذ إنها فى الحقيقة مواد عضوية محفزة ، وهى سهلة التحطم بالغليان ، وببعض أنواع السموم .

لقد فقدت خلاياه قدرتها على إعادة شحن الطاقة ، وهذا يعنى أنه ما من وسيلة ، فى الكون كله ، لاحتفاظه بقدراته النووية طويلاً ..
ولكن هذه ليست المشكلة الوحيدة ..
إنها فى الواقع لا تعني شيئًا ، إزاء النتيجة المخيفة ، التى ستتحقق حتمًا ، طبقًا لما أكدته كل أجهزة الفحص ، كرد فعل طبيعى للتفاعل ، ما بين خلاياه وأنظمته الحيوية ، وكل تلك الطاقة فى أعماقه ..
إنه ، ومع الفقدان المستمر للطاقة ، سيبلغ مرحلة ما ، تجعل جسده أشبه بالكتلة الحرجة للمادة المشعة(*) ..
وعندئذ ، سيتحوّل جسده كله إلى قنبلة ..
قنبلة نووية قابلة للانفجار ..
مع أوّل صدمة .

* * *

(*) الكتلة الحرجة : هى أصغر كمية ممكنة ، فى مادة قابلة للانشطار ، مثل اليورانيوم ٢٣٥ ، يمكن أن تساعد على استمرار تفاعل متسلسل ، وهى ضرورية لإنتاج طاقة مفيدة ، أو توليد انفجار رهيب .

وعندئذ ، سيتحول جسده كله إلى قنبلة .. قنبلة نووية قابلة للانفجار ! ..

٩ ـ عد تنازلى ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الحادية عشرة والنصف صباحًا .

انهمرت دموع (سلوى) كالسيل ، وهى تقف مع رفاقها أمام حجرة (نور) ، فى قسم رعاية الحالات الحرجة بالمستشفى ، فى حين ارتبك الطبيب المسئول ، وهو يحاول تهدئتها ، قائلاً :

ـ اطمئنى يا سيدتى .. إننا نبذل قصارى جهدنا لتجاوز هذه الأزمة .. لقد ارتفعت درجة حرارته بغتة ، وهذا يوحى بوجود بعض المضاعفات ، التى لم ننتبه إليها .. سنعيد فحصه بعد لحظات ، وسيصبح كل شىء على ما يرام بإذن الله .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ولكن الممرضة التى اتصلت بنا ، قالت إن ...

قاطعه الطبيب فى توتر :

ـ من الواضح أن هذه الممرضة قد أخطأت التعبير

عن الموقف .. لقد كانت تنفذ سياسة المستشفى ، التى تحتم إبلاغ إدارة المخابرات العلمية بأية تطوّرات ، تحدث لأحد رجالها .. إننى أعتذر نيابة عنها .

صاح به (أكرم) فى حدة :

ـ تعتذر ؟! أتظن هذا يكفى ؟!

أشار إليه الدكتور (حجازى) بالصمت ، والسيطرة على غضبه ، وهو يسأل الطبيب :

ـ قل لى يا رجل : أى مدى يمكن أن تبلغه تلك المضاعفات ؟!

تردَّد الطبيب لحظة ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ لا يمكننا التحديد بعد .. الأمر يحتاج إلى بعض الفحوص أولاً .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه فى ضيق ، مغمغمًا :

ـ الفحوص .. الفحوص .. لا أحد يمكنه حسم أى أمر بدون الفحوص والتحاليل .

أجابه (رمزى) :

ـ هذا أمر طبيعى يا دكتور (حجازى) .

لوَّح الدكتور (حجازى) بيده ، قائلاً :

ـ فى أيامنا ، كنا نعتمد على دلالات أخرى كثيرة .

ابتسم الطبيب ، قائلاً :

ـ لم يعد من المسموح به أن نفعل هذا ، فى هذه الأيام .

همَّ الدكتور (حجازى) بقول شىء ما ، لولا أن ظهرت (مشيرة) فجأة ، وخلفها مصور الجريدة ، وهما يندفعان نحوهم ، و (مشيرة) تسأل الطبيب فى لهفة :

ـ كيف حال المقدِّم (نور) ؟! هل ترتبط إصابته بتلك الأحداث العنيفة ، التى تشهدها (القاهرة) الجديدة ، فى هذه الأيام ؟!

تراجع الطبيب فى دهشة ، فى حين هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ (مشيرة) !

أشار إليه (رمزى) ، قائلاً :

ـ لا تحاول .. إنها صحفية ، ولن يمكنها نسيان هذا قط .. إنه أمر يسرى فى كيانها ، ويجرى فى عروقها مجرى الدم .

بدا الضيق على وجهى (سلوى) و (نشوى) ، وهما تتبادلان نظرة عصبية ، فى حين لم يبد على

(مشيرة) أنها حتى قد شعرت بوجودهم ، وهى تسأل الطبيب فى لهفة :

ـ هل تتوقع أية تطورات جديدة ؟!

ارتبك الطبيب ، وهو يقول :

ـ سيدتى .. إننى ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة ، موجهًا حديثه إليها :

ـ الطبيب لن يمكنه الإدلاء بأية معلومات فى هذا الشأن ، هذا محظور قانونًا .

رمقته بنظرة متحدية ، وأشارت إلى آلة التصوير ، قائلة بلهجة مستفزة :

ـ هل تعلم أننا نبث برنامجنا ، على الهواء مباشرة ، يا سيد (أكرم) ؟!

فاجأه قولها هذا ، ولكنه تماسك تمامًا ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ نعم .. أعلم هذا .

التقى حاجباها ، وهى تتبادل معه نظرة غاضبة ، تحمل المزيد من التحدى والعناد ، قبل أن تلتفت إلى آلة التصوير ، قائلة :

ـ هذا ما أردت أن تروه بالضبط أيها السادة ..

غرور وتعنت المسئولين عن أمننا ، فى ظروف شديدة الحرج كهذه .. هناك قوة ما .. شىء ما يهاجم عددًا من مسئولينا السابقين والحاليين ، ويغتالهم بمنتهى العنف ، ورجال الأمن يقفون عاجزين عن التصدى له .. حتى ذلك الفريق العبقرى .. فريق المقدم (نور) ، الذى تعرفونه جميعًا ، وتذكرون بطولاته فى فترة الاحتلال(*) ، يقف حائرًا عاجزًا ، وخاصة بعد إصابة (نور) .. العقل المفكر ، والمحرك الأساسى للفريق .

أشاحت (سلوى) بوجهها ، قائلة فى عصبية :

ـ لن يمكننى احتمال المزيد .

دفعتها (نشوى) جانبًا ، وهى تقول فى حنق :

ـ دعينا نبتعد عن هنا قليلاً يا أماه ، فالهواء الفاسد يرهق أنفاسى .

وقال (أكرم) فى غضب :

ـ لست أدرى كيف يمكننى احتمالها طوال الوقت !

تمتم (رمزى) :

ـ لأنك تحبها يا رجل .

مط الدكتور (حجازى) شفتيه بلا تعليق ، فى

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

حين بدا (طارق) شديد الاهتمام بحديث (مشيرة) ، التى تتابع فى حماس :

ـ السؤال الذى يقلق الجميع الآن هو : ترى هل يمكن أن يواصل الفريق عمله بنجاح ، فى غياب قائده ؟! إننا ، لو راجعنا ملف الفريق ، فسنجد أنه لم يحقق طوال عمله سوى الانتصار تلو الآخر ، ولكن كل هذا كان تحت قيادة (نور) ، فما الذى سيحدث بعد غيابه ؟! هل يرتبك الفريق ويتخبّط ؟! هل يعجز عن مواجهة الموقف ، أيًا كان ؟! هل ...

قاطعها (طارق) ، وهو يتجه إليها فجأة ، قائلاً :

ـ معذرة .. لدى ما أرغب فى قوله للمشاهدين .

التفت إليه الجميع فى دهشة بالغة ، حتى (مشيرة) نفسها ، التى كادت تفقد اتزانها ، أمام مبادرته المباغتة ، لولا خبرتها الطويلة فى هذا المضمار ، والتى جعلتها تقول فى انفعال ، لم تستطع حجبه :

ـ بالتأكيد .. كلنا لهفة لسماع ما لديك .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ اللعين !

أشار إليه (رمزى) بالصمت ، وهو يراقب

ما يحدث فى اهتمام ، فمطّ شفتيه فى حنق ، وأشاح بوجهه ساخطًا ، فى حين سألت (مشيرة) (طارق) فى اهتمام :

ـ إنك أحد أفراد الفريق .. أليس كذلك ؟!

عدّل (طارق) وضع منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يجيب :

ـ بلى .. أنا عمليًا أحدث أفراد الفريق ، إلا أننى أتابع عمله منذ سنوات ، ولقد قرأت كل ملفاته السابقة .

ثم اعتدل فى وقفته ، متابعًا فى حزم :

ـ ويمكننى أن أقول فى ثقة ، إن هذا الملف الجديد سينتهى أيضًا بانتصار الفريق .

سألته فى دهشة :

ـ وما مصدر هذه الثقة ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ أنا أحد أفراد الفريق ، وأدرك ما أقوله جيدًا .. لقد توصلنا إلى معلومات جديدة بالغة الأهمية ، حددت لنا هوية ذلك الذى نواجهه ، ولن تمضى ساعة واحدة ، حتى نكون قد حددنا موقعه أيضًا .. وخلال

هذه الساعة ، سيكون قائدنا (نور) قد استعاد وعيه ، ليقودنا مرة أخرى إلى نصر جديد .. كالمعتاد .

ارتفع حاجبا الطبيب فى دهشة ، لتلك الثقة البالغة ، التى يتحدث بها (طارق) ، والتفت ليعلن استنكاره لأفراد الفريق ، إلا أن عينيه ارتطمتا بكمّ هائل من الدهشة والاستهجان ، جعلاه يطبق شفتيه ، ويمطهما فى حنق ، وهو يتساءل كالباقين : تُرى ما الذى يهدف إليه (طارق) من هذه الأكاذيب ؟!

أما (مشيرة) ، فقد غمرها انفعال جارف ، وهى تستمع إلى حديثه ، وسألته فى لهفة :

ـ هل تعتقد حقًا أن الفريق سينتصر هذه المرة أيضًا ؟!

أجابها بمنتهى الثقة :

ـ بإذن الله (سبحانه وتعالى) .. صحيح أن الأمر يبدو شاقًا غامضًا ومخيفًا .. إلا أن هذا لا يعنى لنا شيئًا .. الأمور التى نواجهها دائمًا هكذا ، ولكننا لا نلبث أن ننتصر فى النهاية .

ثم التفت يواجه آلة التصوير مباشرة ، وهو يضيف فى حزم :

ـ صدقونى .. خصمنا لن ينتصر هذه المرة .. لن يفعل أبدًا .

نطقها على نحو انعقد له لسان (مشيرة) لحظة ، قبل أن تنفض الانبهار عن عقلها ، وتهتف فى حماس شديد :

ـ هل سمعتم هذا التأكيد أيها السادة ؟! ها هو ذا أحد أفراد الفريق يؤكد أنهم فى طريقهم للنصر ، وأن قائدهم (نور) لن يلبث أن يعود إلى موقعه ، فى غضون ساعة واحدة .. وصدقونى أيها السيدات والسادة .. لو عاد (نور) لقيادة الفريق ، فأنا واثقة ، طبقًا لتجارب عديدة سابقة ، أن النصر سيكون من نصيبه بإذن الله .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (طارق) ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

ثم عاد إلى الفريق بنفس الابتسامة ، متجاهلاً كل نظرات الدهشة والاستنتاج .

وبنظرة واحدة إليه ، أدرك (رمزى) أن (طارق) يخفى فى أعماقه أمرًا ما .

أمرًا بالغ الأهمية ..
والغموض .. والخطورة ..

* * *

« لست أفهم شيئًا .. لا يمكننى قط استيعاب ما فعلته .. »

صاح (أكرم) بالعبارة فى غضب ، وهو يلوّح بذراعيه ، ويقطع حجرة اجتماعات الفريق جيئة وذهابًا فى ثورة ، مستطردًا :

ـ إنك حتى لم تستشر أحدنا ، قبل أن تلقى بذلك الفيض من الأكاذيب ، على الهواء مباشرة .. لقد أوحيت للجميع بأننا قاب قوسين أو أدنى من الظفر بخصمنا النووى .

أجابه (طارق) فى هدوء مستفز :

ـ بالضبط .

صاح به (أكرم) :

ـ بالضبط ؟! أى قول هذا يا رجل ؟! هل تدرك بالفعل ما يعنيه هذا ؟!

إنه يعنى أننا أصبحنا مسئولين ، أمام العالم أجمع ، عن الوفاء بما التزمنا به .

هزّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

ـ إننا كذلك بالفعل ، منذ قبلنا هذه المهمة .

احتقن وجه (أكرم) ، مع هذا الجواب المنطقى ، فلوّح بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ هذا صحيح ، ولكن الأمر لا يقتصر على المسئولية فحسب ، ولكنك بإعلان ما أعلنته ، وعلى هذا النحو ، الذى يوحى بالثقة الشديدة ، ستثير ثائرة خصمنا النووى ، وتستفزه إلى أقصى حد .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (طارق) ، وهو يقول بنفس الهدوء :

ـ حقًا ؟!

تراجعت (نشوى) فى مقعدها ، وهى تتطلع إليه فى حيرة ، وعقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يتساءل عما يدور فى ذهنه ، فى حين اعتدل (رمزى) على مقعده ، وبدا عليه اهتمام بالغ ، و(أكرم) يصرخ :

ـ نعم أيها العبقرى .. حقًا .. لقد نجحت فى استفزاز خصمنا النووى .

اتسعت ابتسامة (طارق) ، على نحو كاد ينسف رأس (أكرم) ، من شدة الغضب ، لولا أن قال (رمزى) فجأة :

- ربما كان هذا ما يسعى إليه بالفعل .

تفجّرت الدهشة فى وجوههم جميعًا ، فيما عدا (طارق) ، الذى أشار إليه ، قائلاً :

- رائع يا دكتور (رمزى) .. إنك خبير نفسى بارع بالفعل .

حدّق الباقون فى وجه (طارق) بذهول ، وهتف (أكرم) ، وهو يشير إلى رأسه بأصابعه كلها .

- هل يمكن لأحدكما أن يشرح لى ما يدور هنا ؟! هل يمكننى أن أفهم مرة ماتخططون له فى أعماق عقولكم ؟!

نهض (طارق) من مقعده ، قائلاً فى بساطة :

- بالطبع .. هذا من حقك .

وعلى شاشة الشرح الضخمة ، التى تحتلّ مساحة كبيرة ، من أحد جدران الحجرة ، راح يرسم خطوطًا توضيحية ، قائلاً فى اهتمام :

- على الرغم من كل ما نبذله من جهد ، إلا أننا لم ننجح بعد فى التوصل إلى هوية خصمنا الحقيقية ، مما يمنعنا من تحديد ضحاياه الباقين ، أو أهدافه القادمة ، وكل ما نملكه من معلومات عنه ، هو أنه يستطيع الاختفاء ، بعد كل مهمة ، وربما كان هذا كل

ما يتبقى له من قدرات خارقة ، قبل أن يعود إلى مكان ما ؛ ليحصل على قدر مركز من النوم ، ويلتهم كمية ضخمة من الطعام .. وهذه المعلومات القليلة لا تكفى ، فى الظروف العادية ، لإلقاء القبض على مجرم عادى ، ولكن الظروف التى نواجهها وتواجهنا ليست عادية ، ونحن أيضًا لسنا فريقًا عاديًا ، لذا فمن المحتم أن نبذل قصارى جهدنا ، للتوصل إلى خصمنا ، ومنعه من الاستمرار فى لعبته الانتقامية البشعة ، باستخدام تلك المعلومات القليلة لدينا .

ثم اعتدل يواجههم ، مضيفًا فى حزم :

- وفى هذا الشأن لدىّ خطة .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

- خطة ؟!

واقترب منه ، مستطردًا فى حدة ، وهو يشير إلى صدره :

- اسمع يا هذا ، ربما كنت عبقريًا وخبيرًا فى مجالك ، ولكنك لا تمتلك الخبرة التى نمتلكها نحن ، فى وضع الخطط ومواجهة المخاطر .

قال الدكتور (حجازى) :

- دعنا نستمع إلى خطته أولاً يا (أكرم) .

هتف (أكرم) :

ـ أية خطة ؟! هل تعتقدون أن وضع الخطط أمرًا عشوائيًا ، يمكن أن يقوم به أى شخص ، لمجرد أنه خبير فى الطاقة وتأثيراتها ؟! سلوه إذن ، كيف سيمكنه مواجهة ذلك الخصم النووى ، إذا ما التقى به وجهًا لوجه ؟! وكيف ..

قاطعه (طارق) فى هدوء :

ـ باستخدام الزى الوقائى (م ف ـ ١٨) .

التفت إليه (أكرم) فى دهشة ، متسائلًا :

ـ زى ماذا ؟!

أجابه (طارق) فى اهتمام :

ـ الزى الوقائى (م ف ـ ١٨) .. إنه نوع من الدروع الواقية الحديثة ، يندرج تحت بند السرية المطلقة ، وهو مجهز بحيث يمكن لمرتديه احتمال انفجار صاروخ موجه ، أو الخوض فى قلب النيران لدقيقة كاملة .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أن (م ف ١٨) هذا ، يمكنه أن يصمد أمام كرات النار ، أو الصواعق الرهيبة ، التى يطلقها ذلك النووى ؟!

قبل أن يجيب (طارق) ، اندفع (أكرم) يسأله فى عصبية :

ـ قل لى يا هذا : لو أن ذلك الزى الواقى (م فى ـ ١٨) ، يندرج تحت بند السرية المطلقة ، فكيف أمكن لمثلك معرفة وجوده ؟!

عدّل (طارق) وضع منظاره على أنفه ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـ لقد شاركت فى وضع تصميماته النهائية .

فغر (أكرم) فاه دهشة ، وهو يحدّق فى وجهه ، فى حين قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ إنك لم تجب سؤال (رمزى) بعد يا (طارق) .. هل تعتقد أن (م ف ـ ١٨) هذا يمكنه أن يصمد أمام صواعق النووى وكراته النارية ؟!

صمت (طارق) لحظة ، ثم اعتدل ، مجيبًا فى حزم :

ـ كلا .

ارتفع حاجبا (نشوى) فى دهشة ، مكررة :

ـ كلا ؟!

أما (أكرم) ، فقد انعقد حاجباه فى حنق ، وهتف :

ـ أرأيتم ؟! لقد أخبرتكم أن وضع الخطط وإعدادها ليس ..

قاطعه (طارق) ، وهو يتابع فى حزم :

ـ ولكننا لن نواجهه مباشرة بالزى الواقى .. سندفعه فى البداية لخوض معركة عنيفة ، مع عدد من الوحدات القتالية ، التى تدار بأجهزة التحكم عن بعد ، حتى نستنفد معظم طاقته ، وعندئذ نهاجمه ، وندفعه إلى حيث يتمّ الإيقاع به .

انعقد حاجبا (أكرم) أكثر ، وبدا له هذا الجزء من الخطة منطقيًا للغاية ، فى حين قالت (نشوى) فى اهتمام :

ـ وماذا لو اكتفى بإخفاء نفسه ، والانسحاب من المعركة كلها ، حتى يستردّ قوته ؟!

أشار إليها مجيبًا :

ـ هنا يأتى دور السيّدة (سلوى) ..

كانت (سلوى) قد أصرّت على البقاء إلى جوار (نور) فى المستشفى ، لذا فقد تبادل الجميع نظرات قلقة ، قبل أن يغمغم (رمزى) :

ـ ولكن (سلوى) ليست خبيرة فى الاختفاء أو القتال العشوائى .

أجابه (طارق) فى سرعة :

ـ ولكنها خبيرة فى الصوتيات ، وهذا ما نحتاج إليه بالضبط .

وعاد يرسم منحنياته على شاشة الشرح ، متابعًا :

ـ الموجات الكهرومغنطيسية ، التى يحيط بها ذلك النووى نفسه ، تحجبه تمامًا عن الرؤية ، وتحجب حتى موجاته الحرارية ، بحيث يستحيل تعقّبه عن طريق أجهزة المراقبة العادية ، أو أجهزة التتبّع الحرارى ، وحتى أجهزة الرادار لن يمكنها كشف أمره ؛ لأن موجاته الكهرومغنطيسية ستشتّت موجات الرادار ، وتمنع انعكاسها .. الوسيلة الوحيدة لتتبعه إذن ، هى من خلال وقع قدميه ، فى أثناء ابتعاده ، وهذا يحتاج إلى خبرة فى التقاط تلك الأصوات ، وتحديد موقعها ، مهما بلغ خفوتها .

صمت (أكرم) لحظة ، وهو يتطلّع إلى (طارق) فى تردّد ، ثم لم يلبث أن سأله ، فى صوت أجش ، ولهجة عصبية :

- وكيف سيمكنك استخدام كل هذا ، ونحن نجهل بالفعل أين هو ، ولا متى ستأتى ضربته القادمة ؟!

أجابه (طارق) فى اهتمام بالغ :

- هناك وسيلتان لمواجهته ، فى الوقت الحالى .. إما أن نستفزه بشدة ، بحيث نستدرجه إلى صراع جانبى ، يوقف حملته الثأرية مؤقتًا ، ويدفعه هو إلينا ، بدلاً من أن نسعى نحن إليه ، وهذا ما أحاول فعله فى الوقت الحالى .

هتف (أكرم) :

- رباه ! هل تحاول جذبه إلينا هُنا ؟! هل تدرك كم من الضحايا سوف تمتلئ بهم الطرقات ، لو أننا قاتلناه فى مكان كهذا ؟! إنك لاتستطيع منح كل شخص هنا زيًا واقيًا ، من طراز (م ف - ١٨) .

أجابه (طارق) :

- بالتأكيد ، لذا فعلينا أن ننقل مقرنا إلى أحد الأماكن الصحراوية ، البعيدة عن العمران ، وأن نعلن عن هذا بوسيلة ذكية ، بحيث يبدو وكأن هذا لم يحدث بإرادتنا .

ثم أشار إليه ، مستطردًا :

- ربما عن طريق زوجتك يا (أكرم) .

لوّح (أكرم) بيده فى حدة ، قائلاً :

- دع زوجتى وشأنها ، ولا تزجّ بها فى هذا الأمر .

هزّ (طارق) كتفيه ، وقال :

- هذا سيحدث بطريقة تلقائية ، فيكفى أن تنتقل إلى ذلك المقرّ الصحراوى ، وأن توحى لزوجتك بأنك تحاول إخفاء هذا عنها ، وسيستفز الأمر فضولها وحماسها الصحفى ، وستبذل قصارى جهدها لمعرفة ما تخفيه عنها ، وعندئذ سنعمل على أن تتوصّل إلى الحقيقة ، على نحو يوحى إليها بأنها حصلت على سبق صحفى رائع ، وعندئذ لن تتردّد لحظة عن إعلانه .

ران على المكان صمت مطبق ، والجميع يتطلّعون إليه فى انبهار حقيقى ، حتى غمغمت (نشوى) :

- وما الوسيلة الثانية ؟!

تنهد (طارق) ، قائلاً :

- أن نتوصّل نحن إليه أولاً .

تراجعت فى مقعدها ، وتطلّعت لحظة إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قبل أن تقول فى ضيق :

ـ فلنركز كل جهودنا على الوسيلة الأولى إذن ، فلقد عجزت حتى الآن ، عن تحديد هوية ذلك الشخص ، على الرغم من مراجعتى لملفات أكثر من عشرين قضية ، جمعت ما بين الضحايا الثلاثة السابقين .. لم أجد في كل القضايا شخصًا واحدًا ، يمكن أن يسعى للثأر الآن ، دون أن أراجع كل ما يتعلق به ، دون أن أتوصل إلى ما نبتغى .

قال الدكتور (حجازى) فى تعاطف :

ـ ربما ما زالت تنقصنا معلومة شديدة الأهمية .

غمغمت فى يأس :

ـ بالتأكيد .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى مرارة :

ـ وربما استلزم الأمر ضحية جديدة ، قبل أن ..

قاطعها (طارق) فجأة :

ـ بل ربما كانت هناك وسيلة أخرى للتوصل إليه .

سأله (رمزى) فى سرعة ، تشف عن اهتمامه الشديد :

ـ وما هى ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يلتفت مرة أخرى إلى شاشة الشرح :

ـ أن نتتبع آثاره .

وقبل أن يسأله أحد عما يعنيه ، عاد إلى رسم منحنياته وخطوطه ، متابعًا فى حماس :

ـ ففى كل مرة ، ارتكب فيها ذلك النووى إحدى جرائمه ، كان يغادر مسرح الجريمة فى اتجاه ما ، ولأن الأماكن التى ارتكب فيها جرائمه ، تقع فى نقاط متباعدة ، فإننا نستطيع أن نحدد مساراته ، والنقطة التى يمكن أن تلتقى عندها ، وربما يقودنا هذا إلى وكره ..

سأله (أكرم) ، فى اهتمام واضح :

ـ ومن أدراك أنه يتجه من كل مرة إلى وكره مباشرة ؟!

أجابه (طارق) فى حماس :

ـ لابد أن يفعل ، فقد استنفد طاقته ، ويحتاج إلى الطعام والنوم بأقصى سرعة .

سألته (نشوى) فى اهتمام :

ـ وماذا لو قادتنا تلك المسارات إلى منطقة مزدحمة بالسكان ؟! كيف يمكننا التوصل إليه عندئذ ؟

تحرك فى الحجرة مجيبًا :

- نستطيع تضييق دائرة البحث ، إذا ما اتبعنا الأسلوب التقليدى ، ووزعنا نشرة بأوصافه ، ثم تحرّينا عن شخص يبتاع كميات كبيرة من الطعام ، كما يمكننا أيضًا استخدام حوّامة ، تطوف حول المنطقة ، مع جهاز تعقّب الطاقة ، بحيث يمكنها تحديد أية مناطق تنبعث منها طاقة زائدة .

مرة أخرى ، ران على الحجرة صمت مطبق ، قطعه الدكتور (حجازى) ، وهو يبتسم ، قائلاً لـ (أكرم) :

- وكنت تتحدّث عن الخطط ، والخبرة اللازمة لإعدادها .

بدا (أكرم) مبهوتًا ، وهو يتطلّع إلى (طارق) ، فى حين قال (رمزى) فى حماس :

- مرحى يا (طارق) .. أنت شاب مدهش بحق .

وابتسمت (نشوى) ، قائلة :

- وكأنى أواجه نسخة جديدة من أبى .

بدا الحياء على وجه (طارق) ، وهو يتمتم فى ارتباك :

- إننى أبذل قصارى جهدى فحسب ، و..

قاطعه (أكرم) فجأة فى خشونة :

- نقطة أخيرة .. ماذا لو ضرب ذلك الفتى النووى ضربته ، قبل أن نستعد لكل هذا ؟

أجابه (طارق) فى ثقة :

- اطمئن .. لن يفعل .

سأله بخشونة أكثر :

- ومن أدراك ؟!

أشار (طارق) إلى شاشة الشرح ، مجيبًا :

- لقد حسبت الفترة الزمنية ، ما بين كل ضربة وأخرى ، وبدا لى أن فترات الراحة واستعادة النشاط ، تتزايد فى كل مرة ، مما يعنى أنه يحتاج إلى وقت طويل هذه المرة ، حتى يمكنه الاستعداد لضربة جديدة ، ولو أننا تحركنا فى سرعة ، فسننتهى من كل هذا ، قبل أن يستيقظ من نومه ، ويستعد لضربته القادمة .

نقل الجميع أبصارهم ، ما بين (طارق) و(أكرم) ، قبل أن يتقدّم الأخير نحو الأوّل فى خطوات ثابتة ، ووقف يتطلّع إليه لحظة ، قبل أن يمدّ يده إليه ، قائلاً فى حزم :

- أهنئك .. إنك أفضل شخص تعاملت معه ، فى حياتى كلها ..

ثم ابتسم فى مرح ، متابعًا :

- بعد (نور) بالطبع .

قالها ، ثم انفجر ضاحكًا ، واحتضن (طارق) فى حماس ، هاتفًا :

- مرحبًا بك فى الفريق يا صديقى .

وتنفس الجميع الصعداء فى ارتياح ..

ها هى ذى أزمة جديدة تنفرج ، فى حياة الفريق ..

وبقى على الجميع أن يبدءوا العد التنازلى ، استعدادًا للمواجهة القادمة ، مع عدوهم الخارق ..

الشىء الوحيد ، الذى لم يدركه أى منهم ، فى تلك اللحظة ، هو أن تلك المواجهة القادمة ستكون أقرب مما تصوروا بكثير ..

وأن الهدف التالى لخصمهم النووى سيكون مفاجأة .. مفاجأة مذهلة .

* * *

١٠ - التالى ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الثالثة عصرًا ..

فجأة ، استيقظ الشاب ..

فتح عينيه بغتة ، وهو يرقد على فراشه الصغير ، داخل ذلك الوكر الخفى ، فى هضبة المقطم القديمة ، واستيقظت خلايا مخه كلها بلا مقدمات ، كما لو أن مصدرًا للطاقة قد اشتعل فجأة فى أعماقه ..

ولثوان ، تألقت عيناه بشدة ، وأضاءتا سقف المكان ، قبل أن ينهض جالسًا على طرف الفراش ، ويدير عينيه فى وكره ببطء ..

كان يشعر بالنشاط الجم ، الذى دب فى جسده ، وعلى الرغم من هذا ، فقد نهض إلى أجهزة الفحص ، وراح يوصل الأسلاك بجسده ، ثم أشعل الأجهزة ، وراح يتابع النتائج على الشاشة ..

مازال تدهور الخلايا مستمرًا ..

ولكن بمعدل تناقص ..

شيء ما فى أعماقه يتحسن ..
ربما بدأت خلاياه تعتاد وضعها الجديد ..
أو أن عاملاً آخر قد أضيف إلى الموقف ..
قد تكون نشاطاته العنيفة قد أفادتها ..
من يدرى ؟!
المهم أن التدهور يسير بخطى أكثر بطئاً ..
وهذا يمنحه المزيد من الوقت ..
ولكن النتيجة النهائية ما زالت حتمية ..
ستفقد الخلايا طاقتها تدريجياً ..
ثم تبلغ المرحلة الحرجة ..
ويحدث الانفجار ..
وانتفض جسده فى عنف ، عندما بلغ بأفكاره هذه النقطة ، وانعقد حاجباه فى غضب ، وهو يراجع آخر نتائج ظهرت على الشاشة ..
صحيح أن التدهور يبطئ ، إلا أنه لا مفرّ من النهاية ..
ولقد وضع الجهاز توقيتاً دقيقاً محدوداً لتلك النهاية ..
ففى تمام السادسة وثلاث عشرة دقيقة ، من صباح

السبت ، الثانى عشر من مايو ، سيتحول جسده بغتة إلى قنبلة نووية ..
ومع أول ضربة عنيفة يتلقاها ، سينفجر ..
وسيطيح بكل ما يحيط به ، فى دائرة نصف قطرها ستين كيلو متراً ..
وهذا يعنى أنه سيحمل معه مدينة كاملة ، وهو يرحل عن هذا العالم ..
وطبقاً لكل الفحوص والنتائج ، لا مفرّ من حدوث هذا ..
وعلى الرغم من تلك النهاية المأساوية المحتومة ، راح مخه المريض يدرس الأمر من ناحية أخرى تماماً ، تتفق مع خطته الثأرية الشرسة ..
مازال أمامه رجلان ، لابد أن ينتقم منهما شر انتقام ، قبل أن تنتهى حياته على وجه الأرض ..
وقبل أن يطفئ النيران ، التى تستعر فى أعماقه ، منذ زمن طويل ..
وأهمّ أهداف تلك الساعات ، المتبقية من حياته ، أن يحقق انتقامه بأفضل صورة ممكنة ..
وسيدخر لحظة النهاية ، ليوقّع بها وثيقة انتصاره ..

سيعلن للعالم أجمع أسباب كل ما فعله ، وهو يسيطر على ضحيته الجديدة ..

وسيفعل هذا فى الدقائق الأخيرة ..

قبل الانفجار مباشرة ..

وعلى شاشات الهولوفيزيون ، فى العالم أجمع ، سيخبر الجميع بما ينتظرهم ..

وعندما تتمزق قلوبهم رعبًا وهلعًا ، ينفجر جسده .

انفجار نووى ، يلتهم (القاهرة) الجديدة كلها ..

وكل ما يحيط بها أيضًا ..

ويا له من انتقام !!

تألقت عيناه بشدة ، جعلتهما تضيئان كمصباحين ساطعين ، وهو يتصوَّر صدى ما سيفعله ، فى كل أنحاء العالم ..

ستكون واقعة غير مسبوقة ..

شخص واحد ، يثأر من خمسة من أقوى رجال السلطة فى (مصر) ، ثم يطيح بعاصمة كاملة وما حولها ..

ويحقق انتقامه ..

وبمنتهى النجاح ..

انتقام تاريخى ، لم تعرف الدنيا مثله ، حتى فى عالم الرواية ..

وفجأة ، انطلق يقهقه ضاحكًا ، وجسمه كله ينتفض فى قوة ..

وجنون ..

كان يشعر بالزهو والارتياح ، على الرغم من كل ما يحيط به ، ومن الموت المحتوم ، الذى ينتظر ، بعد خمس عشرة ساعة تقريبًا ..

وفى حماس عجيب ، نهض إلى أجهزة الكمبيوتر ، وأشعل جهاز الهولوفيزيون ، وهو يراجع بعض النقاط ، التى وردت فى أبحاث الدكتور (فؤاد) ..

كان يعيد دراسة التحورات الخلوية ، التى أصابت جسده ، إثر عقار (سترونجالين) ، بحثًا عن وسيلة لإيقاف تدهور خلاياه ..

لقد تحوَّرت الخلايا على نحو عجيب ، بحيث صارت أشبه بالخلايا الإلكترونية ، التى تختزن الطاقة ، وتجيد تحويلها من صورة إلى أخرى ..

ولكنها فقدت بهذا معظم سماتها الأولى ..

ولم تعد لأية جرعة إضافية من العقار ، أدنى تأثير عليها ..

وهذا يعنى أنها لم تعد قابلة لإعادة الشحن ..

ولا لاختزان مزيد من الطاقة ..

والأسوأ ، أنه ما من وسيلة لمنع التدهور ، أو ...

فجأة ، توقفت أفكاره كلها ، عندما التقطت أذناه جزءًا من إعادة تسجيل لحديث (مشيرة) في المستشفى ..

وبحركة حادة ، التفت إلى شاشة الهولوفيزيون ، وتضافرت حواسه كلها ، وهو يستمع إلى حديثها بكل اهتمامه وانتباهه ..

كانت تتحدث عن (نور) وفريقه ، وعن انتصاراتهم السابقة ، وعن مصير الفريق ، بعد إصابة (نور) ..

ثم ظهر (طارق) ..

وبدأ حديثه ..

وانتبهت حواس الشاب أكثر وأكثر ..

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يستمع إلى كل كلمة ينطق بها (طارق) ..

وكل حرف ..

ثم استمع إلى تعليق (مشيرة) على حديث (طارق) ..

استمع إليه بكيانه كله ..

وفي أعماقه راحت تلك الأمور كلها تمتزج وتتفاعل بعضها مع البعض ..

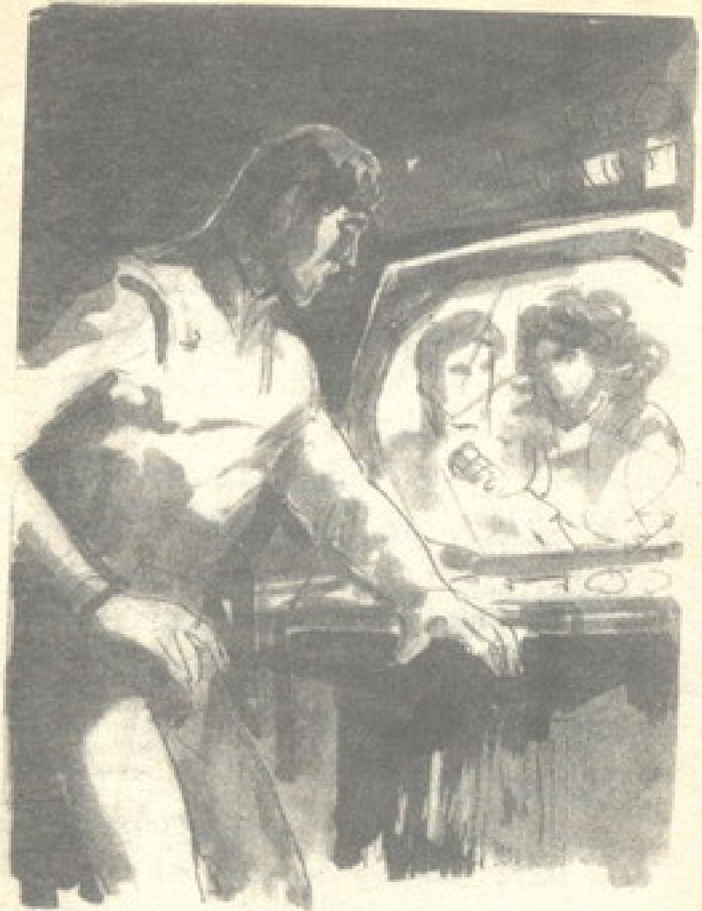

وبحركة حادة ، التفت إلى شاشة الهولوفيزيون ، وتضافرت حواسه كلها ، وهو يستمع إلى حديثها بكل اهتمامه وانتباهه ..

ونبتت وسطها فكرة ..

فكرة احتلت عقله كله ، واستولت على كيانه ..

فكرة جعلته يغيّر مسار خطته الانتقامية ، وزرعت فى رأسه مسارًا جديدًا ..

وضحية جديدة ..

ضحية سيصنع مقتلها ضجة حتمًا ..

وستكون مفاجأة ..

للجميع ..

* * *

« هذا الشاب عبقرى بالفعل .. »

هزّ القائد الأعلى رأسه فى إعجاب ، وهو يلقى هذه العبارة ، فى أثناء مراجعته للخطة ، التى وضعها (طارق) ، ثم تطلع بضع لحظات إلى شاشة صغيرة ، تنقل إليه ما تم إنجازه ، أولاً فأولاً ، قبل أن يتابع :

- ويمتلئ بالهمة والنشاط والحماس أيضًا .. لقد أسهم بنفسه فى نقل كل ما يلزم الفريق ، من أدوات ومعدات ، إلى ذلك المقرّ الصحراوى المؤقت ..

وابتسم ، وهو يدير عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردًا :

- بل ، وهو الذى انتخب المكان المناسب لهذا المقرّ ... إنه ذلك المرصد القديم .. هل تذكره ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى اقتضاب :

- بصعوبة .

ثم نهض إلى الخريطة الكبيرة ، يطالعها فى اهتمام ، مضيفًا فى لهجة عجيبة :

- حتى إنه ليدهشنى أن يعرفه هو بهذه الدقة .

تطلع إليه القائد الأعلى لحظة ، فى مزيج من الحيرة والقلق ، قبل أن يعتدل ، قائلاً :

- لهجتك لا تشعرنى بالارتياح .

ابتسم الدكتور (ناظم) ابتسامة باهتة ، مغمغمًا :

- يبدو أننا نتشارك فى الشعور ذاته ... كالمعتاد .

تطلع إليه القائد الأعلى مرة أخرى فى حيرة ، ثم سأله فى اهتمام :

- ما الذى تخفيه بالضبط يا رجل ؟

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة أخرى على الخريطة ، ثم التفت إليه ، قائلاً :

- لست أدرى .. هناك شىء ما ، يجعلنى أشعر بعدم الارتياح .

سأله القائد الأعلى :

- أى شىء هذا ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وهزّ رأسه لحظات ، قبل أن يجيب :

- (طارق) .

بدت الدهشة على وجه القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى مقعده ، سائلاً فى حذر :

- ماذا عنه ؟!

لوّح الدكتور (ناظم) بيده ، وتردّد مرتين على الأقل ، ثم قال :

- هناك شىء ما فيه يثير حيرتى .. إنه يبدو مثاليًا أكثر مما ينبغى .. ذكى .. لماح .. متماسك .. قوى .. منظم ...

سأله القائد الأعلى فى حذر أكثر :

- وماذا فى هذا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات أخرى ، وبدا وكأنه لا يجد ما يجيب به بالتحديد ، لذا فقد هزّ كتفيه ، قائلاً :

- هذا أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لشخص عادى .

لم يفهم القائد الأعلى سر قلق الدكتور (ناظم) وحيرته ، فتطلّع إليه بضع لحظات متسائلاً حائرًا ، قبل أن يعتدل فى مقعده ، قائلاً :

- هذا الشاب يعمل منذ عدة سنوات ، فى عدد من المشروعات العسكرية بالغة السرية ، وربما جعله هذا يعتاد الالتزام والمثالية ، كنمط لازم للعمل .

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، وهو يقول :

- هذا ما تصوّرته فى البداية ، حتى وقع اختياره على المرصد القديم .

تسلّل الحذر مرة أخرى إلى صوت القائد الأعلى ولهجته ، وهو يسأله :

- وما المشكلة فى هذا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) بسرعة عجيبة ، وكأنه ينتظر السؤال منذ البداية :

- المشكلة أنه من الناحية الرسمية ، لم يكن لذلك المرصد وجود .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، فى حين تابع الدكتور (ناظم) فى انفعال ، وهو يشير إلى الخريطة الكبيرة أمامه :

- إنه واحد من المراصد القديمة ، التى لم يتم تطويرها ، ضمن الخطة العامة ، فى عام ألفين وثلاثة ، ولما كانت تكلفة استمرار العمل فيه ، تفوق النتائج المرجوة منه ، فقد تم إغلاقه ، وكانت هناك خطة

لإزالته .. ثم حدث الاحتلال ، وانقضَّ علينا غزاة الفضاء ، فنسفوا كل صور الحضارة على كوكبنا ، بما فيها مراصدنا العملاقة(*) .. وبعد انتصارنا عليهم ، وجلائهم عن كوكبنا ، بدأنا مرحلة إعادة البناء والتعمير ، وطبقًا للإحصائيات الرسمية ، وقبل أن تتمَّ إعادة الرصد الجوى والفضائى ، اعتبرنا أن كل المراصد تم تدميرها ، بما فيها ذلك المرصد القديم ، لذا فلم تتضمنه أى من خرائطنا الحديثة ، أو حتى أى دليل رسمى .. انظر إلى هذه الخريطة ، ولن تجد له أدنى أثر .. فكيف عثر عليه ذلك الفتى ؟ وكيف وقع اختياره على هذا الموقع بالذات ؟!

صمت القائد الأعلى طويلاً هذه المرة ، وتسلَّل ذلك الخليط من القلق والشك إلى أعماقه ، وهو يقول فى توتر :

ـ ربما ارتبط أحد المشاريع السرية ، التى شارك فيها ، بذلك المرصد ، على نحو أو آخر .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا فى حزم واثق ، وقال :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ـ دعنى أعترف لك بأن هذا ما جال بخاطرى أيضًا ، ولكننى ، ومع موجة القلق فى أعماقى ، راجعت ملفاته كلها ، وكل ما أُسند إليه من أعمال ، منذ التحاقه بالعمل معنا ، ولم أجد علاقة واحدة ، مهما كانت طبيعتها ، تربطه بذلك المرصد القديم .

سأله القائد الأعلى ، والقلق يتضاعف فى أعماقه :

ـ وماذا عن تاريخه الشخصى ؟! أعنى ربما كانت تربطه صلة قربى ، أو صداقة ما ، مع أحد العاملين القدامى بالمرصد ، أو ...

بتر عبارته ، عندما عاد الدكتور (ناظم) يهزّ رأسه نفيًا فى حزم ، وقال فى حدة :

ـ فليكن .. لماذا يقلقك هذا الأمر هكذا ؟!

تنهَّد الدكتور (ناظم) فى حرارة ، قبل أن يجيب :

ـ لست أدرى فى الواقع يا سيِّدى .. لست أدرى .. إنها مجرَّد مشاعر داخلية ، لا تساندها أية أدلة أو براهين .

انعقد حاجبا القائد الأعلى مرة أخرى ، وعاد يتراجع فى مقعده ، وهو يداعب ذقنه بسبَّابته وإبهامه فى توتر ، ثم قال :

ـ ولكنك نجحت فى إثارة قلقى يا دكتور (ناظم) ، حتى إننى تراجعت عن قرار حاسم ، كنت أنوى اتخاذه على الفور .

سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام مشوب بالقلق :

ـ أى قرار هذا ؟!

مط القائد الأعلى شفتيه ، قبل أن يجيب :

ـ أنت تعلم أن إصابة (نور) ستعوقه عن العمل لبعض الوقت ، والموقف الحالى شديد التوتر والخطورة ، والفريق لا يمكنه العمل دون قائد رسمى ، توكل إليه الأمور ، ويكون مسئولاً عن كل خطوة ، وعن اتخاذ القرارات اللازمة للعمل ، وإلا لحدث تخبط بين أفراده ، وتعارضت قراراتهم فى بعض اللحظات الحاسمة ، مما يؤدى حتمًا إلى الفشل ، وخاصة إذا ما واجهوا خصمًا فى خطورة خصمهم هذا .

غمغم الدكتور (ناظم) :

ـ بالتأكيد .

تابع القائد الأعلى :

ـ لذا ، وعلى ضوء ما بدا من (طارق) هذا ، من موهبة قيادية خلاقة ، وذكاء قتالى واضح ، كنت قد اتخذت قرارًا بإسناد قيادة الفريق إليه مؤقتًا ، حتى نتجاوز هذه الأزمة ، أو يعود (نور) إلى العمل .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) هذه المرة ، وهو يقول فى حسم :

ـ يسعدنى يا سيدى أنك قد تراجعت عن هذا القرار .

أجابه القائد الأعلى صارمًا :

ـ ليس هذا فحسب يا دكتور (ناظم) .. ولكننى أريد منك أيضًا أن تبذل قصارى جهدك ، وأن تستعين بكل من يمكنك الاستعانة به ، لتحرى كل الأمور ، وجمع القدر الأقصى من المعلومات ، عن (طارق) هذا .. دعك من التحريات الرسمية ، التى أجريت فى الماضى ، قبل التحاقه بالعمل معنا .. أريد تحريات جديدة ، وعلى نحو أكثر دقة ، وفى ضوء أية معلومات حديثة .. اجمع لىّ تاريخه كله ، منذ تم فطامه ، وحتى هذه اللحظة .

ابتسم الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ هذا سيسعدنى كثيرًا فى الواقع .

تنهد القائد الأعلى ، وهز رأسه فى قوة ، وكأنما يريد إخراج تلك الصورة من ذهنه ، قبل أن يقول :

ـ ولكن هذا يضع أمامنا مشكلة جديدة .

تطلع إليه الدكتور (ناظم) فى تساؤل ، فتابع على الفور :

ـ لا يمكننا أن نترك الفريق بلا قيادة ، فى ظل هذه الظروف .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ وماذا عن الدكتور (حجازى) ؟!

لوّح القائد الأعلى بيده ، مجيبًا :

ـ إنه عالم ممتاز فى مضماره ، ولكنه هو نفسه يدرك ، أنه لا يصلح لقيادة فريق كهذا ، فى مثل هذه الظروف .

بدا الاهتمام الشديد على الدكتور (ناظم) ، وهو يسأله :

ـ من إذن ؟!

وكان هذا هو السؤال المناسب بالفعل ، لتلك اللحظات الحاسمة :

من يمكنه أن يتولّى قيادة الفريق ، فى مثل هذه الظروف ؟!

من ؟!

* * *

« .. (رمزى) !! »

هتف (أكرم) بالاسم فى دهشة عارمة ، امتزجت بنبرة استنكار عنيفة ، لم يكد ينتبه إليها ، حتى استدرك فى عصبية :

ـ إنه أحد أفضل أصدقائى ، ولكن ...

قاطعته (نشوى) بابتسامة كبيرة :

ـ ولكن ماذا ؟! أتعتقد أن (رمزى) لا يصلح لقيادة الفريق ؟!

ارتبك (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

ـ لم أقصد هذا قط .. كل ما عنيته أن القرار كان مباغتًا للغاية .

أجابه الدكتور (حجازى) بسرعة :

ـ كان من المحتّم أن يتمّ اتخاذ مثل هذا القرار ، فالظروف الحالية تجعل من الضرورى إيجاد قائد بديل للفريق ، حتى يتجاوز هذا الموقف ، وأعتقد أن قرارهم بإسناد القيادة إلى (رمزى) ، كان حكيمًا للغاية ، فهو أحد مؤسسى الفريق ، منذ بداية عمله ، وهو أكثركم خبرة بالجميع ، بحكم تخصّصه ، وعلى دراية كافية بكل الأساليب المتبعة للعمل .

قال (أكرم) فى حزم :

ـ بالتأكيد يا دكتور (حجازى) .. بالتأكيد .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مستطردًا :

ـ أهنئك يا صديقى .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

ـ إنه أمر مؤقت يا رجل ، سيزول بعودة (نور) سالمًا بإذن الله .

وافقه (أكرم) بإيماءة من رأسه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. ثم إن هذا أفضل حتمًا ، من إسناد القيادة إلى (طارق) مثلاً .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية صافية ، تشف عن تقبله التام للأمر ، ثم تلفت حوله ، متابعًا فى اهتمام :

ـ وبالمناسبة .. أين (طارق) ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تتجه نحو الباب :

ـ لقد خرج لتفقد بعض الأمور .. سأذهب للبحث عنه .

غادرت الحجرة ، متجهة إلى قاعة الرصد الواسعة ، بحثًا عن (طارق) ، ولكنها لم تكد تدلف إليها ، حتى توقفت بغتة ، والتقى حاجباها فى اهتمام شديد ..

فهناك ، فى آخر القاعة ، وأمام بعض أجهزة الرصد القديمة ، كان (طارق) يجلس ، وأصابعه تعمل فى همة ، على أزرار جهازه ، الذى اتصل بأجهزة الرصد ، عن طريق وصلة خاصة ، لم يعد مثلها متوافرًا ، فى هذه الأيام ..

كان من الواضح أنه يبحث عن بعض المعلومات القديمة ..

أو يضيف بعض المعلومات الجديدة ..

وباستغراق تام ..

استغراق استولى على كيانه كله ، حتى إنه لم يشعر بقدومها قط ..

ولنصف دقيقة كاملة ، وقفت (نشوى) تتابع ما يفعله ..

واشتعل فضولها بشدة ، وهى تتساءل عما يسعى إليه ..

ثم تنحنحت ..

كان صوتها خافتًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد استدار إليها (طارق) فى حركة حادة عنيفة ، وبدت لها ملامحه لحظة قاسية صارمة ، على نحو لم تعهده فيه قط ، قبل أن تستعيد تلك الملامح هدوءها وليونتها بغتة ، وهو يضغط زر إطفاء جهازه ، قائلاً بابتسامة باهتة :

ـ آه .. (نشوى) .. لقد أفزعتنى .

أجابته بسرعة :

ـ معذرة .. لم أقصد هذا .. كنت أبحث عنك ، ويبدو أنك كنت شديد الاستغراق ، فلم ...

قاطعها على نحو عجيب ، وهو ينتزع الوصلة القديمة من أجهزة الرصد ، ويلقيها فى حقيبته :

ـ الواقع أن تلك الأجهزة القديمة أثارت اهتمامى كثيرًا .. إنها أشياء لم نعد نراها ، فى زمننا هذا .

غمغمت :

ـ بالطبع .

عادا معًا إلى الحجرة ، والفضول والتساؤل لم يبارحا عقلها قط ، وتضاعفت تساؤلاتها ، عما كان يفعله هناك ..

إنه لم يكن أمرًا عارضًا بالتأكيد ..

لقد خطط لهذا منذ البداية ..

وإلا فلماذا أحضر معه تلك الوصلة القديمة ؟!

لماذا ؟!

وفى غمرة حيرتها وتوترها ، شعرت بالحنين إليهما .. إلى أبويها ..

وفى أعماقها تساءلت : ترى كيف حالهما فى هذه اللحظة ؟!

كيف هو ؟!

وفى نفس الوقت ، الذى دارت فيه هذه الفكرة

برأسها ، كان طبيب المستشفى يفحص (نور) الفاقد الوعى فى اهتمام ، قائلاً :

ـ أعتقد أننا نجحنا أخيرًا فى السيطرة على ارتفاع درجة حرارة جسده ، ولو أمكننا الحفاظ عليها ثابتة ، خلال الساعات الثلاث القادمة ، فسينجو زوجك بإذن الله يا سيدتى .

أطلقت (سلوى) تنهيدة حارة ، من أعمق أعماق قلبها ، هاتفة :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

اعتدل الطبيب ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ العجيب أننا أجرينا لزوجك كل الفحوص والاختبارات الممكنة يا سيدتى ، ولم نجد سببًا طبيًا منطقيًا واحدًا ، لارتفاع درجة حرارته على هذا النحو .

سالت الدموع من عينيها ، وهى تبتسم مشفقة ، وتقول :

ـ لا تجعل هذا يدهشك يا سيدى الطبيب ، فيبدو أن زوجى يصر دائمًا على إثارة حيرة الجميع ، حتى وهو فاقد الوعى .

ابتسم الطبيب ، قائلاً :

ـ زوجك رجل رائع يا سيدتى .

وألقى نظرة أخرى على (نور) ، قبل أن يستطرد :

- وأعتقد أنه قد تجاوز مرحلة الخطر بالفعل .

كرّرت (سلوى) فى حرارة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

قادها الطبيب فى رفق ، خارج حجرة العناية الفائقة ، وهو يقول :

- والآن دعينا نمنحه قدرًا من الراحة ، كما تقتضى التعليمات .. ولو أردت نصيحة طبية مجانية يا سيدتى ، فأنت أيضًا تحتاجين إلى الكثير من النوم والراحة ، فكل لمحة فيك تؤكد أنك شديدة التعب والإرهاق ، وربما لم تتذوقى طعم النوم ، منذ ساعات طوال .

تمتمت فى تهالك :

- هذا صحيح .

قال فى مودة :

- استمعى إلى نصيحتى إذن ، وعودى إلى منزلك ، واتركى جسدك يحظى بالراحة لبعض الوقت .

هزّت رأسها نفيًا فى قوة ، قائلة :

- لا .. لا يمكننى أن أتركه وحده ..

ابتسم الطبيب فى وقار ، ابتسامة رجل اعتاد هذا الأمر ، وقال :

- صدقينى يا سيدتى .. أنت بحاجة إلى الراحة أكثر منه .. ثم إننا نولى زوجك كل عنايتنا ورعايتنا ، ليس لأن هذا ما نفعله مع كل مرضانا فحسب ، ولكن لأنه يستحق منا عناية خاصة .. إنه بطل قومى .

كرّرت فى إصرار :

- لا يمكننى تركه وحده .

اتسعت ابتسامة الطبيب ، وهو يشير بكفيه ، قائلاً :

- اطمئنى يا سيدتى .. إنه مستشفى .. ما الذى يمكن أن يحدث فى مكان كهذا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى انفجار مكتوم ، ارتجّ له المكان كله فى عنف ، فشهقت (سلوى) هاتفة :

- يا إلهى ! ما هذا ؟!

لم يكد سؤالها ينطلق ، حتى دوى انفجار آخر ، انطلقت على إثره صفارات الإنذار ، فى المستشفى كله ، فهتف الطبيب مذعورًا :

- ماذا حدث ؟! هل اندلعت الحرب ؟!

لم تجبه (سلوى) بحرف واحد ، وهى تحدق فى إحدى شاشات المراقبة ، فى نهاية الممر ..

فعلى الشاشة ، بدت صورة أحد رجال الأمن بالمستشفى ، وهو يعدو بكل قوته ، محاولاً الفرار من شاب قوى ، رفع قبضته نحوه ، فانطلقت منها كرة نارية ، ضربت ظهر الرجل المسكين ، وحملته أمامها لعشرة أمتار كاملة ، قبل أن تنفجر مع جسده عند الجدار المقابل ..

ومنذ الوهلة الأولى ، أدركت (سلوى) أن المستشفى يواجه هجومًا عنيفًا ، من ذلك العدو النووى الخارق ..

ولكن الشىء الذى لم تدركه ، ولم تتخيَّله قط ، فى تلك اللحظة ، هو أن هذا الهجوم الشرس يستهدف فى الواقع أقرب إنسان إليها فى الوجود ..

(نور) ..

المقدِّم (نور الدين محمود) ..

شخصيًا ..

* * *

انتهى الجزء الأوَّل بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(العاصفة النووية)

رقم الإيداع ٣٢١٥

العدوّ الخارق

- ما سر ذلك العقار الجديد، الذى يمنح متناوله قوة خارقة مخيفة ؟!
- من هو العدو الخارق، الذى يرتكب سلسلة من الاغتيالات الوحشية العنيفة ؟!
- ترى هل ينجح (نور) وفريقه فى مواجهة الأمر هذه المرة ؟ أم تأتى نهايتهم على يد (العدو الخارق) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة.. وقاتل مع (نور) وفريقه.. من أجل الأرض

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

115

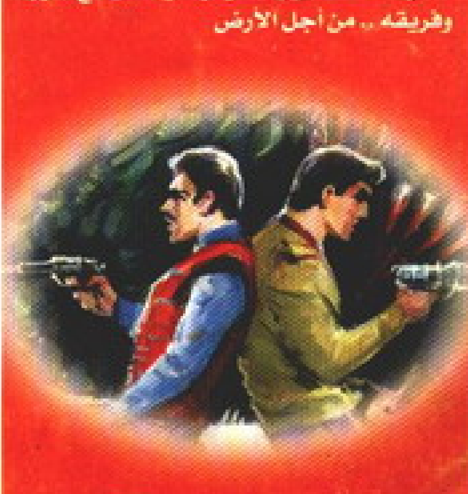

العدد القادم : العاصفة النووية

الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العاصفة النووية
Looloo
www.dvd4arab.com

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - هجــوم ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الرابعة والربع عصرًا ..

قطـع الدكتـور (نـاظم) ، رئيس إدارة الأبحـاث التابعة لجهاز المخـابرات العلميـة المصريـة ، ذلك الممر الطويل ، فى الطابق الثالث تحت الأرض ، من مبنى الجهاز ، فى خطوات واسعة سريعة ، حتى بلغ منطقة خاصة ، يشير الشـعار عند مدخلهـا ، مع الشريط الأحمر الرفيع ، إلى أنها منطقة محظورة ، إلا لعدد محدود مـن العـاملين ، الذيـن تحمـل بطاقـات هويتهم نفس الشـعار ، مع الشريط الرفيـع ، فتوقَّف عند المدخل ، ودسَّ بطاقتـه فى تجويف رفيع ، ولم يكد يفعل ، حتى بدأ الجزء المتبقِّى من الممر فى التحرُّك فى بطء ، فى اتجاه حجرة القائد الأعلى فى نهايته ، فانتزع الدكتور (ناظم) بطاقته ، ودسَّها فى جيبه ، وهو يخطو إلى ذلك الجزء ، الذى حملـه نحو الحجرة ، فى نفس الوقت الذى انبعثت فيه عدة خيوط

رفيعة من أشعة الليزر ، من ثقوب صغيرة فى السقف والجدران ، راحت تمسح وجه الدكتور (ناظم) وجسده ، فى سرعة ودقة بالغتين ، قبل أن ينبعث من مكان ما صوت آلى ، يقول :

- تم تعرُّف الدكتور (ناظم) .. الدخول متاح .. شكرًا لاستجابتكم لنظام الأمن الجديد .

انفتح باب حجرة القائد الأعلى ، فى تلك اللحظة ، فى حين توقَّف ذلك الجزء من الممر عن الحركة ، فدلف الدكتور (ناظم) إلى الحجرة ، قائلاً فى حماس :

- لقد حصلت على معلومات بالغة الأهمية، بخصوص (طارق) .

بدا الاهتمام البالغ على وجه القائد الأعلى ، وهو يستقبله ، قائلاً :

- هات ما لديك يا رجل .

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب القائد الأعلى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من جيبه ، ويقول :

- ذلك الشاب كان يعمل كخبير طاقة ، فى جهاز

الأمن الخاص برياسة الجمهورية ، بعد الاحتلال مباشرة(*) .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ربَّاه ! إنها معلومة بالغة الأهمية بحق .

ثم عاد حاجباه يلتقيان فى توتر ، مع استطراده :

- ولكن كيف لم يتم كشف هذا الأمر ، عندما التحق الشاب بالعمل لدينا ؟! المفترض أن تكون لدينا كل المعلومات الخاصة به ، قبل أن يشترك فى مشروعات بالغة الخطورة والسرية كهذه .

وازداد انعقاد حاجبيه فى غضب ، وهو يضيف :

- هذا تقصير رهيب يا دكتور (ناظم) ، ولابد من عقاب المسئولين عنه بمنتهى القسوة والصرامة .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حدة :

- ماذا لو أن جاسوسًا سعى للتسلُّل إلى صفوفنا ؟ بل وماذا لو أن (طارق) هذا نفسه جاسوس خطير ، يعمل لحساب جهة أجنبية ؟! هل كنا سنفشل فى الحصول على معلومة بالغة الأهمية كهذه عنه ، حتى يحصل على ما يبتغى ؟!

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- رويدك أيها القائد .. لم يكن هناك تقصير أو إهمال فى هذا الشأن .. لقد تحرَّى الرجال عن (طارق) بمنتهى الدقة ، عند ترشيحه للعمل معنا ، ولكن لم يكن بإمكانهم التوصُّل إلى هذه المعلومة حينذاك ، فلم تكن متاحة على شبكة المعلومات العامة أو السرية .

قال القائد الأعلى فى غضب :

- ولكنك نجحت فى الحصول عليها الآن .

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- الأمر الآن يختلف كثيرًا .

ثم نهض من مقعده ، وتابع فى اهتمام ، وهو يتحرك فى الحجرة :

- تلك المعلومة كانت تندرج تحت بند السرية البالغة ، داخل الشبكة المحدودة لجهاز أمن الرئيس السابق ، نظرًا لاستقلالية جهاز أمن الرياسة ، وتبعيته المباشرة لرئيس الجمهورية ، وطبقًا للقانون الخاص بحماية المعلومات ، والذى صدر بعد جلاء غزاة الفضاء ، ونجاحنا فى استعادة كل معلوماتنا

وتاريخنا(*) ، ولهذا لم يكن من الممكن أن يتوصَّل إليها الرجال ، مهما بذلوا من جهد ، أما الآن ، ولأننا نعيد البحث ، فى إطار من الشك ، فقد حصلت على موافقة محدودة ، لربط شبكة معلوماتنا بالشبكة المعلوماتية الرياسية ، عسى أن أجد لديهم ما يفوق ما لدينا .

وفرقع سبَّابته وإبهامه ، مضيفًا :

- وهذا ما حدث بالفعل .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، وهو يتراجع فى مقعده ، وعقله ينطلق مسترجعًا ذكريات قريبة للغاية .

ذكريات بضع ساعات مضت ..

منذ تلك اللحظة ، التى استقبل فيها الدكتور (ناظم) فى مكتبه ، الدكتور (فؤاد راغب) ، عالم أبحاث الخلية المعروف ، الذى جاء ليطرح بحثًا مدهشًا ، حول عقار جديد ، يجعل الخلايا البشرية قابلة للشحن بالطاقة النووية ، وقادرة على تخزينها ، وتحويلها إلى صور أخرى من الطاقة ..

(*) راجع قصة (كنز الفضاء) .. المغامرة رقم (٨٤) .

وبعد أن طرح الرجل نظريته ، وأخرج عينة العقار من حقيبته ؛ ليقدمها للدكتور (ناظم) ، فوجئ بأن أحدهم قد استولى على عقاره ، واستبدل به بعض الماء الملون ، فهاجمته أزمة قلبية حادة ، وهوى جثة هامدة ..

وبعدها مباشرة ، بدأت الأحداث العنيفة ..

مساعد الدكتور (فؤاد) الذى يحمل اسم (غبريال) ، احتال لدخول حجرة الطاقة ، التابعة لقسم العلاج النووى بالمستشفى المركزى ، وشحن جسده بالطاقة ، وقضى على مهندس الوحدة ، وكل الطاقم الفنى ..

وعلى الرغم من أن (نور) و (أكرم) كانا فى المكان بالفعل ، إلا أنهما عجزا عن التصدى لذلك الخصم الخارق ، الذى نسف جدران المكان ، قبل أن يختفى تمامًا ، وكأنما انشقت الأرض وابتلعته بغتة ..

ثم بدأت الاغتيالات الوحشية المخيفة ..

العدو النووى الخارق اغتال النائب العام السابق ، ووزير الخارجية الأسبق ، ومدير المخابرات العامة الحالي ..

فعل كل هذا بقوته الرهيبة ، مطيحًا بكل ما ، ومن يعترض طريقه ، وراح يمزق ضحاياه بلا رحمة أو هوادة ..

وبكل همة ونشاط ، راح (نور) وفريقه يسعون لكشف حقيقة خصمهم الخارق ، والبحث عن هويته الحقيقية ، بعد أن كشفوا أنه ليس (غبريال) الحقيقى ، وأنه يرتكب كل ما يرتكبه ، فقط للثأر من ضحاياه ، بسبب أمر لم يمكنهم التوصل إليه بعد ..

واستكمالاً للفريق ، ضم إليه (نور) خبيرًا جديدًا فى الطاقة وعلوم الأشعة ، وهو المهندس (طارق) ، الذى بهر الجميع بمهاراته المختلفة ، وقدراته المدهشة ، وبراعته فى الحركة والقتال ، وعبقريته فى التخطيط والمناورة ، إلى الحد الذى أثار حسد (أكرم) وتوتره ، ودفعه إلى الاشتباك معه عدة مرات ، قبل أن يعترف بتفوقه ، ويقرر نقله من خانة الصراع إلى قائمة الأصدقاء ..

ووسط كل هذا ، وفى أثناء مواجهة مباشرة سريعة مع الخصم النووى ، تعرض (نور) و (أكرم) و(طارق) إلى حادث سيارة عنيف ، نجا منه الأخيران

فى صعوبة ، فى حين أصيب (نور) إصابة شديدة ، وفقد وعيه تمامًا ..

وكان من الضرورى أن يتم تعيين قائد جديد للفريق ، حتى يواصل الصراع ؛ لإيقاف ذلك الخصم النووى ، ومنعه من مواصلة رحلة الثأر الرهيبة ..

ووقع اختيار القائد الأعلى على (طارق) ..

ولكن الدكتور (ناظم) لم يعلن ارتياحه لهذا الأمر .

بل وأعلن أن أعماقه تكتظ بعشرات الشكوك ، ونقاط الغموض ، حول هذا الشاب بالذات ..

لذا ، فقد تراجع القائد الأعلى عن قراره ، وانتخب (رمزى) لقيادة الفريق ، فى نفس الوقت الذى طلب فيه من الدكتور (ناظم) جمع كل التحريات الممكنة عن (طارق) ، و ...

« كيف انتهت خدمته فى أمن الرياسة ؟! »

قفز السؤال إلى ذهن القائد الأعلى بغتة ، قاطعًا تسلسل أفكاره ، فنقله بسرعة إلى لسانه ، وهو يتطلع فى اهتمام إلى الدكتور (ناظم) ، الذى صمت لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لقد تم فصله من العمل .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ فصله ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيدى .. تم فصله؛ لمخالفته قوانين السرية المطلقة ، وتجاوزه الحدود المسموح بها فى هذا الشأن .

تواصلت دهشة القائد الأعلى لبضع لحظات ، ثم لم يلبث حاجباه أن انخفضا ، ثم واصل طرفاهما انخفاضهما ، حتى التقيا على نحو يشف عن التوتر الزائد ، وهو يمط شفتيه ، قائلاً :

ـ يبدو أن الأمر أخطر مما ينبغى يا دكتور (ناظم) .

ثم زفر فى حدة ، قبل أن يتابع :

ـ وأننا لن نستعيد شعورنا بالارتياح قط ، إلا بعد عودة (نور) لقيادة الفريق .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

لم يكن كلاهما يدرى ، فى تلك اللحظة ، أن (نور) ما زال يرقد فاقد الوعى ، فى قسم رعاية الحالات الحرجة ، فى المستشفى المركزى ، وإلى جواره

تجلس زوجته (سلوى) ، فى انتظار عودته إلى وعيه ..

وأن المستشفى يتعرض للهجوم ..

هجوم رهيب ، من ذلك الخصم النووى ..

والأخطر أن ذلك الهجوم يستهدف المقدّم (نور الدين محمود) ..

شخصيًا(*) ..

* * *

تفجّرت موجة هائلة من الرعب والفزع ، فى المستشفى المركزى ، مع دوى الانفجارات المتتابع ، والنيران التى راحت تشتعل فى أماكن شتى ، بالطابق الأرضى ، وراح الجميع يتدافعون فى الممرات والطرقات ، فى محاولة للفرار من خطر داهم ، تمثّل فى ذلك العدو النووى ، الذى أخذ يشق طريقه بالنار والدم ، نحو الطابق الثانى من المستشفى ، حيث قسم رعاية الحالات الحرجة ، الذى يرقد فيه (نور) فاقد الوعى ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

وكرد فعل تلقائى ، بدأت أجهزة مقاومة الحريق فى العمل ، وانطلقت رشاشات المياه فى الأسقف ، لتغمر كل شىء ، فى حين أجرى الكمبيوتر اتصالاً فوريًا برجال الإطفاء ، وأقرب نقطة شرطة ..

وفى الطابق الثانى ، تعلّقت عينا (سلوى) بشاشة مراقبة ، تنقل ما يحدث فى الطابق الأرضى من عنف ودمار ، وارتجف جسدها فى عنف ، وسرت فيه قشعريرة باردة كالثلج ، وهى تتمتم :

ـ يا إلهى ! (نور) !!

شىء ما فى أعماقها أنبأها بأن كل هذا يستهدف زوجها (نور) ..

(نور) وحده ..

ونفس الشىء أخبرها ، أن ذلك النووى يتعمّد إعلان وجوده هذه المرة ..

وعلى نحو سافر ..

إنه لم يحاول حتى إحاطة نفسه بذلك الضوء الساطع ، الذى يبهر خصومه ، ويمنعهم من تحديد هويته ..

ولكنه يتحرّك هذه المرة كالعاصفة ..

ويطيح بكل ما يعترض طريقه ..
رجال الأمن ..
ممرضى المستشفى ..
وحتى المرضى ..
والجدران ..

وارتجف قلبها بين ضلوعها فى عنف ، وردّدت مرة أخرى ، وهى تتلفت حولها فى ارتياع :

- ربّاه ! (نور) !! (نور) فى خطر !!

لم تكن تدرى ما الذى ينبغى عليها فعله ؛ لإنقاذ زوجها ، من مثل هذا الموقف ، لذا فقد راحت تتحرك فى ذعر ، فى كل الاتجاهات ، وهى تفرك كفيها ، قائلة لنفسها :

- لا يا (سلوى) .. لا .. لا تفقدى أعصابك ، فى هذا الموقف .. حياة زوجك تعتمد على تماسكك وحسن تصرفك .. هيا .. ابحثى عن مخرج .. ابحثى عن سبيل للفرار ، قبل أن يبلغك ذلك الوحش النووى الآدمى ..

كان عقلها حائرًا مضطربًا بشدة ، إلا أنه أدرك حقيقة واحدة ..

هى أن أوّل ما ينبغى فعله ، هو إبعاد (نور) عن قسم رعاية الحالات الحرجة ..

وفى توتّر بالغ ، اندفعت نحو فراش (نور) ، وجرت عيناها على الأسلاك والأنابيب الرفيعة ، التى تمتدّ من وإلى جسده ، وقالت فى هلع :

- يا إلهى ! ترى أى تلك الأشياء يمكن رفعها ، دون تعريض حياته للخطر ؟!

لم يكن هناك شخص يمكن استشارته ، فى مثل هذه الظروف ، لذا فقد راحت تنتزع عنه كل ما يعوق حركة الفراش ، وهى تقول فى اضطراب :

- سامحنى يا (نور) .. هذا كل ما يمكننى فعله .

كان زوجها يرقد صامتًا مستسلمًا ، غائبًا عن الوعى ، عندما أزالت كابح إطارات الفراش ، ودفعته أمامها إلى خارج الحجرة ، وهى تلهث من فرط التوتّر والانفعال ، وأخذت تعدو به عبر ممرات القسم الخالية ، ودوى الانفجارات يبلغها من الطابق الأوّل ، معلنًا أنه لم يعد يفصلها عن النووى سوى خطوات قليلة ..

وبكل ذعرها وارتياعها ، هتفت :

- ربّاه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

واصلت عدوها عبر الممرات ، وهى تدفع (نور) وفراشه أمامها ، و ...

وانتبهت فجأة إلى أن الانفجارات قد توقفت تمامًا .

بل ، لقد تلاشت كل الأصوات ، فيما عدا وقع أقدام تصعد فى درجات السلم ، إلى الطابق الثانى ، فى بطء واثق قوى ..

وكان هذا يعنى أمرًا واحدًا ..

لقد أزال النووى كل العقبات من طريقه ..

وها هو ذا يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ولم يعد لديها ما تفعله ..

أو تفرّ إليه ..

واقترب وقع قدمى النووى ..

واقترب ..

واقترب ..

وفى ارتياع ، راحت تتلفت حولها ، هاتفة :

- رباه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماتها ، لمحت تلك الحجرة ، فى نهاية الممر ..

كانت الحجرة الوحيدة المفتوحة ، فى الممر كله ، ووقع قدمى النووى يوحى بأنه سيبلغ الطابق ، بعد ثوان معدودة ، و ...

واندفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك الحجرة المفتوحة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت خلفه ، لتغلق الباب فى إحكام ، فى نفس اللحظة التى بلغ فيها النووى الطابق ..

وبينما كانت تلهث فى عنف ، داخل الحجرة المغلقة ، التى لم تكن سوى مخزن عقاقير الطوارئ ، لقسم علاج الحالات الحرجة ، كان النووى يدير عينيه فى المكان فى بطء ، ثم يتجه نحو الحجرة ، التى كان (نور) يرقد فيها منذ قليل ..

وبكرة نارية محدودة ، نسف باب الحجرة ، قبل أن يقتحمها فى عنف ، وعيناه تضيئان كمصباحين ساطعين ..

ثم انعقد حاجباه فى غضب ، عندما وقع بصره على الحجرة الخالية ..

واندفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك الحجرة المفتوحة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت خلفه

وبكل غضبه صرخ :

ـ اللعنة !

ومع صرخته ، انطلقت من قبضته كرة من النار ، نسفت الجدار المقابل ، وأطاحت به فى قوة ..

واندفع خارج الحجرة ، وهو يطلق صرخة غاضبة أخرى ، مقتحمًا الحجرة المجاورة ، التى كانت خالية بدورها ، مما ضاعف من غضبه ، ودفعه لنسف جدارها أيضًا ..

ومن مكمنها ، داخل حجرة عقاقير الطوارئ ، سمعت (سلوى) الانفجارات تتوالى ، من حجرة إلى أخرى ، مع صرخات النووى الغاضبة الثائرة ..

وعلى الرغم من أبواق سيارات الشرطة ، التى بلغت مسامعها ، مختلطة بدوى الانفجارات ، إلا أنها انكمشت فى مكانها هلعة مذعورة ، مدركة أن خصمها الخارق سيبلغها حتمًا ..

وأنه لن يتورّع عن نسف المستشفى بأكمله ، دون أن يطرف له جفن ؛ لبلوغ مأربه ..

وفى غمرة مشاعرها وانفعالاتها ، وعلى الرغم من معرفتها أن الفريق يجتمع الآن فى مكان بعيد للغاية

عنها، وأنه من المستحيل أن يتمكن رفاقها من الوصول إليها ، قبل أن يبلغها النووى ، إلا أن سبابتها وثبت تضغط ذلك الزر الصغير ، فى الإطار الجانبى لساعتها ، مطلقة إشارة الاستغاثة ..

وكانت هذه الضغطة هى محاولة النجاة الأخيرة ، على الرغم من كل ما فيها من يأس .. واستحالة ..

★ ★ ★

« هذا الأمر معقد للغاية .. »

ألقى الدكتور (حجازى) العبارة فى حيرة واضحة ، وهو يراجع مع (طارق) أوراق الدكتور (فؤاد) ، على شاشة الكمبيوتر ، وعاد يتطلع مرة أخرى إلى تلك التركيبات المعقدة ، قبل أن يتابع فى اهتمام :

ـ المفترض ، طبقًا لتلك الأبحاث ، أن يحدث تحور تام فى الخلايا ، بحيث تصبح لأغلفتها الخارجية القدرة على الاحتفاظ بالطاقة داخلها ، فى نفس الوقت الذى يمكنها فيه إحداث تغيرات فى تلك الطاقة ، وتحويلها إلى أية صورة أخرى .

أجابه (طارق) :

ـ وهذا ما رأيناه بأنفسنا ، فذلك النووى يطلق الضوء من عينيه ، وكرات النار والصواعق من قبضتيه ، ويمكنه إحاطة نفسه بغلاف متغيِّر الذبذبة ، من الطاقة الكهرومغنطيسية ، بحيث يخفى جسده ، أو يضيئه بضوء ساطع مبهر .

وتنهَّد فى عمق قبل أن يضيف :

ـ والله (سبحانه وتعالى) أعلم بما يمكن أن يفعله أكثر من هذا .

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه فى بطء ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح يا ولدى ، ولكننى مازلت أصرّ على أن الطبيعة تفرض نفسها وقوانينها فى النهاية ، أن تلك الخلايا ، مهما حدث فيها من تحورات ، ستظلّ تحتفظ بنفس طبيعتها البشرية ، التى خلقها عليها الله (عزّ وجلّ) ، وأن ذلك الجهد الخارق ، الذى تبذله طوال الوقت ، منذ امتلأت بالطاقة النووية ، لا بد أن يؤدى فى النهاية إلى انهيارها .

أشار (أكرم) بسبابته ، قائلاً :

ـ السؤال هو متى يا دكتور (حجازى) ؟! متى تنهار خلايا ذلك الوغد ؟!

عاد الدكتور (حجازى) يهزّ رأسه ، وقال :

- هذا ما نبذل قصارى جهدنا للتوصّل إليه يا ولدى .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال فى حنق :

- أتعشّم أن تتوصّلوا إلى هذا ، قبل أن ينتهى من حملته الثأرية الوحشية هذه .

وابتسم فى سخرية عصبية ، مستطردًا :

- أو قبل أن يظفر بنا .

أطلقت (نشوى) زفرة متوترة ، وأشارت إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

- الواقع أن أمر ذلك النووى شديد الصعوبة والتعقيد بالفعل يا (أكرم) ..

إننى أبذل قصارى جهدى ، وأراجع ملفات كل القضايا ، التى جمعت ما بين الضحايا الثلاث ، وأجمع المعلومات عن كل شخص ارتبط بها ، وعن أقارب المتهمين والمدانين فيها ، حتى الدرجة الرابعة ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يمكننى التوصّل إلى هويته الحقيقية قط .

تراجع (طارق) ، والتقى حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً :

- إننى أفكّر فى هذا منذ فترة ، وأعتقد أنه يمكننا التوصّل إلى هوية ذلك الشاب ، أو على الأقل إلى القضية التى أطلق كل غضبه وقوته من أجلها ، بوسيلة أخرى .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- أية وسيلة هذه ؟!

لم يجب (طارق) سؤاله مباشرة ، وإنما احتفظ وجهه بدلالات التفكير العميق لبضع لحظات ، قبل أن يشير بسبّابته ، ويسأل (نشوى) فى اهتمام :

- أخبرينى .. هل يمكنك التعامل مع برامج التماثل ثلاثية الأبعاد ؟!

أجابته بسرعة :

- بالطبع .. لقد درست هذا الأمر جيدًا ، ولدى برنامج رائع فى هذا المضمار .

اعتدل بجسده كله ليواجهها ، قائلاً :

- عظيم .. يمكننا إذن أن نقوم بتجربة دقيقة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة أزيز جهاز استدعاء الطوارئ ، وارتسم على شاشته اسم

(سلوى) ، قبل أن يتم تحديد موقعها على خريطة للمدينة ، فى سرعة مدهشة ، فهتفت (نشوى) فى ارتياع :

- ربَّاه ! إنها أمى .. يا إلهى ! أرجو ألا يكون مكروهٌ قد أصاب أبى .

قفز (أكرم) إلى جهاز المتابعة الأمنية العاجلة ، هاتفًا :

- سنعرف على الفور .

ضغط زر الجهاز فى لهفة متوتِّرة ، وتعلقت عيون الجميع بشاشته فى توتر بالغ ، حتى ظهرت على شاشته عبارة محدودة ، حولها الجهاز إلى صوت آلى ، يقول :

- هجوم عنيف على المستشفى المركزى .. نفس العدو الخارق .

شهقت (نشوى) فى ارتياع :

- ربَّاه ! أبى !! أمى !!

استلَّ (أكرم) مسدسه ، وهو يندفع نحو الباب ، هاتفًا :

- هيَّا بنا .

لم تقو ساقا (نشوى) على حملها ، وقلبها يخفق فى قوة ، وهمَّ (رمزى) بالنهوض من مقعده ، ولكن (أكرم) صاح به فى صرامة عصبية :

- هليوكوبتر الطوارئ النفاثة لن تحمل سوى رجلين .

ثم لوَّح بمسدسه ، مستطردًا فى لهجة آمرة :

- هيَّا يا (طارق) .

لم يكن (طارق) فى انتظار النداء ، فقد التقط حقيبته فى لهفة ، فور سماعه عبارة الجهاز ، واندفع نحو الباب ، وعبره بالفعل قبل أن يبلغه (أكرم) ، الذى انعقد حاجباه فى توتر ، إلا أنه لم يُعلق على الموقف ، حتى بلغا الهليوكوبتر ، فوثب (طارق) إلى مقعد قيادتها ، قائلاً :

- أسرع يا (أكرم) .. لا بد أن ننطلق بأقصى سرعة ، وإلا وصلنا بعد فوات الأوان .

قفز (أكرم) إلى الهليوكوبتر ، هاتفًا :

- هل يمكنك قيادتها ؟!

ربط (طارق) حزام مقعده ، مجيبًا فى حزم :

- إلى حد ما .

لم يكن (أكرم) قد أحكم ربط حزام مقعده ، عندما ارتفع (طارق) بالهليوكوبتر بغتة ، على نحو يشف عن إجادة تامة للطيران ، ومهارة مدهشة فى التحليق ، جعلت الهليوكوبتر تنطلق بسرعة كبيرة ، دون أن تفقد توازنها لحظة واحدة ..

وفى انبهار ، هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى ! إنك تقود بمهارة مبهرة بالفعل .

غمغم (طارق) فى تحفظ :

ـ لقد تلقيت بعض دروس الطيران .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم فى دهشة مستنكرة :

ـ بعض ؟!

لم يُعلق (طارق) على العبارة ، ولاذ بالصمت التام ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر بأقصى سرعة ممكنة ، نحو المستشفى المركزى ..

وفى نفس اللحظة ، كانت (نشوى) تتحرك داخل المقرّ الصحراوى فى عصبية شديدة ، هاتفة :

ـ لا .. لا يمكننى الجلوس هنا ساكنة ، وأبى وأمى يواجهان خطر الموت هناك .. لا بد أن أذهب إليهما .. لا بد .

أجابها الدكتور (حجازى) فى توتر شديد :

ـ لن يمكنك الوصول فى الوقت المناسب أبدًا يا ابنتى .. لقد رحل (أكرم) و (طارق) بالهليوكوبتر ، ولم يعد لدينا سوى السيارة الصحراوية ، وسرعتها تجعلنا نحتاج إلى نصف الساعة على الأقل ، قبل أن نبلغ المستشفى .

تنهّد (رمزى) ، مكملاً :

ـ والكثير يمكن حدوثه فى نصف الساعة هذه ..

وخفضَ عينيه فى مرارة ، مستطردًا :

ـ الكثير جدًا .

استدارت إليه فى عنف ، هاتفة :

ـ كان ينبغى أن تذهب معهما ، كان لا بد أن تفعل .

شعر الدكتور (حجازى) بالقلق ، وهو ينقل بصره بينهما ، فى حين أجابها (رمزى) بسرعة :

ـ الهليوكوبتر النفاثة صغيرة الحجم ، ولا تصلح لحمل أكثر من رجلين .

صاحت به :

ـ ولماذا لم تكن أوّل الرجلين ؟! إنك قائد الفريق الآن ، وينبغى أن ..

قاطعها فى حزم ، قبل أن تكمل عبارتها :

ـ أن أتخذ القرار الصحيح المناسب ، طبقًا للموقف ، ومقتضيات المواجهة .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يكمل فى مرارة :

ـ وهذا ما فعلته .

حدّقت فى وجهه بتوتر بالغ ، فرفع عينيه إليها ، مضيفًا :

ـ لقد أرسلت أفضل رجلين لدينا بالفعل .. الدكتور (حجازى) لن يمكنه التصدّى لموقف كهذا ، وأنا لم أستعد لياقتى بعد .. كان هذا أفضل قرار يمكن اتخاذه ، فى ظرف شديد الحساسية كهذا .

ارتجفت شفتاها بضع لحظات ، وهى تواصل التحديق فى وجهه ، ثم لم تلبث أن ألقت نفسها بين ذراعيه فجأة ، وتركت دموعها تنفجر كينبوع ساخن من عينيها ، وهى تدفنهما فى صدره ، قائلة :

ـ سامحنى يا (رمزى) .. سامحنى .. الموقف يفوق قدرتى على الاحتمال .. لا يمكننى أن أتخيل نفسى فى موقف سلبى كهذا ، وأبى وأمى يواجهان خطر الموت ، على مسافة عدة كيلومترات منى .

احتواها بين ذراعيه فى حنان ، وضمها إليه فى رفق ، هامسًا :

ـ سيكون كل شىء على ما يرام بإذن الله (العلى القدير) يا زوجتى العزيزة .. سيكون كل شىء على ما يرام ..

فى نفس اللحظة التى تجاوزت فيها العبارة شفتيه ، كانت (سلوى) ترتجف فى مخبئها ، كما لو كانت عصفورًا صغيرًا أصابه البلل ، فى ليلة قارصة البرودة ، وأصوات انفجار الأبواب والجدران تقترب منها بسرعة مدهشة ، مع صرخات الغضب المخيفة ، التى يطلقها ذلك النووى ، بعد كل حجرة خالية ..

وكان من الواضح أنه سيبلغ مخزن عقاقير الطوارئ بعد لحظات معدودة ..

لحظات تأتى بعدها النهاية لا ريب ..

نهايتها ..

ونهاية (نور) ..

ولم يكن هناك مكان آخر ، يمكنها أن تذهب إليه ..

لقد وضعت نفسها فى المصيدة ، ولم يعد هناك من سبيل للفرار ..

أى سبيل !

وخفق قلبها بأعنف ما يمكنه ، عندما توقّف وقع الأقدام أمام باب المخزن ..

ثم هوى بين قدميها ، عندما انطلقت الصرخة الغاضبة ..

وانطلقت معها كرة جديدة من كرات النار ..

كرة أصابت باب الحجرة ، وانتزعته من مكانه فى عنف ، ودفعته حتى ارتطم بها ، ودفعها مع فراش (نور) حتى نهاية الحجرة ، قبل أن يرتطم طرفه العلوى بالجدار ، ويميل كله فوق فراش (نور) ..

ومن خلف الباب ، وبعينين أدركهما تعب وذعر الدنيا كلها ، لمحت (سلوى) وجه ذلك الشاب ..

وجه النووى ..

وكان فى تلك اللحظة يرفع قبضته نحو الداخل ، استعدادًا لإطلاق كرة نارية جديدة ..

كرة ستنسف الحجرة كلها ، بكل ما فيها ، ومن فيها ..

وهذا يعنى أنها النهاية المحتومة .. للجميع ..

* * *

٢ - مواجهة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الرابعة والنصف عصرًا ..

لحظة واحدة ، التقت فيها عينا (سلوى) بعينى القاتل ..

لحظة انتفض لها جسدها كله فى عنف ، وسرت فيه موجة باردة كالثلج ، تجمّدت لها أطرافها ، وارتجف لها كيانها كله ، كما لو أن صاعقة قوية أصابته ..

وفى تلك اللحظة ، قرأت (سلوى) فى عينى النووى الكثير ..

ورأت ما تعجز آلاف الكلمات عن وصفه ..

رأت الغضب ..

المقت ..

الثورة ..

الشراسة ..

الوحشية ..

بل رأت الشيطان نفسه ، يطلّ من عينين سكنهما الجنون ، واستقرّ في أعماقهما الشر مجسَّمًا ..

وبعد تلك اللحظة ، تألّقت عيناه ، وسطعتا ..

وانطلق منهما ذلك الضوء المخيف ..

الرهيب ..

وبكل ذعر الدنيا ، صرخت (سلوى) ، وهي تتراجع ، محاولة حماية زوجها الغائب عن الوعي ، حاجبة عينيها بكفيها ، من ذلك الضوء المبهر ، الذي يغشى كيانها كله ، و ...

« أنت هناك .. »

انطلقت الصيحة بغتة ، من بداية الممر ، وانطلق معها شعاعان من الليزر ، شقا طريقهما نحو النووي ، وتلاشيا على قيد سنتيمترات من جسده ، فوق ذلك الحاجز الكهرومغنطيسي الواقي ، الذي أحاط نفسه به ..

وفي ثورة غاضبة ، استدار النووي يواجه رجال الشرطة ، الذين هرعوا إلى المكان ..

وبلا تردُّد ، أطلق الرجال نحوه عشرات من خيوط الليزر القاتلة ..

ولم يكن مصير تلك الخيوط بأفضل من مصير سابقتها ..

لقد تحطمت وتلاشت ، فوق الدرع الواقية مرة أخرى ..

وفي توتر بالغ ، هتف أحد رجال الشرطة :

– استخدموا مدفعًا .. أطلقوا نحوه صاروخًا ، و ...

صرخ النووي في غضب ، قبل أن يتمّ الرجل عبارته ، ورفع قبضته نحوه ..

وأطلق كرة نارية جديدة ..

وتراجع رجال الشرطة في ذعر ، أمام تلك الكرة المخيفة ، التي شقت طريقها عبر الممر ، لترتطم بجسد أحدهم ، وتقتلعه من مكانه ، دافعة إياه أمامها لخمسة أمتار كاملة ، قبل أن يصدم بالجدار ، ويسقط أرضًا ..

ولكن العجيب أن تلك الكرة النارية لم تقتله ..

فقط أحرقت قميصه ، وسترته الواقية ، ومزّقت أربطتها كلها ..

وانعقد حاجبا النووي في غضب هادر ..

وانطلقت منه صرخة أخرى ..

صرخة شفت عن ثورة عارمة هذه المرة ..

ومع صرخته ، هتف أحد رجال الشرطة ثانية :

ـ أطلقوا نحوه صاروخًا .

واخترقت العبارة أذنيه فى قسوة ..

لقد أدرك أن طاقته قد انخفضت بسرعة هذه المرة .

بسرعة أكثر مما ينبغى ..

وهذا يعنى أنه لو انطلق هذا الصاروخ نحوه ، فسيكون مصيره الموت حتمًا ..

لذا فقد أسرع يبدل ذبذبة الغلاف الكهرومغنطيسى المحيط به ، وأخذ جسده يتلاشى تدريجيًا ، وهو يعدو نحو رجال الشرطة ، مطلقًا صرخات غضب متصلة ، جعلتهم يتراجعون فى فزع ، وكبيرهم يصرخ :

ـ أطلقوا الصاروخ .. أطلقوا الصاروخ ..

وضغط حامل المدفع زر الإطلاق ..

وانطلق الصاروخ ..

ولكن النور كان قد اختفى تمامًا ..

ولم يعد هناك هدف يمكن التصويب عليه ..

ودوى الانفجار فى نهاية الممر ..

وأطاح بجدار حجرة عقاقير الطوارئ ..

نفس الحجرة التى تحتمى بها (سلوى) ، مع زوجها (نور) ..

ومع الانفجار ، انطلقت فى المكان كله ضحكات ساخرة عصبية ، راحت تبتعد ، وتبتعد ، حتى تلاشت بدورها ..

وساد المكان صمت رهيب ..

صمت يوحى بأنه ، وباستثناء رجال الشرطة ، الذين شملهم الرعب والذهول ، لم يكن هناك أثر لحياة أخرى فى ذلك الطابق ..

أدنى أثر ..

* * *

لم ينطق (طارق) بحرف واحد ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر نحو المستشفى ..

وكذلك لم يفعل (أكرم) ..

كانت هناك مخاوف شتى ، تسيطر على كليهما ، حتى إن كلاً منهما اكتفى بالتفكير فيها ، ولم يجد بنفسه أدنى رغبة فى التحدث مع رفيقه ..

ثم قطع (طارق) ذلك الصمت ، وهو يشير بيده قائلاً :

- ها هو ذا المستشفى .

وهنا غمغم (أكرم) بصوت مبحوح :

- أتمنى أن نكون قد وصلنا فى الوقت المناسب .

التقى حاجبا (طارق) قليلاً ، وهو يقول :

- عجبًا ! رجال الشرطة يندفعون خارج المستشفى ، كما لو أنهم ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يفكّر فى عمق ، فسأله (أكرم) فى توتر ، وهو يستلّ مسدسه بحركة حادة :

- كما لو أنهم ماذا ؟!

أجابه (طارق) فى بطء :

- كما لو أنهم يطاردون شخصًا ما .

ثم انحرف فجأة بالهليوكوبتر ، مضيفًا فى حزم :

- شخص خفى .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، وهو يهتف :

- ماذا تفعل يا هذا ؟!

أجابه (طارق) فى اهتمام ، وهو يدفع إليه حقيبته :

- من الواضح أن ذلك النووى قد انتهى من مهمته ، وبدأ يفقد طاقته ، لذا فقد أحاط نفسه بغلاف الإخفاء ، وغادر المكان ، وهم يبحثون عنه الآن .

هتف (أكرم) فى غضب :

- عظيم .. دعنا نهبط عند المستشفى إذن ، لنطمئن على (نور) و (سلوى) .

أجابه (طارق) فى حزم شديد :

- ليس الآن .. افتح الجهاز ، وابحث عن برنامج باسم (النووى) ، ثم انتقل إلى البرنامج الفرعى (مسارات) ، وسيمكنك تحديد الاتجاه ، الذى ينبغى أن نتخذه ، لنتعقّب الشاب .

صاح (أكرم) :

- نتعقّب من ؟! المفترض أن تكون الأولوية لـ (نور) و (سلوى) .

قال (طارق) فى صرامة :

- كلا يا رجل .. إننا رجال مخابرات علمية ، والأولوية المطلقة لدينا للمهمة ، التى تم إسنادها إلينا ، ومهمتنا هى العثور على ذلك النووى ، وتدميره ، أو منعه من مواصلة حملته الثأرية الغامضة ..

صاح (أكرم) فى ثورة :

ـ وماذا عن (نور) و (سلوى) ؟!

أجابه (طارق) بنفس الصرامة :

ـ لقد انتهى النووى من مهمته بالمستشفى ، ولو أنه كان يهدف إلى (نور) و (سلوى) بالفعل ، فقد فعل ما فعله ، ولم يعد بوسعنا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء .

رمقه (أكرم) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

ـ يا لرقة مشاعرك !

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم بالغ :

ـ لن أضيع فرصة نادرة كهذه ، للظفر بخصم مثله ، لمجرّد أن مشاعرى المرهفة تصرّ على مخالفة المنطق والواقع ، والخضوع لنزوة عاطفية سخيفة .

ثم التفت إليه ، مستطردًا :

ـ هيّا يا رجل .. انفض عن نفسك كل تلك العواطف ، وابدأ فى تشغيل برنامج المسار .. هيّا .

صمت (أكرم) بضع لحظات ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا فى حنق :

ـ اللعنة !

وأسرع يفتح الجهاز ، ويستدعى برنامج المسار ، الذى رسم أمامه خريطة لمدينة (القاهرة) الجديدة ، ثم ارتسمت فوقها ثلاثة خطوط حمراء ، و (طارق) يقول :

ـ هذه هى الاتجاهات ، التى اتخذها فى عملياته الثلاث السابقة ، بعد أن انتهى من مذبحته ، والمفترض أنها تشير إلى حيث يختفى أو يقيم .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ولكنه يحيط نفسه بغلاف الإخفاء ، كما تقول .

أجابه (أكرم) ، وهو يدور بالهليوكوبتر فى سماء المدينة :

ـ دراساتى تقول : إنه لن يمكنه أن يفعل هذا طوال الوقت ؛ وإلا نفدت طاقته ، ونضبت تمامًا .. سيضطر حتمًا لرفع ذلك الغلاف ، عندما يتصوّر أنه صار بعيدًا عن مواطن الخطر ، وعندئذ سيلتقطه جهاز تحديد الطاقة ، وسيمكننا تتبعه إلى وكره .

سأله (أكرم) :

ـ ثم ؟!

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ ثم سيكون علينا أن نترجل .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ نترجل ؟!

أجابه (طارق) فى حزم :

ـ نعم يا رجل .. نترجل .. وعليك أن تؤهل عقلك لفعل هذا ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة أزيز محدود ، من جهاز تحديد الطاقة ، وظهرت على شاشته بقعة حمراء متحركة ، فهتف (أكرم) ، وجسده كله ينتفض انفعالاً :

ـ ها هو ذا .. لقد أزال الغلاف .

التقى حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

ـ عظيم ..

ثم ألقى نظرة سريعة على شاشة جهازه ، وهو يميل بالهليوكوبتر ، لينطلق نحو الهدف ..

الهدف الخارق ..

* * *

كان انفجار الصاروخ قويًا بالفعل ، حتى إنه أطاح بجزء من جدار الحجرة ، فاندفعت الأجزاء المحطمة نحو (سلوى) و (نور) فى عنف ..

ولكنها ارتطمت أولاً بالباب الخشبى السميك ، الذى احتمت به (سلوى) ، وأخفت خلفه فراش (نور) .

ومع دوى ارتطام الأحجار بالباب ، فقدت (سلوى) أعصابها ..

وراحت تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

والعجيب أن كل تلك الصرخات لم تتجاوز حلقها ..

لقد انطلقت كلها فى أعماقها ، وانحبست فى داخلها ، وجسدها يرتجف فى عنف شديد ..

فيما عدا الصرخة الأخيرة ..

وحدها نجحت فى تجاوز أسوار حلقها ، فانفجرت عالية مدوية ، فى المكان كله ..

وارتفعت عيون كل رجال الشرطة نحو مصدر الصرخة ..

وهتف كبيرهم ، وهو يعدو محاولاً البحث عن ذلك

الخصم ، الذى تلاشى أمام أعينهم ، كما لو أنه ذاب فى العدم :

ـ فليتحرّ أحدكم ما يحدث هنا .

اندفع أحد الرجال نحو الحجرة ، وقفز فوق الحطام ، الذى يسدّ مدخلها ، وصوّب مسدسه الليزرى إلى الباب الخشبى ، هاتفًا :

ـ من هنا ؟!

جاوبه سعال عنيف ، قبل أن تهتف (سلوى) :

ـ النجدة .. أنا (سلوى) ، من المخابرات العلمية .. استدع فريق الطوارئ الطبى بالله عليك .. زوجى (نور) مصاب .. أسرع يا رجل .. أسرع .

هتف الشرطى :

ـ زوجك (نور) ؟! أتعنين المقدّم (نور الدين) ، رجل المخابرات العلمية ، وبطل التحرير ؟!

أجابته باكية :

ـ إنه هو .. أسرع يا رجل ، قبل أن تضيف إلى تلك الألقاب كلمة (سابقًا) ..

لم يفهم الرجل ما تعنيه للوهلة الأولى ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن ينتزع جهاز اللاسلكى ، المعلق فى حزامه ، ويهتف عبره :

ـ حالة عاجلة ، فى الطابق الثانى ، تحتاج إلى إسعاف طبى على الفور .. أكرّر .

تردّد هتافه عبر كل مكبرات الصوت بالمستشفى ، وانتقل إلى كل رجل شرطة فى المنطقة كلها ..

ولكن كانت هناك مشكلة ..

لقد حطّم ذلك النووى فى هجومه ، كل شىء تقريبًا ..

قسم الطوارئ ..

حجرات العمليات الجراحية ..

مستودع العقاقير الطبية ..

وحتى قسم رعاية الحالات الحرجة ..

كل شىء ..

وتقريبًا ، لم يكن هناك مكان يمكن فيه علاج (نور) .

أو مواصلة رعايته ..

وفى ارتياع ، هتفت (سلوى) :

ـ أين الجميع ؟! أين الأطباء ، والممرضات ؟! أين كل شخص هنا ؟! لا بد من إسعاف (نور) بأقصى سرعة .. لقد انتزعت كل الأسلاك والأنابيب الدقيقة

عن جسده عنوة ، ولست أدرى ما يمكن أن يفعله بـه هذا ، ولا ما الذى ..

سعل (نور) بغتة ، ليبتر عبارتها ، فالتفتت إليه فى سرعة ، هاتفة :

ـ رباه ! (نور) !

سعل مرة أخرى فى قوة ، ثم امتقع وجهه فى شدة ، وبدا وكأن صدره لم يعد قادرًا على ترديد أنفاسه ، فصاحت :

ـ (نور) .. ماذا أصابك ؟! ماذا بك ؟!

شهق (نور) فى قوة ، ثم تهالك جسده دفعة واحدة ، فصرخت :

ـ لا .. لا يا (نور) .. لا .

وبكل ما يحتشد به صدرها ، ويموج به كيانها ، صرخت :

ـ (نور) .. (نوووور) ..

وترددت صرختها فى المستشفى كله قوية مجلجلة ، و ...

وما من مجيب ..

* * *

« إننا نقترب منه بالتأكيد .. »

نطق (أكرم) العبارة فى انفعال شديد ، وهو يشير إلى البقعة الحمراء ، التى ازدادت تألقًا ، على شاشة الجهاز ، و (طارق) يواصل التحليق بالهليوكوبتر ، فى سماء (القاهرة) الجديدة ، فغمغم هذا الأخير فى اهتمام ملحوظ :

ـ هذا صحيح .. إنه هنا فى مكان ما .. وسط المارة والسيارات ، التى تكتظ بها الطرقات ، فى هذه الساعة .. أتعشّم أن نتعرّف سيارته .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ سيارته ؟! أيقود مثله سيارة عادية ؟!

أجابه (طارق) بدهشة مماثلة :

ـ ولِمَ لا ؟! أتعتقد أن كونه نوويًا ، يجعله قادرًا على قطع تلك المسافات الطويلة ، سيرًا على الأقدام ؟!

مطّ (أكرم) شفتيه فى شىء من الحيرة ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ كنت أتصوّر أنه سيطير مثلاً .

ارتفع حاجبا (طارق) فى دهشة أكثر ، ثم ابتسم فى شىء من السخرية ، قائلاً :

ـ آه .. من الواضح أنك كنت تكثر من قراءة الروايات المصورة فى صباك ، وعلى الأخص روايات (سوبرمان)(*)

انعقد حاجبا (أكرم) فى حنق ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كانت مجرد ملاحظة .

أومأ (طارق) برأسه ، مغمغمًا :

ـ يمكننى فهم هذا .

ثم أشار إلى شاشة جهازه ، متابعًا فى انفعال :

ـ أعتقد أنه تحتنا مباشرة الآن .

(*) سوبرمان : شخصية خيالية ، ابتكرها (جوشاستر) و(جيرى سيجال) ، إبان الأزمة الاقتصادية الأمريكية فى الثلاثينات ، وهى لبطل جاء من كوكب آخر ، واكتسب قوى خارقة على كوكب الأرض ، جعلته قادرًا على الطيران ، ورؤية الأشياء البعيدة والمحجوبة ، كما امتلك مناعة ضد كل أنواع الأسلحة المعروفة ، ولقد استخدم قوته هذه لعمل الخير وتحقيق العدالة .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، ومال برأسه متطلعًا إلى عشرات السيارات ، التى تشقّ طريقها تحته ، وغمغم متوترًا :

ـ هل يمكنك تحديد موقعه بالضبط ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يبطئ من سرعة الهليوكوبتر :

ـ لا تتعجل الأمور .. إننا نقترب من مفترق طرق ، وذلك الفيض من السيارات لن يلبث أن ينقسم إلى عدة مجموعات صغيرة ، كلّ فى اتجاه ما ، وعندئذ سيمكننا تحديد الأمر أكثر .

بدا الضيق على وجه (أكرم) ، واعتدل فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ أتعشّم هذا .

كان يشعر بتوتّر هائل ، يطغى على مشاعره كلها ؛ لأنه يقترب من خصمه النووى ..

ولأنه ما زال يجهل مصير (نور) و (سلوى) ..

ومن أعمق أعماقه ، تصاعدت رغبة ملحة فى الاتصال بالمستشفى ، والسؤال عنهما ..

ولكنه ، ولسبب ما ، كان يخشى أن يفعل ..

ربما لأن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير ، لم يفارقه بعد ..

أو لأنه يخشى أن يجد ما يضطره إلى إيقاف المطاردة ، والعودة إليهما !!

إنه ، تمامًا مثل (طارق) ، يجد أنها فرصة مثالية ؛ لتحديد موقع ذلك النووى ، وبلوغ وكره الخفى ..

ولكنه يرفض الاعتراف بهذا ..

أو يخشاه ..

وبشدة ..

وكمحاولة لإبعاد الأمر عن ذهنه ، راح يشغل عقله بمراقبة السيارات ، التى اقتربت من المفترق ، ثم راحت تنقسم إلى مجموعات صغيرة بالفعل ، وعندئذ قال (طارق) فى حماس :

ـ ها هو ذا .. لقد اتخذ الطريق ، الذى يمرّ بمحاذاة أطلال (القاهرة) القديمة .

هتف (أكرم) :

ـ حقًا ؟!

كانت السيارات ، التى اتخذت هذا الطريق محدودة للغاية ؛ لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، لذا فقد حلق

(طارق) فوقها ، والانفعال يغمره مع (أكرم) ، الذى أمسك مسدسه بحركة غريزية ، وأحاط مقبضه بأصابعه فى قوة ، وعيناه تفحصان ذلك العدد المحدود من السيارات ، وهو يتمنى أن يمتلك تلك القدرة الخرافية ، على النفاذ ببصره عبر الحدود ؛ لرؤية خصمه ، وتحديد موقعه وهويته ، و ...

وفجأة ، انحرفت إحدى السيارات ، وتوقفت أمام متجر كبير ..

ومع توقفها ، توقفت تلك البقعة الحمراء على الشاشة ..

وبكل حماسه ، هتف (طارق) :

ـ ها هو ذا .

سأله (أكرم) فى انفعال :

ـ أأنت واثق ؟!

تعلقت عيونهما بالشاب ، وهو يغادر السيارة ، ويتجه فى هدوء نحو المتجر ، وقال (طارق) :

ـ بلا أدنى شك .. إنه يسعى لشراء غذائه .. جسمه يحتاج الآن إلى الكثير من الطعام ، قبل أن يغرق فى سبات عميق محدود .. لقد توقف لشراء طعامه .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ إذن فهذا هو .. هذا هو .

ثم سأل فى لهفة :

ـ أأنت واثق من أنه لا يستخدم تلك الأغلفة الواقية الآن ؟!

أجابه (طارق) ، وهو ينخفض بالهليوكوبتر :

ـ بالطبع .. إنه ..

قبل أن يتمّ عبارته ، فوجئ بـ (أكرم) يصوِّب مسدسه إلى الشاب ، هاتفًا :

ـ فيم انتظارنا إذن ؟!

هتف به (طارق) :

ـ لا .. لا تفعل ..

ولكن هتافه ضاع مع دوى الرصاصات ، التى أطلقها (أكرم) فى حزم وسخاء ، نحو ذلك الشاب النووى ..

وكانت مفاجأة حقيقية للشاب ..

لقد انهالت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب المتجر ، وفوجئ بإحداها تخترق كتفه ، وبثانية تغوص فى جدار بطنه ، فوثب داخل المتجر ، مطلقًا

لقد انهالت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب المتجر ، وفوجىء بإحداها تخترق كتفه ..

صرخة غضب هادرة ، فى نفس الوقت الذى هتف فيه (طارق) ، داخل الهليوكوبتر :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟! لقد أثرت جنونه .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ لم يكن من الممكن أن أضيع فرصة كهذه .

دار (طارق) بالهليوكوبتر ، وهو يقول :

ـ فلندع الله إذن أن نتمكن من الفرار ، قبل أن ...

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، عندما برز النووى من المتجر ، وجسده يضىء بضوء باهت ، وأطلق صرخة غاضبة قوية ، وقبضته ترتفع نحو الهليوكوبتر ..

وبلا تردُّد ، أطلق (أكرم) رصاصاته مرة أخرى .

ورأى تلك الكرة من النيران ، التى انطلقت من قبضة النووى ..

وصرخ (أكرم) :

ـ احترس يا (طارق) .

وجذب (طارق) ذراع الهليوكوبتر فى قوة ، ولكن الكرة النارية كانت تنطلق بسرعة خرافية ، جعلتها تبلغ الهليوكوبتر فى لحظة واحدة ، و ...

ودوى انفجار محدود ..

انفجار أطاح بطرف ذيل الهليوكوبتر ، مع مروحتها الخلفية ..

واشتعلت النيران فى باقى الذيل ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها ..

وهوت ..

وبمنتهى العنف .

* * *

٢ - أربع ساعات ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الخامسة عصرًا .

كل شىء كانت تسوده الفوضى والاضطراب فى المستشفى ..

حالة الذعر الهائل ، التى سيطرت على الجميع ، مع الهجوم العنيف ، جعلتهم يفرون خائفين هلعين ، تاركين المكان كله خلفهم ..

وكادت (سلوى) تنهار ، وزوجها يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها ، والشرطى يطلق النداء تلو الآخر، فى محاولة لاستدعاء من ينقذ حياته ..

وبكل مرارة الدنيا ، هتفت (سلوى) :

- لا .. لا يمكن أن يفعلوا بنا هذا .. لا يمكن أن يتركنا الجميع هكذا .

« هذا صحيح يا سيِّدتى .. »

ارتجف جسدها كله مع العبارة ، واستدارت إلى مصدرها فى لهفة ، وكاد قلبها يثب من بين ضلوعها ، عندما وقع بصرها على أحد أطباء المستشفى ، فى

معطفه الأبيض ، وهو يشق طريقه إليها ، مستطردًا :

- لا يمكن أن نتخلى عمن يحتاج إلينا .. إنها رسالتنا .

تنهَّد الشرطى فى ارتياح ، مغمغمًا :

- حمدًا لله .

أما (سلوى) ، فقد تعلَّقت بالطبيب ، هاتفة :

- أنقذ حياته يا سيِّدى .. أرجوك .

ربَّت الطبيب على يدها ، قائلاً :

- سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدتى .

وبسرعة ، راح يفحص (نور) ، الذى بدا شاحبًا كالموتى ، وغمغم :

- آه .. إنها صدمة ارتدادية .. لقد توقَّفت منشطات القلب ، دون سابق إنذار .. إنه يحتاج إلى إسعاف عاجل بالفعل .

هتفت يائسة :

- ولكن كيف ؟! لقد تحطَّم كل شىء .. كل شىء ..

أجابها فى حزم :

- حتى هذا الطابق مخرب يا سيِّدتى .

ثم التفت إلى الشرطى ، مستطردًا :

- هيا يا رجل .. تعاون معى ؛ لننقل المقدَّم (نور) إلى الطابق الثالث ، حيث حجرة العمليات الجراحية الرئيسية .. أسرع .

سألته (سلوى) فى ذعر :

- هل .. هل يحتاج إلى عملية جراحية عاجلة ؟!

أجابها الطبيب ، وهو يتعاون مع الشرطى لحمل فراش (نور) خارج الحجرة المحطَّمة :

- كلا يا سيدتى ، ولكن هناك وحدة عناية مركَّزة ، ملحقة بحجرة العمليات الرئيسية ، تحسبًا لأية طوارئ مفاجئة ، فى أثناء إجراء أية جراحة كبرى ، وتلك الوحدة مجهَّزة بكل ما نحتاج إليه .

ثم عاد يهتف بالشرطى :

- أسرع يا رجل بالله عليك .

كانت المصاعد كلها معطَّلة ، كإجراء وقائى ، بعد انطلاق إنذار الحريق(*) ، ولكن الطبيب والشرطى جاهدا لحمل الفراش ، عبر درجات السلم ، وانضمَّ إليهما بعض الممرضين والعاملين بالمستشفى ، الذين عادوا إليها ، بعد انتهاء الموقف ..

(*) فى حالات الحريق أو الزلازل ، من الخطر استخدام المصاعد ، خشية انقطاع حبالها ، وسقوطها العنيف من ارتفاعات كبيرة ، أو انقطاع التيار ، وتوقفها غير المتوقع بين الطوابق ، واحتجاز ركابها داخلها.

وفى عنف ، راح قلب (سلوى) يدقّ ..

ويدقّ ..

ويدقّ ..

حتى بلغ الرجال وحدة العناية المركَّزة ، الملحقة بحجرة العمليات الرئيسية ..

وما إن تم وضع فراش (نور) داخلها ، حتى بدأ الطبيب عمله على الفور ، وهو يلقى أوامره وتعليماته إلى الممرضين والممرضات فى سرعة ودقة ..

وتحرك فريق العمل كخلية نحل ، مفعمة بالنشاط والحيوية ..

بعضهم راح يوصل جسد (نور) بمجموعة جديدة من الأسلاك والأنابيب الدقيقة ، التى تتصل بأجهزة طبية خاصة ، تعمل على قياس نبضه ، وضغط الدم فى عروقه ، وضربات قلبه ، وإشاراته الكهربية ، وذبذبات مخه ، وتنقل إليه عددًا من السوائل والأغذية ، التى تحافظ على حيوية خلاياه ونشاطها ..

والبعض الآخر راح يدلك صدره ، ويحقنه بالأدوية والعقاقير اللازمة ..

وانهمرت دموع (سلوى) فى غزارة ..

وخفق قلبها فى عنف ..

ولأكثر من اثنتى عشرة دقيقة ، وقفت تراقب ما يفعله الرجال فى صمت ، ورأت العرق يتصبّب على وجوههم فى غزارة ، دون أن يتوقّفوا لحظة واحدة ..

ورأت الطبيب يتابع شاشات الأجهزة الطبية طوال الوقت ..

وأدركت أن زوجها يمرّ بموقف دقيق ..

وعصيب ..

للغاية ..

ومن أعمق أعماق قلبها ، ودون أن يصدر عنها أدنى صوت ، هتفت :

- أنقذه يا إلهى ! أنقذه من أجلى .. من أجلنا جميعًا .

لم يكد الهتاف يتردّد فى أعماقها ، حتى رفع الطبيب عينيه إليها ، والعرق يغمر وجهه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

- أعتقد أنه سينجو يا سيّدتى .

خفق قلبها فى عنف ، وتفجّر من عينيها نبع من الدموع ، وهى تهتف :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

ومع الدموع المنهمرة من عينيها ، وعلى الرغم من نجاة (نور) هذه المرة ، قفز إلى ذهنها سؤال مخيف ..

ماذا لو لم تكن هذه هى المحاولة الأخيرة للنووى ، للقضاء على (نور) ؟!

وماذا لو أنه هاجم مرة أخرى ؟!

ونجح !!

ومع هذا السؤال ، ارتجف قلبها مرة أخرى فى عنف ..

وفى ارتياع ..

* * *

لم تكن الكرة النارية ، التى أطلقها النووى ، بنفس قوة كراته السابقة ، التى استخدمها فى هجومه على المستشفى ..

وهذا لحسن حظ (طارق) و (أكرم) ..

فلو أنه أطلق نحوهما كرة نارية كاملة القوة ، لنسفت الهليوكوبتر كلها بضربة واحدة ، وأحالتها إلى كومة من الفتات والشظايا المتناثرة ..

ولكن كرته هذه نسفت الذيل فحسب ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها بالطبع ..

وراحت تدور حول نفسها ، وهى تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

نحو الأطلال القديمة ..

وفى غضب ، هتف (أكرم) :

ـ لقد ظفر بنا الوغد .

أجابه (طارق) فى حزم صارم :

ـ ليس بعد .

التفت إليه (أكرم) فى دهشة ، فتابع ، وهو يحلّ حزام مقعده :

ـ استعد يا رجل .. سنقفز من الهليوكوبتر ، فور اقترابها من الأرض .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهتف :

ـ هل جننت ؟!

تخلى (طارق) عن عصا القيادة ، قائلاً :

ـ وما الذى يمكن أن نخسره ؟!

تفجّر القول فى رأس (أكرم) ، وجعله يعيد مسدسه إلى حزامه ، ويحلّ رباط مقعده ، قائلاً فى حزم :

ـ صدقت .

كانت الهليوكوبتر تقترب من الأطلال بسرعة مخيفة ، وتدور حول نفسها فى عنف ، فتعلق بصرهما بالأرض ، وهى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم هتف (طارق) :

ـ الآن .

ومع هتافه ، وثب الاثنان ..

وشعر (أكرم) وكأنه يلقى بنفسه من الطابق الخمسين ، على الرغم من أن الهليوكوبتر لم تكن تبعد عن الأرض بأكثر من عشرة أمتار ..

ورأى جزءاً من الأطلال يقترب منه فى سرعة ، فثنى ركبتيه إلى صدره ، وحمى وجهه بذراعيه ، وشعر بجسده يرتطم ببقايا جدار فى عنف ، ثم يسقط فوق كومة من الصخور الصغيرة ، ويتدحرج عليها فى قوة ، وسط عاصفة من الغبار ، قبل أن يتوقف ، وينهال عليه الغبار فى كثافة ..

وفى نفس اللحظة ، سمع دوى انفجار الهليوكوبتر ، على مسافة عشرين مترًا منه تقريبًا ..

ورأى لسانًا من اللهب ، يرتفع إلى عنان السماء .

ثم هدأ كل شىء ..

ولثوان ، نهض (أكرم) صامتًا ، يحدّق فيما حوله فى ذهول ، وكأنه لا يصدّق أنه نجا ..

ثم فجأة ، انتابته فرحة غامرة ، جعلته يهتف :

- يا إلهى ! لقد نجونا .. فعلناها ونجونا .

وأطلق ضحكة عالية ، تموج بالانفعال ، قبل أن يعدو وسط الأطلال ، رافعًا ذراعيه إلى السماء ، وهاتفًا :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. أشكرك يا إله العالمين .. لك الحمد والشكر .

ثم توقّف فجأة ، وتلفّت حوله ، صائحًا :

- (طارق) .. أين أنت ؟!

أتاه صوته واهنًا ضعيفًا ، يجيب :

- أنا هنا .

انطلق يعدو إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

- ربّاه !.. (طارق) .

كان (طارق) ملقى بين بعض الأحجار الكبيرة ، وقد انهار جزء من جدار قديم على ساقه اليسرى ، وبدا الألم واضحًا على ملامحه ، فأسرع (أكرم) يرفع أجزاء الجدار ، وهو يسأله فى توتر :

- كيف حدث هذا ؟!

أجابه (طارق) فى ألم :

- انفجار الهليوكوبتر أسقط الجدار .

ردّد (أكرم) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ابتسم (طارق) فى صعوبة ، وهو يقول :

- هذا أفضل ما يمكن حدوثه يا رجل .. كان يمكن أن نلقى مصرعنا معًا .

ثم عضّ شفتيه فى ألم ، قبل أن يضيف :

- أكثر ما يؤلمنى هو أننى فقدت جهازى .

قال (أكرم) ، وهو يرفع الأنقاض عن ساقه :

- كل شىء يمكن تعويضه يا (طارق) .. كل شىء .

انتهى (أكرم) من رفع الأحجار وبقايا الجدار ، ثم

انحنى يفحص ساق (طارق) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أنها لم تتعرَّض للكسر .. صحيح أننى لست طبيبًا ، ولكن الحياة القاسية ، التى عشتها فى صباى ، منحتنى القدرة على معرفة هذه الأشياء .

ثم اعتدل جالسًا ، إلى جوار (طارق) ، وهو يستطرد :

ـ تماسك يا صديقى ، وستصل النجدة بعد قليل ..

قالها ، وهو يضغط زر الاستغاثة ، فى جانب ساعته ، وعقله يحمل عشرات التوترات والتساؤلات .

وكلها تدور حول ذلك العدو ..

العدو الرهيب ..

الخارق ..

* * *

تنهَّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وأدار بصره بين أفراد الفريق ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أننى لن أكون مبالغًا ، لو قلت إنكم نجوتم بمعجزة .

أومأ (أكرم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح يا دكتور (حجازى) .. (نور) و(سلوى) نجوا بمعجزة من هجوم النووى على المستشفى ، وأنا و (طارق) كان من السهل أن نلقى مصرعنا ، عند الأطلال القديمة ، ولكن كل هذا انتهى بكومة من السحجات والكدمات ، مع تمزُّق أربطة كاحل (طارق) .

قالت (نشوى) فى توتُّر :

ـ ولكن لماذا سعى النووى للقضاء على أبى ؟! هذا لا يتفق قط مع كل عملياته السابقة ! من المستحيل أن يكون هناك ما يربط بين أبى وثلاثة من كبار المسئولين ، مقامًا وعمرًا !

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

ـ أعتقد أن الهجوم على (نور) لم يكن جزءًا من حملة الثأر هذه ، وإنما هو نتيجة مباشرة لمحاولتنا استفزازه .

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، فى حين بدا الانزعاج على وجه (نشوى) ، وهتف (أكرم) مستنكرًا :

- أتعنى أن (نور) و (سلوى) قد واجها كل ذلك الخطر ؛ بسبب الحديث ، الذى أدلى به (طارق) ، على شاشات الهولوفيزيون ؟!

قال (طارق) مستعيداً هدوءه المستفز ، مع لمسة صارمة :

- لم أكن أتوقَّع هذا قط .

أسرع (رمزى) يقول :

- ولا أنا .. وهذا يعنى أن ذلك الشاب لا ينتهج أى مسار نفسى معروف ، حتى بالنسبة للمرضى ، وأن عقله مضطرب للغاية .

قال (أكرم) فى حدة :

- إذن فخطة (طارق) فاشلة .

هزَّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

- على العكس .. إنها سليمة تمامًا ، فعلى الرغم من النتائج السلبية لها ، إلا أنها أثبتت أمرًا بالغ الأهمية ، وهو أن خصمنا يمكن استفزازه ، ودفعه إلى مسار فرعى بالفعل ، فقد توقَّف عن تنفيذ خطته الانتقامية ، ليوجِّه ضربة إلى (نور) .

قالت (نشوى) فى عصبية :

- سنمضى فى خطتنا إذن .

أجابها (رمزى) فى حزم :

- بالتأكيد .

ثم نهض من مقعده ، وراح يتحرك فى المكان ، متابعًا فى اهتمام بالغ :

- كلنا نعلم أن (نور) قد تم نقله إلى وحدة عناية خاصة ، فى مبنى الأبحاث العلمية ، تحت إشراف الدكتور (ناظم) ، ونخبة من أفضل الأطباء ، وأكثرهم خبرة وبراعة ، ولكن أحدًا سوانا لا يعلم هذا ، لذا فسنعمل على تعديل خطة (طارق) ، ونقوم بتسريب معلومة خاطئة إلى (مشيرة) ، حول انتقال (نور) للعلاج هنا ، فى مقرِّنا الصحراوى ، ثم نعاود استفزاز خصمنا بشدة ، بحيث ندفعه دفعًا للسعى خلفنا ، ومهاجمتنا بمنتهى العنف ، وعندئذ نبدأ فى تنفيذ الشق الأساسى من خطة (طارق) .

عدَّل (طارق) وضع قدمه المحاطة بجبيرة هوائية أمامه(*) ، وهو يقول :

(*) أحدث الوسائل الطبية ، لجبر العظام المكسورة ، هو استخدام جبائر من المطاط الرقيق ، يتمّ نفخها بالهواء ، بحيث تقوم بعمل جبائر الأسمنت القديمة ، المعروفة والمستخدمة حاليًا .

- معذرة يا دكتور (رمزى) .. أدرك جيدًا أنك قائد الفريق ، والخبير النفسى الوحيد به ، ولكننى لا أعتقد أن هذا التعديل يكفى ، لدفع خصمنا إلى التخلى مرة أخرى عن حملته الثأرية ، ومهاجمتنا هنا .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- ماذا تقترح إذن ؟!

أجابه فى حماس عجيب :

- نفس ما اقترحته من قبل .. أن نستخدم نفس الوسائل التقليدية القديمة .. إننا نعلم الآن أى اتجاه يتخذه ، للعودة إلى وكره ، ونعلم أيضًا أنه مضطر لتناول وجبة دسمة ضخمة ، بعد كل هجوم ، وهذا ما دفعه لمهاجمة المتجر ، بعد قتاله معنا ، وبعد أن يتناول وجبته تلك ، سيخلد إلى نوم عميق للغاية ، يستمر ما بين ثلاث أو أربع ساعات ، قبل أن يستعيد طاقته وقوته ، ويستعدّ لشنّ هجوم جديد .. وأعتقد أن أفضل ما نفعله ، هو أن نتحرك بأقصى سرعة ، خلال هذه الساعات الأربع .. سندفع زوجة (أكرم) إلى إعلان أمر المقرّ الصحراوى ، مع القصة الملفقة لعلاج (نور) هنا ، وفى الوقت نفسه سنعلن صورة

خصمنا فى كل مكان ، ونرسل قوة ضخمة لتمشيط المناطق ، التى يحتمل وجوده فيها .. باختصار ، سنحاصره ، ونقلقه ، ونحوله من صياد إلى فريسة ، يسعى إليها الجميع ، وسنعلن فى كل مكان أننا وراء ما يحدث ، بحيث لا يعود أمامه سوى أن يهاجمنا ، دفاعًا عن كيانه ، وعن استمرار حملته الثأرية .

أومأت (نشوى) برأسها ، مغمغمة :

- فكرة رائعة .

أما (أكرم) ، فابتسم ، قائلاً :

- ألا يفوتك شىء قط ؟!

هزّ (طارق) كتفيه ، مغمغمًا فى خفوت :

- إننى أحاول بذل قصارى جهدى .

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- وكلنا نشهد لك بالبراعة ، فى هذا المضمار يا رجل .

غمغم فى شىء من الخجل :

- أشكرك .

ران على المكان صمت قصير ، قطعته (نشوى) ، وهى تسأل (طارق) :

- عندما أطلقت أمى إشارة الاستغاثة ، كنت تتحدث

عن فكرة جديدة ، لكشف هوية النووى .. أليس كذلك ؟!

أجابها (طارق) :

ـ هذا صحيح .. أعيدى عرض ذلك الفيلم ، الذى صوّرته آلات المراقبة ، فى منزل مدير المخابرات العامة الراحل ، وسأشرح لك فكرتى .

نهض (أكرم) يعيد عرض الفيلم ، وتابعه الجميع فى مرارة ، حتى وصلوا إلى تلك اللحظة ، التى أخرج فيها النووى مدير المخابرات من السيارة المقلوبة ، وراح يتحدّث إليه ، فهتف (طارق) :

ـ ها هو ذا المشهد الذى أريده .

أوقف (أكرم) عرض الفيلم ، وثبّت الصورة على الشاشة ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمكن أن يفيدنا به هذا المشهد ؟!

أجابه (طارق) ، مشيرًا إلى الشاشة :

ـ من الواضح أن النووى يتحدّث مع المدير ، قبل أن يفتك به ، ومما لا ريب فيه أنه يروى له سبب انتقامه منه ، أى أنه يتحدّث عن القضية ، التى نبحث عنها .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

ـ هذا صحيح ، ولكننا لا نرى سوى جانب وجهه ، ولا يمكننا تمييز ما يقوله ، أو حتى رؤية حركة شفتيه فى وضوح .

قال (طارق) :

ـ بالضبط .. إننا نعجز عن قراءة شفتيه ، من هذه الزاوية ، ولهذا سألتك عن برامج التماثل ثلاثية الأبعاد .

تألّقت عيناها ، وهى تهتف فى حماس :

ـ آه .. فهمت .. يا لها من فكرة !

التقى حاجبا الدكتور (حجازى) فى تساؤل ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هل يمكننى أن أفهم أيضًا ؟!

التفتت إليه (نشوى) ، قائلة فى حماس :

ـ سأشرح لك ما يريده (طارق) .. إنه يريد منى أن أستخدم برنامج التماثل ثلاثى الأبعاد ، لتحريك جسد النووى ، إلى زاوية لم تلتقطها آلات المراقبة ، بحيث يمكننا قراءة حركة شفتيه ، ومعرفة ما قاله لمدير المخابرات العامة ، قبل أن يقتله .

سألها (أكرم) فى دهشة :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابته بسرعة :

ـ بالتأكيد .. البرنامج سيقوم بتحديد ومسح جسم النووى ، ثم يعمل على تكوين تماثل مجسّم له ، وعندئذ يمكننا إمالة هذا التماثل ، والحصول على أية زاوية نرغب فى رؤيتها له(*) .

سألها (أكرم) فى انبهار :

ـ وكم من الوقت يستغرق هذا ؟

هزّت كتفيها ، مجيبة :

ـ ثلاث أو أربع ساعات على الأكثر .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم :

ـ ينبغى إذن أن تبدئى عملك على الفور ، دون إضاعة لحظة واحدة .

والتقط سترته ، متابعًا :

ـ وسأقوم أنا أيضًا بعملى .

(*) بعض برامج الكمبيوتر المتقدمة ، للرسم بالأبعاد الثلاثية ، يمكنها عمل هذا فى الوقت الحاضر .

سأله (طارق) فى قلق :

ـ ما الذى ستفعله بالضبط ؟!

أجابه ، وهو يرتدى سترته ، ويندفع نحو الباب :

ـ سأقود عملية البحث عن ذلك الوغد .

والتفت إليهم بابتسامة جذلة ، مضيفًا :

ـ إننى أتوق لمواجهته مرة أخرى .

قالها ، وغادر المكان ، وأغلق الباب خلفه فى حزم .

ولكنه ، وهو يقفز داخل سيارة الفريق ، وينطلق بها نحو المدينة ، لم يكن يدرك أن تلك المواجهة القادمة ستكون عنيفة بحق ..

عنيفة إلى أقصى حد ..

* * *

تراجعت (مشيرة) فى مقعدها فى بطء ، وانزوى ما بين حاجبيها فى تفكير عميق ، وهى تطالع التقرير الأخير ، الذى يحوى كل ما توصّل إليه المحررون من معلومات ، من مصادرهم المختلفة ، ولاذت بالصمت بضع لحظات ، قبل أن تغمغم :

ـ عجبًا !

ثم اعتدلت تضغط زر الاتصال الداخلى ، قائلة :

- (حازم) .. أريدك فى مكتبى على الفور .

لم تمض لحظات ، حتى دلف المحررُ الشاب إلى مكتبها ، فسألته فى اهتمام :

- قل لى يا (حازم) : من أين أتيت بتلك المعلومات ، الخاصة بالمقدَّم (نور) ، والمقرّ الصحراوى الجديد للفريق ؟!

ارتسمت ابتسامة مزهوة على شفتى الشاب ، وهو يجيب :

- لدى مصادرى .

سألته فى صرامة :

- وما هذه المصادر بالضبط ؟!

أجابها فى حزم :

- القانون يمنحنى حق الاحتفاظ بسرية مصادرى ، و ...

قاطعته فى صرامة محتدّة :

- ما تلك المصادر يا (حازم) ؟!

احتقن وجه الشاب ، وهو يقول :

- سيدتى .. ليس من حقك أن ...

قاطعته مرة أخرى ، وهى تومئ بسبابتها فى وجهه :

- اسمع أيها الشاب .. من الواضح أنك أخطأت تمامًا فهم ذلك القانون ، الذى يمنحك حق الحفاظ على سرية مصادر معلوماتك .. فالقانون ، أيها العبقرى ، يحميك من أية محاولة ، من الشرطة ، أو المنافسين ، لكشف المصدر ، الذى حصلت منه على معلوماتك ، أما بالنسبة لرئيس تحريرك ، فمن المحتم أن تطلعه على مصدر المعلومات ، حتى يتأكد من صحتها ، ومن صلاحيتها للنشر والإعلان .. هل تفهم ؟!

بدا عليه التوتر الشديد ، وهو يجيب :

- نعم يا سيدتى .. أفهم .

تألقت عيناها فى ظفر ، وتراجعت فى مقعدها ، قائلة :

- عظيم .. والآن .. من أين أتيت بتلك المعلومات ؟!

ازدرد لعابه فى توتر بالغ ، قبل أن يجيب :

- عمى يعمل فى المخابرات العلمية .

بدت عليها الدهشة ، وهى تسأله :

- أهو أحد ضباط الجهاز ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

- بل هو المسئول عن الاتصالات هناك ، وهذا ما جعله على علم بكل ما يحدث .

قالت فى دهشة :

- ولكن كيف أبلغك بهذه الأمور ؟! هذا مخالف لقانون السرية .

ازدرد لعابه ، قبل أن يغمغم :

- سيقتلنى ، عندما يعلم أننى أبلغت الجريدة بما لدى .

صمتت (مشيرة) تمامًا ، وعادت تتراجع فى مقعدها ، وهى تتطلع إلى الشاب ، الذى بدا عليه الكثير من الاضطراب ، ثم لم تلبث أن قالت :

- فليكن .. عد إلى مكتبك ..

غادر الحجرة فى اضطراب أكثر ، وهو يغمغم :

- أشكرك يا سيدتى .. أشكرك .

ولكنه لم يكد يغادر المكتب ، حتى زايله اضطرابه هذا ، وحلت محله ابتسامة ظافرة ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، ويطلب رقمًا خاصًا ، ثم يقول فى خفوت :

- كل شىء على ما يرام يا سيدى .. لقد ابتلعت الطعم .

قالها ، وأنهى المحادثة على الفور ، دون أن يدرى أن (مشيرة) قد استمعت ، عن طريق جهاز يتصل بهاتفها الخاص ، إلى العبارة التى قالها ، وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبيها فى توتر شديد ، وتعاود التطلع إلى التقارير ، وهى تحك ذقنها بسبابتها فى عصبية ، متمتمة :

- إذن فالمخابرات العلمية تدس هذه المعلومات عمدًا ، على جريدة (أنباء الفيديو) .. والسؤال الآن هو لماذا ؟! لماذا تسعى المخابرات العلمية إلى إبلاغنا بمعلومات بالغة الخطورة كهذه ؟! لماذا ؟!

راحت تدير الأمر فى رأسها مرات ومرات ..

ولكن كل ما وضعته من تفسيرات ، لم ينجح فى إقناعها .

لم ينجح فى هذا أبدًا ..

لذا ، فقد ألقت التقارير كلها جانبًا ، مع موجة من الغضب والعناد ، شملت كيانها كله ، وجعلتها تتخذ قرارًا صارمًا ، لا رجعة فيه ..

إنها لن تنشر هذه المعلومات ، أو تعلنها قط .. ومهما كانت النتائج ..

* * *

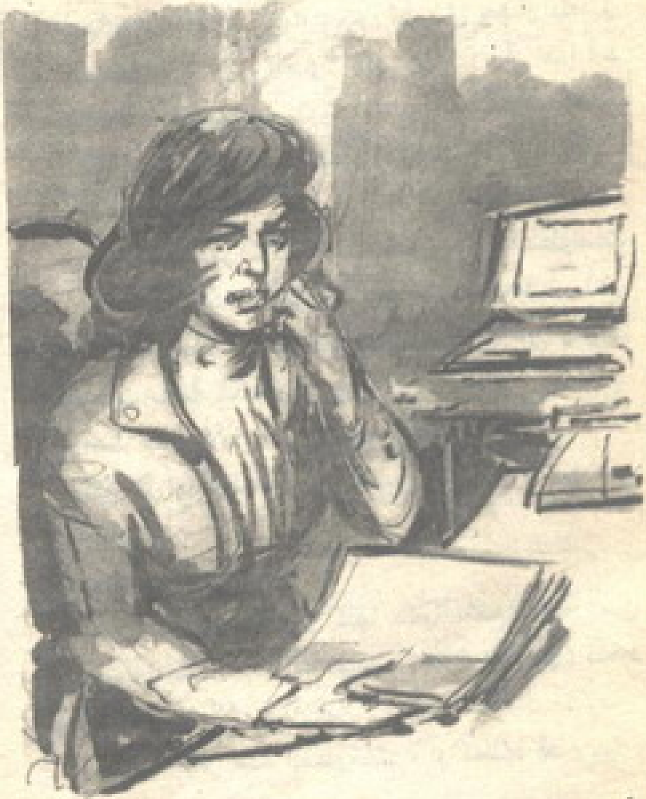

وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبيها فى توتُّر شديد ، وتعاود التطلُّع إلى التقارير ، وهى تحك ذقنها بسبَّابتها فى عصبية

« كل المسارات السابقة تشير إلى هذه البقعة .. »

أدار (أكرم) عينيه فى وجوه فريق الشرطة ، الذى يستعد لمطاردة النووى ، وهو ينطق عبارته ، مشيرًا إلى منطقة محدودة ، على خريطة العاصمة ، ثم استطرد ، ملوِّحًا بسبَّابته :

ـ وهذا يعنى أن وكر خصمنا يوجد فى مكان ما بعنا ، وسط أطلال (القاهرة) القديمة ، وبالتحديد فى منطقتى (القلعة) أو (المقطم) ، ومهمتكم أن تنتشروا فى المنطقتين ، وتعملوا على تمشيطهما بمنتهى الدقة .. اهدموا كل جدار يعترض طريقكم .. فتشوا كل شبر .. اقلبوا كل حجر ، لو اقتضى الأمر.. المهم أن تتوصَّلوا إلى وكره .

سأله أحد الرجال فى اهتمام :

ـ هل نشتبك معه ، عندما نعثر عليه ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ كلاًّ .. إياكم أن تفعلوا .. المطلوب منكم تحديد موقعه فحسب ، وسيرتدى كل منكم درعًا واقية ، وخوذة زجاجية داكنة ، مضادة للرصاص .

ثم تنهَّد مغمغمًا :

- وأرجو أن تكفى لحمايتكم ، إذا ما اضطررنا للاشتباك معه .

تبادل الرجال نظرات صامتة ، ثم قال أحدهم فى حزم :

- فليكن يا سيدى .. نحن على أتمّ الاستعداد للقيام بالمهمة .

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- عظيم .. سنغادر المكان الآن ، ونتجه مباشرة إلى الأطلال القديمة ، وهناك سننقسم إلى فريقين ، وسنحاصر المنطقة المطلوبة من الجانبين ، ونعمل على تمشيطها بإيقاع منتظم ، حتى نلتقى فى منتصفها تمامًا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، خفتت الأضواء بغتة ، وتذبذبت كل المصابيح ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم :

- ربّاه ! ترى هل .. لا .. أرجو أن أكون واهمًا .

استمرّ تذبذب المصابيح لدقيقة كاملة ، ساد خلالها صمت رهيب داخل المكان ، حتى عادت تضىء فى سطوع ، فتطلّع (أكرم) إلى الرجال ، قائلاً :

هيّا بنا .

- انطلقوا جميعًا إلى سياراتهم ، التى اتجهت مباشرة إلى منطقة الأطلال ، وجلس (أكرم) إلى جوار أكبرهم رتبة ، فى سيارة المقدّمة ، وهو يمسك مسدسه فى قوة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فسأله الضابط فى اهتمام :

- هل تشعر بالتوتر ؟!

التفت إليه (أكرم) لحظات فى صمت ، قبل أن يجيب فى اقتضاب :

- بل بالقلق .

غمغم الضابط :

- هذا أمر طبيعى ، عندما يخرج المرء لمهمة كهذه .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- لست أشعر بالقلق بسبب المهمة ، وإنما بسبب ذلك الانخفاض المباغت فى التيار الكهربى .

سأله الضابط فى حيرة :

- ولماذا يقلقك هذا ؟! لعله خلل طارئ ، فى مولدات الطاقة القديمة .. أنت تعلم أن هذه الأشياء لم تعد تصلح لأيامنا هذه .

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- كلا .. خلل المولدات القديمة لا يفعل هذا .

مطّ الضابط شفتيه ، وقال :

- ومن أدراك ؟!

ابتسم (أكرم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- يمكنك أن تقول : إن لدى خبرة بتلك الأمور .

تطلع إليه الضابط فى حيرة وتساؤل ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، وقال :

- على أية حال ، يمكننا الاتصال بشبكة المولدات ، وسؤالهم عما حدث .

قالها ، والتقط بوق اللاسلكى ، وضغط زره ، قائلاً :

- هنا الفرقة (١) ، من قوات الشرطة الخاصة .. أريد التحدث مع مسئول شبكة المولدات الكهربية على الفور.

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى هتف الجندى المسئول عن فحص الطاقة ، فى انفعال :

- سيدى .. منسوب الطاقة مرتفع للغاية ، فى هذه المنطقة .

التفت الضابط و (أكرم) إليه فى لهفة ، ووقع

بصرهما على البقعة الحمراء الكبيرة ، على شاشة الجهاز ، فهتف (أكرم) فى توتر :

- رباه ! إنه هو .

صاح الضابط فى سائق السيارة :

- أسرع يا رجل .. انحرف إلى اليسار .. أسرع .

تلقى السائق الأمر ، ونقله بسرعة إلى خانة التنفيذ ، وانحرف بالسيارة إلى اليسار ، و ...

وفجأة ، ظهر الشاب فى مواجهتهم ..

وكانت قبضته مصوبة إليهم ..

وعيناه ترمقانهم فى غضب رهيب ..

وكرد فعل تلقائى سريع ، قفز (أكرم) نحو السائق ، وهتف به ، وهو يمسك عجلة القيادة ، ويديرها فى عنف وقوة إلى اليمين :

- احترس يا رجل .

وانحرفت السيارة إلى اليمين فى حدة ..

وانطلق من إطاراتها صرير رهيب مخيف ..

ولكن الشاب أطلق كراته النارية ..

واتسعت عينا الضابط عن آخرهما ..

ودوى الانفجار .

* * *

٤ - صاعقة الشيطان ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. السابعة والربع مساءً ..

خيَّم صمت عجيب ، على تلك الحجرة الكبيرة ، فى المرصد الصحراوى القديم ، وقد انهمك كل فرد فيها فى عمل استغرق عليه تفكيره كله ..

(طارق) والدكتور (حجازى) كانا يراجعان أوراق وأبحاث الدكتور (فؤاد) ، فى محاولة للتوصُّل إلى نقطة ضعف ، فى تكوين ذلك النووى ، تفيدهما فى مواجهته ، أو تحديد مرحلة انهيار خلاياه ، التى لم تفقد بعد سماتها البشرية ..

و (رمزى) انهمك فى مراجعة كل تصرفات الخصم السابقة ، فى محاولة لإعداد تقرير نفسى جديد ، يفيد فى استنتاج أو استنباط خطواته القادمة .

أما (نشوى) ، فقد غاصت بكيانها كله فى صنع تلك النسخة المتماثلة للعدو النووى ، وتغيير زاوية رؤيتها ، لقراءة حركات شفتيه ، وكشف ما قاله

لمدير المخابرات العامة ، قبل أن يقضى عليه بمنتهى الوحشية .

وكان (طارق) هو أوَّل من اخترق ذلك الصمت المهيب ، وهو يقول للدكتور (حجازى) :

- المدهش أننا فى كل مرة ، نراجع فيها هذه الأوراق ، يمكننا التوصُّل إلى حقيقة جديدة .. هل لاحظت أن الانهيار الخلوى يبطئ تدريجيًا ، بحيث يحتاج ذلك الشاب إلى كميات طعام وساعات نوم أقل ، فى كل مرة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

- لقد لاحظت هذا بالطبع ، وأعتقد أنه يرجع إلى فقدان الطاقة المستمر ، الذى يعيد الخلايا إلى طبيعتها البشرية تدريجيًا ، فتستعيد معدلات نومها وحاجتها للغذاء إلى حد ما .

حكَّ (طارق) ذقنه بسبَّابته لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- منطق طريف يا دكتور (حجازى) ، ولكن من الناحية النظرية فحسب ، ولكننا نحتاج إلى دليل علمى حاسم ، ليمكننا اعتبار هذا تطورًا فعليًا .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ فلنأمل عثورنا عليه .

عاد (طارق) يحكّ ذقنه بسبابته بضع لحظات أخرى ، وهو يتطلع فى اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم التفت إلى (نشوى) ، يسألها فى اهتمام بالغ :

ـ ما الذى توصلت إليه ؟!

فركت عينيها فى إرهاق ، مجيبة :

ـ لقد انتهيت من إعداد المماثل ثلاثى الأبعاد ، وبقيت مرحلة تحريكه .

سألها (رمزى) :

ـ وكم يستغرق هذا ؟!

تثاءبت ، مجيبة :

ـ ساعة واحدة على الأكثر .

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول فى قلق :

ـ أتعشّم ألا يستغرق الأمر ما هو أكثر من هذا ، فالنتائج الجديدة ، التى توصلنا إليها الآن ، تشير إلى أن فترة كمونه لن تستغرق أربع ساعات ، كما كنا نتصوّر ، وإنما يحتمل أنه قد استيقظ بالفعل ، منذ دقائق قليلة .

عادت تعمل على الكمبيوتر فى سرعة متوترة ، وهى تقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

أومأ (طارق) برأسه ، مغمغمًا :

ـ أتعشّم هذا .

ثم التفت إلى الكمبيوتر مرة أخرى ، متابعًا :

ـ والآن يا دكتور (حجازى) .. أعتقد أننا يجب أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انخفض منسوب الطاقة بغتة ، وتذبذبت المصابيح فى شدة ، فعاد الصمت يغلّف المكان ، مشوبًا بقلق مبهم ، والجميع يتطلعون إلى المصابيح المتذبذبة ، ثم يتبادلون النظرات فيما بينهم .

وفى هذه المرة ، قطع (رمزى) الصمت ، قائلاً :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

غمغم (طارق) فى توتر ملحوظ :

ـ لست أدرى ..

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تدير عينيها فى وجوههم ، مغمغمة :

ـ هل تخشون ما أخشاه ؟!

هتف الدكتور (حجازى) :

- لا .. لا يمكنه أن يعيد شحن خلاياه بالطاقة النووية .

التفت إليه (طارق) بحركة حادة ، قائلاً :

- وماذا عن الطاقة الكهربية ؟!

شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- هل .. هل تعتقد أنه يستطيع التوصل إلى هذا ؟

استدار (طارق) إلى الكمبيوتر ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

وراحت أصابعه تعمل بسرعة على أزرار الكمبيوتر ، والجميع يتطلعون إليه فى توتر ، حتى قال فى حنق :

- يا إلهى ! هذا ممكن بالفعل .

ثم التفت إليهم ، مستطردًا فى انفعال :

- ستكون كارثة حقيقية ، لو أنه توصل إلى هذه الحقيقة .

غمغم (رمزى) فى شحوب :

- إلى هذا الحد ؟!

تابع (طارق) ، فى كلمات سريعة متوترة :

- صحيح أن خلاياه لا يمكنها احتمال الشحن لمرة

ثانية بالطاقة النووية ، إلا أن التحورات التى أصابتها ، من جراء العقار (سترونجالين) ، والشحن بالطاقة النووية للمرة الأولى ، جعلتها أشبه ببطاريات قوية ، من النوع القابل لإعادة شحنه بالكهرباء(*) ، وهذا يعنى أنه يمكنه إعادة شحنها بالطاقة الكهربية العادية ، كلما نضبت منها الطاقة ، أو احتاجت إلى إعادة تجديد .

سألته (نشوى) فى توتر بالغ :

- هل تعنى أن يمكنه استعادة طاقته بسرعة ؟!

أجابها (طارق) :

- ليس هذا فحسب ، وإنما يمكنه استعادتها من أى مصدر كهربى بسيط أيضًا .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

- وهذا يعنى أنه الآن مستيقظ ، ومشحون بطاقة هائلة .

ومال إلى الأمام ، مضيفًا فى حسم :

- باختصار .. لقد صار أكثر قوة .. ووحشية .

(*) يتوافر هذا النوع من البطاريات فى الأسواق ، باسم بطاريات (نيكل كادميوم) .

ومرة أخرى ، غمر المكان صمت مهيب رهيب ..
صمت حمل كل الانفعال ..
وكل الذعر ..

* * *

لوّح الدكتور (ناظم) بيده فى بطء ، وهو يطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، قبل أن يقول :

ـ حمدًا لله .. حالة (نور) الصحية تحسّنت كثيرًا ، والأطباء يؤكدون أنه سيستعيد وعيه ، بين لحظة وأخرى .

تنهّد القائد الأعلى بدوره ، قائلاً :

ـ حمدًا لله .

ثم تراجع فى مقعده ، مضيفًا :

ـ كنا سنخسر الكثير ، لو فقدنا هذا الشاب .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .. مثله لا يسهل تعويضه أبدًا .

تمتم القائد الأعلى :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل يسأله فى اهتمام :

ـ هل عثرت على معلومات جديدة ، بشأن ذلك الشاب (طارق) ؟!

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب القائد الأعلى ، مجيبًا :

ـ معلومة واحدة ، ربما كانت عديمة القيمة ، أو بالغة الأهمية .. لست أدرى .

سأله القائد الأعلى ، وقد تضاعف اهتمامه :

ـ وما هى ؟!

أجاب الدكتور (ناظم) :

ـ لقد عرفت السبب الفعلى ، لفصله من الخدمة ، فى أمن الرياسة .

بدا تساؤل ملهوف ، فى عينى القائد الأعلى ، فتابع الدكتور (ناظم) :

ـ لقد استغلّ عمله ، لجمع معلومات بالغة السرية ، حول خطة ارتياد الفضاء .

بدت دهشة واضحة على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ خطة ارتياد الفضاء ؟! ولماذا يعنيه أمر كهذا ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

ـ لقد برز هذا فى التحقيقات ، بأنه شديد الشغف والولع بالفضاء والكواكب والنجوم ، منذ حداثته ،

وأكد أنه لم يطلع أى شخص آخر على تلك المعلومات ، ولم تكن لديه أدنى نية فى أن يفعل .. ولقد تم التحقيق فى الأمر فعليًا ، واستغرق هذا ما يقرب من عام كامل ، اتضح بعده أنه جمع هذه المعلومات لأغراض شخصية بالفعل ، وليس لأسباب أمنية أو تجسسية ، لذا فقد اكتفى رؤساؤه بفصله من الخدمة ، ولكنهم لم يسجلوا ما حدث فى ملفه ؛ ولهذا لم يعثر عليه رجالنا ، عندما أجروا تحرياتهم بشأنه ، قبل إلحاقه بالعمل هذا .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى اهتمام مشوب بالقلق :

ـ وماذا لو أنه كرّر هذا معنا ؟! أو لعله فعله بالفعل !!

لوح الدكتور (ناظم) بسبابته نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا .. لم يفعل .. لقد تحققت من هذا بنفسى ، وراجعت كل خطوة قام بها ، منذ التحق بالعمل معنا .

وصمت لحظة ، هزّ خلالها رأسه ، قبل أن يتابع :

ـ يبدو أنه قد استوعب جيدًا ذلك الدرس القاسى ، الذى تسبّب فى فصله من أمن الرياسة .

تمتم القائد الأعلى فى حذر :

ـ ربما .

وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ليغرق فى أفكاره بضع لحظات ، ثم يضيف فى حيرة واضحة :

ـ عجيب أمر ذلك الشاب بالفعل يا دكتور (ناظم) !! إنه عبقرى ، لا يضارعه أحد فى مضماره ، على الرغم من سنوات عمره القليلة ، ولقد أثبت تفوقًا ملحوظًا ، طوال فترة عمله معنا ، وخاصة فى مراحل تطوير الوقود الأمينى ، والزى القتالى (م ف ـ ١٨) ، وعندما التحق بفريق (نور) ، برزت من أعماقه عشرات المواهب الأخرى ، فهو مقاتل بارع ، ومخطط استراتيجى على أرفع مستوى ، وفدائى من الطراز الأول ، وله موهبة قيادية ملحوظة .. ولكن العجيب أن كل هذا محاط بغلاف غامض ، لا يمكنك رفعه عن شخصيته قط ، حتى إنك تشعر بالقلق تجاهه ، ولكنك تعجز عن الاستغناء عنه فى الوقت ذاته .. يا للغرابة !!

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال الدكتور (ناظم) فى خفوت :

ـ أعتقد أنك عاجز مثلى ، عن اتخاذ قرار حاسم بشأنه .. أليس كذلك ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا في شرود ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ولكننى أعتقد أنه لا توجد ضرورة قصوى ، لاتخاذ قرار حاسم بشأنه ، فى الوقت الحالى .. إنه يبلى بلاءً حسنًا فى هذه العملية ، ويمضى قدمًا على نحو مدهش ، وأعتقد أن براعته ومواهبه سيغطيان غياب (نور) ، فى هذه المرحلة الدقيقة .. فليواصل عمله إذن ، حتى يقضى على ذلك النووى ، أو ينجح فى إيقاف وإفساد حملته الثأرية الرهيبة ، التى يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، من الذى تستهدفه فى ضربته القادمة .

ثم تراجع فى مقعده ، متابعًا فى حزم أكثر :

ـ وبعد أن ينتهى هذا الأمر ، سيكون لى معه شأن آخر .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، إلا أن ملامحه ظلت تحمل لمحة

من ذلك القلق ، الذى يفجره سؤال يتردد طوال الوقت فى رأسه ..

ما سر ذلك الغموض ، المحيط بشخصية (طارق) ؟!

ولماذا يشعر حياله طوال الوقت بالحيرة ؟!

وبالقلق !!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

* * *

انحرفت سيارة الشرطة فى اللحظة الأخيرة بصعوبة .

وتجاوزتها كرة النار بسنتيمترات قليلة ..

ولكنها واصلت طريقها ، لترتطم بالسيارة التى خلفها تمامًا ..

ودوى الانفجار ..

لم يكن انفجارًا عاديًا ، لو صحَّ القول ..

وإنما كارثة ..

لقد انفجرت سيارة الشرطة ، بكل من فيها ، ووثبت مع الانفجار ثلاثة أمتار إلى أعلى ، قبل أن تهوى بكل ثقلها ونيرانها ، على السيارة التى خلفها

تمامًا ، فانفجرت بدورها بمنتهى العنف ، وتطايرت شظاياهما لتخترق ثلاث سيارات تالية ، وتناثر الوقود المشتعل منهما ، ليغمر مساحة واسعة من الأرض ..

واضطربت قافلة السيارات كلها ، مع تلك الانفجارات العنيفة ، واختلت مساراتها فى ارتباك شديد ، قبل أن تتوقف ، ويقفز الرجال من سياراتهم ، بمدافعهم الليزرية ودروعهم القوية ، للتصدى لذلك العدو الرهيب ..

أما السيارة ، التى تحمل (أكرم) والضابط ، وعددًا من الجنود ، فقد أدى انحرافها المباغت إلى اندفاعها وسط الأطلال ، فارتطمت بقطع الصخور الضخمة ، وحاول سائقها السيطرة عليها عبثًا ، إلا أنها لم تلبث أن انقلبت فى عنف ، وتدحرجت بشدة وسط الصخور ، قبل أن تتوقف ، وتشتعل فيها النيران ..

وفى نفس اللحظة ، التى دفع (أكرم) جسده فيها ، خارج السيارة المشتعلة ، وراح يجذب الضابط منها ، كان النووى يطلق نحو الرجال كرته النارية الثانية ، التى انفجرت فى صدر أحد الجنود ، واقتلعته من مكانه ، ليرتطم برفاقه فى قوة ، وتنتقل النيران من جسده إليهم ..

وأطلق الجنود مدافعهم نحو العدو فى توتر بالغ ..

وذابت الطلقات كلها على الغلاف الواقى المحيط به .

وأطلق النووى صرخات غاضبة مجنونة ، وهو يطلق نحوهم كراته النارية ..

وسمع (أكرم) الانفجارات تدوى فى كل مكان ، وهو يبعد الضابط عن السيارة ، التى لقى كل من تبقى فيها مصرعه ، فغمغم فى حنق مرير :

ـ اللعنة ! لقد أخبرونا أننا سنجده نائمًا ، وها هو ذا مستيقظ للغاية ، وقد تحوّل إلى وحش كاسر .

أسند الضابط الفاقد الوعى إلى أحد الجدران المتهدّمة ، وانتزع مسدسه من حزامه ، وتحرك على أطراف أصابعه ، نحو منطقة الصراع ..

وهناك اتسعت عيناه فى ارتياع ..

كانت جثث القتلى والمصابين تغطى تلك البقعة من الأطلال ، والنيران تشتعل فى كل مكان ، وتندلع حتى فى أجساد بعض رجال الشرطة ، الذين يعدون فى كل مكان ، وهم يطلقون صرخات الألم والذعر ، فى حين واصل من تبقّى منهم القتال فى يأس ، وراحوا يطلقون نيران وأشعة مدافعهم نحو النووى ،

الذى انطلقت كراته النارية تسحقهم واحدًا بعد الآخر .

ولم يدر (أكرم) ما الذى يمكن أن يفعله ، فى موقف كهذا ، إلا أنه لم يستطع الوقوف ساكنًا ، والرجال يقاتلون بهذه البسالة ، فوثب عبر جزء من حائط قديم ، وهتف ، وهو يطلق رصاصات مسدسه نحو الشاب :

ـ مت أيها الوغد .. مت ..

كان واثقًا من إجادته للتصويب ، إلا أن رصاصاته لم تبلغ النووى قط ..

لقد ارتطمت بدرعه الكهرومغنطيسى الواقى ، وانحرفت عنه فى عنف ..

والتفت إليه الشاب بنظرة غاضبة ..

وانطلقت منه صرخة مخيفة ..

مع كرة من النار ..

وفى نفس اللحظة ، وثب (أكرم) مبتعدًا ..

ودوى الانفجار من خلفه فى عنف ..

وانتزعه من مكانه ، وطار به لستة أمتار كاملة فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال ..

وعلى الرغم من عنف السقوط ، ومن عشرات

وانتزعه من مكانه ، وطار به لستة أمتار كاملة فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال

الإصابات والسحجات والكدمات ، التى أصابت جسده ، فى كل موضع تقريبًا ، إلا أنه لم يكد يسقط ، حتى وثب واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو مبتعدًا ..

وبوثبة مرنة مدهشة ، عبر جدارًا متهدمًا ، و ...

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، أطلق النووى نحوه كرته النارية الجديدة ..

وأصابت الكرة الجدار ، الذى عبره (أكرم) على الفور ..

ودوى انفجار جديد ..

وانهار الجدار كله ..

وتألقت عينا النووى ببريق مخيف ، أضاء المكان كله ، وهو يتطلع فى ظفر إلى جسد (أكرم) ، الذى بدا جزء منه تحت الجدار المنهار ، ثم رفع قبضته ، ليطلق نحوه كرة نارية أخرى ..

ولكن رجال الشرطة البواسل شنوا هجومًا جديدًا ..

وفى هذه المرة ، من ثلاث محاور مختلفة ..

كانت مناورة قوية بالفعل ، فلقد انهالت عليه نيرانهم ، من ثلاثة مواضع مختلفة ، على نحو يكفى لنسف أى خصم ..

فيما عدا هو ..

لقد استوعب غلافه الواقى الهجوم جيدًا ، فلم تبلغه أية رصاصات ، ولم ينفذ إليه خيط ليزرى واحد ..

ولهذا فقد استدار إلى مهاجميه ، والغضب يشتعل فى كل خلية من خلاياه ..

وأطلق كراته النارية ..

ومرة أخرى ، انطلقت صرخات الرجال ..

لم تحمهم دروعهم الواقية ، أو خوذاتهم الداكنة ..

لقد نسفتها كراته النارية نسفًا ..

وقضت عليهم فى عنف مخيف ..

وطارت الأجساد المشتعلة فى كل مكان ..

وأزهقت عشرات الأرواح فى دقائق معدودة ..

وسالت أنهار من الدم ..

ثم توقف كل شىء ..

وبرقت عينا النووى مرة أخرى ، ببريق أشد سطوعًا هذه المرة ، وهو يقف وسط المذبحة ، التى اقترفتها يداه ..

والعجيب أنه كان يشعر بالزهو والظفر ..

وإلى أقصى حد ..

وفى قمة نشوته ، راح عقله يسترجع أحداث الساعات الأخيرة ..

لقد عاد إلى وكره ، والدماء تنزف من موضع الرصاصات ، التى أصابه بها (أكرم) ..

كان يحمل كميات الطعام ، التى استولى عليها من المتجر ، وقدرًا هائلاً من الغضب والثورة فى أعماقه ..

ولكنه لم يكد يدلف إلى وكره ، حتى انتبه إلى ظاهرة مدهشة ..

لقد بدأ جسده يلفظ تلك الرصاصات ..

خلاياه الخارقة رفضت وجود أى جسم غريب داخلها ، فألقت الرصاصات خارجها ..

وسقطت الرصاصات عند قدميه ..

وكان لصوت ارتطامها بالأرض رنين جميل ..

رنين النصر ..

وتألقت عيناه فى نشوة ، وهو ينقضّ على الطعام ، ويلتهمه فى شراهة تفوق شراهة جواد جائع ..

ولم يكد ينتهى من وجبته الضخمة ، حتى راودته تلك الرغبة العارمة فى النوم ..

ولكنه قاومها بشدة هذه المرة ..

كان يحتاج إلى معرفة ما فعلته به الرصاصات .. وبسرعة ..

وعلى الرغم من الدوار الذى أحاط برأسه ، جلس أمام جهاز الفحص ، وراح يوصل الأسلاك بجسده ، و ...

ودون أن يدرى ، انتزع أحد الأسلاك فى عنف ..

وتلامس جسده مع سلك كهربى عار ..

وشعر بالتيار الكهربى يسرى فى جسده ..

وفى عروقه ..

وخلاياه ..

وتلاشى الدوار على الفور ..

ودبّ فى جسده نشاط مباغت ..

وتألّقت عيناه فى قوة ..

ترى ما الذى فعلته به الكهرباء ؟!

أية قوة تلك ، التى سرت فجأة فى عروقه ؟!

وفى لهفة ، أمسك الجزء العارى من السلك الكهربى ، ودفعه فى جسده ..

وانطلقت من حلقه صرخة قوية ..

صرخة ظافرة منتشية ..

وتذبذبت مصابيح الحجرة ، عندما راح جسده يلتهم الطاقة الكهربائية ، فى نهم وشراهة مخيفين ..

بل وتذبذبت كل مصابيح (القاهرة) الجديدة وضواحيها ..

وبرقت عيناه على نحو مخيف ..

وأضاءت الحجرة كلها بوميض قوى .. للغاية ..

وفى قمة نشوته ، وشعوره بالتفوق والظفر ، غادر النووى مكمنه ، وخرج يهدف إلى الضحية التالية ، فى حملته الثأرية الوحشية ..

ولكنه وجد سيارات الشرطة فى مواجهته ..

وكان ما كان ..

تألقت عيناه أكثر وأكثر ، عندما استعاد تلك الذكرى القريبة ، وأدار عينيه فيما حوله ، وكأنما يتمتّع بمرأى حمام الدم ، الذى غاص فيه حتى عنقه ، قبل أن يطلق زمجرة وحشية ، ويغادر الأطلال ، فى طريقه لاقتناص روح ضحية جديدة ..

وبينما راح شبحه يختفى ، وسط الظلام والأطلال ،

ندت من أسفل الجدار المنهار آهة ألم ، وتحركت أصابع (أكرم) فى صعوبة ، ثم لم تلبث يداه أن جاهدتا ، لتبعدا عنه تلك الأحجار المحطمة ، قبل أن يبرز رأسه من تحتها ، وهو يتمتم :

ـ ربّاه ! إننى حى .. لقد استثنيتنى مرة أخرى من عالم الموتى .. إننى حى !

كان يشعر بمزيج من الفرح والدهشة ؛ لنجاته من موقف عنيف كهذا ، لذا فقد أخذ يرفع الأحجار الصغيرة عن جسده ، غير مبال بالدماء ، التى تنزف من عشرات المواضع به ، ولكنه لم يكد ينهض ، ويلقى نظرة على ما حوله ، حتى سرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! لقد قتلهم جميعًا .

قفز شعور بالغثيان إلى حلقه ، فانحنى يفرغ ما بجوفه وسط الأطلال ، وهو يهتف :

ـ الوغد الحقير .. الوحش الآدمى .. يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

تحركت آلام عنيفة فى معدته ، جعلته يبتعد عن المكان فى خطوات سريعة ، وهو يردد :

ـ لقد صدق (رمزى) .. إنه مجنون حقيقى .. مجنون بشع .. من غير مجنون مثله ، يمكن أن يفعل كل هذا ، دون أن يطرف له جفن ؟! مَنْ ؟!

فجأة ، ومع آخر حرف نطق به ، لمح ذلك البصيص من الضوء ..

وتعلق به بصره ..

وكيانه كله ..

وفى دهشة بالغة ، غمغم :

ـ عجبًا ! المفترض ألا يصل التيار الكهربى إلى هنا .

تحسَّس حزامه ، بحثًا عن مسدسه ، ولكن المسدس لم يكن هناك ، فعاد يبحث عنه عند الجدار المتهدِّم ، حتى عثر عليه ، فغمغم فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .. إننى أفتقدك كثيرًا يا صديقى .

قالها ، وأمسك مسدسه فى قوة ، وتحرك فى حذر ، نحو مصدر الضوء ، ولم يكد يبلغه ، حتى تسارعت دقَّات قلبه ، وهو يغمغم :

ـ ربَّاه ! أمن الممكن أن ...

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى جزء من

الجدار ، برز إلى الخارج ، وظهر الضوء من خلفه ، ثم حسم أمره ، وقال :

ـ فليكن .. (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)(*) .

ثم دفع ذلك الجزء من الجدار ، وعبر الفجوة الناشئة بقفزة واحدة ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

وخفق قلبه فى عنف ، حتى كاد يثب من بين ضلوعه ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى دهشة وانفعال ..

لقد عثر على وكر العدو الخارق ..

وعلى مخزن أسراره ..

كل أسراره ..

* * *

« أعتقد أننى نجحت يا رفاق .. »

نطقت (نشوى) العبارة فى انفعال واضح ، جعل الجميع يلتفتون إليها فى انفعال ، وسألها (طارق) فى لهفة :

(*) الآية رقم (٥١) ، من سورة التوبة (القرآن الكريم) : بسم الله الرحمن الرحيم : { قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا } صدق الله العظيم .

- هل فعلت حقًا ؟!

وراح يدفع قدمه المصابة أمامه ، ليصل إلى موقعها ، وسبقه (رمزى) والدكتور (حجازى) إليه ، والأول يسألها :

- هل يمكنك تحريك صورته الآن ؟!

أجابت ، وهى تضغط أحد الأزرار :

- بالتأكيد .

تعلّق بصر الجميع بالمشهد على الشاشة ، وخفقت قلوبهم فى قوة ، عندما دارت زاوية الرؤية ، لتواجه النووى ، وهو يتحدّث إلى مدير المخابرات ..

ودون اتفاق مسبق ، وعلى نحو تلقائى ، تطلّع الجميع إلى عينيه ..

وارتجفوا ..

كان الشرُّ والغضب يطلّان منهما مجسّمين ، وهو يحدّق فى ضحيته ..

وكانت شفتاه تتحركان بحديث صامت ..

وانتقلت عيون الجميع إلى الشفتين ..

وفى توتر بالغ ، قالت (نشوى) :

- يمكننى الآن أن أضيف برنامجًا لحركات الشفاة ، و ...

قاطعها (طارق) :

- لا داعى .. إنه يخبره أن ما يفعله به هو انتقام منه ، بسبب قضية (سالم عمران) .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، فعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

- كان أحد أقرب أصدقائى أبكمَ أصمْ ، ولقد اعتدت قراءة حركات الشفاه منذ صباى .

تبادل ثلاثتهم نظرات صامتة ، قبل أن يغمغم الدكتور (حجازى) :

- لديك لكل تساؤل جواب .

ازداد انعقاد حاجبى (طارق) ، وهو يقول :

- ليس هذا هو المهم الآن .. المهم أن لدينا اسم الشخص ، الذى يثأر النووى له ، وهذا ما كنا نحتاج إليه منذ البداية .

قالت (نشوى) فى حماس :

- صدقت .

وبسرعة ، انطلقت أصابعها على أزرار الكمبيوتر ، تستدعى ملف قضية (سالم عمران) ، وظهرت البيانات على الشاشة فى لحظات ، فطالعها الجميع فى

بلهفة ، وقال الدكتور (حجازى) فى انفعال جارف ، لم يستطع كتمانه :

– ها هى ذى .. إنه جاسوس تم إلقاء القبض عليه ، فى أوائل ثمانينات القرن العشرين ، فى أثناء عمله لحساب (إسرائيل) ، ولقد حوكم ، وصدر ضده حكم بالإعدام ؛ لأنه قتل اثنين من حراس أحد المبانى العسكرية ، ليسرق مخطوطات باللغة السرية .. انظروا .. ها هى ذى أسماء المشاركين فى القضية .. ضابط المخابرات ، الذى أصبح فيما بعد مديرًا للمخابرات العامة ، ووكيل النائب العام ، الذى صار نائبًا عامًا ، فى أواخر التسعينات ، وضابط مباحث أمن الدولة ، الذى احتلّ فيما بعد منصب وزير الداخلية ، ثم المدّعى العام العسكرى ، الذى يتبوأ الآن منصب قائد الجيوش المشتركة .

هتفت (نشوى) :

– ربّاه ! إذن فهذا هو ضحيته التالية .

أمسك (طارق) يدها بغتة فى قوة ، وهو يشير إلى الشاشة ، قائلاً فى انفعال شديد ، لم يتصرّف به قط من قبل :

– إنكم لم تقرءوا بعد اسم الشاهد الأوّل فى القضية .

انتقلت عيونهم جميعًا إلى الاسم ، الذى يشير إليه (طارق) ..

ثم انتفضت قلوبهم كلها فى عنف ..

فالشاهد الأوّل فى قضية (سالم عمران) ، والذى أدّت شهادته إلى إدانة المتهم ، والحكم بإعدامه ، يحتل فى الوقت الحالى ، أرفع منصب فى الدولة كلها ..

منصب الرئيس ..

رئيس الجمهورية ..

شخصيًّا .

* * *

٥ ـ الضـربة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الثامنة مساء .

على الرغم من الهدوء الشديد ، الذى ساد منطقة الفيلات العسكرية ، عند أطراف (القاهرة) الجديدة ، كان رجال الحراسة ، المحيطون بفيلا وزير الدفاع ، يشعرون فى أعماقهم بتوتَر بالغ ، جعلهم يقبضون على مدافعهم فى قوة طوال الوقت ، ويتلفتون حولهم فى شىء من العصبية ، وكلهم تأهب وتحفز ؛ لمواجهة أى هجوم مباغت أو خاطف ، بعد الأوامر المشددة التى تلقوها ، والتحذيرات الصارمة الحازمة ، بالإضافة إلى ما بلغهم حول سلسلة الاغتيالات العنيفة ، خلال الساعات الأخيرة ، وأسماء المسئولين ، الذين لقوا مصرعهم ، على نحو بالغ العنف والوحشية ، مع أطقم حراستهم ، التى لم يمكنها الصمود ، امام عدو خارق مجهول ، لا يعرف شفقة أو رحمة ، أو هوادة ..

وفى عصبية ملحوظة ، سأل أحدهم زميله ، وهو يشير إلى ساعته :

ـ عجبًا ! إنها لا تزال الثامنة ! ألا تشعر بأن الوقت يسير فى بطء الليلة ؟!

تمتم زميله ، وهو يتلفت حوله فى توتر :

ـ هذا أمر طبيعى .

تنهَد الأوَل ، قائلاً :

ـ هل تعتقد أن ذلك السفاح سيواصل ضرباته الليلة ؟!

هزَ زميله رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا أحد يدرى .. إنهم يقولون : إن تحركاته سريعة للغاية ، وإنه يوجه ضربته لعدد من المسئولين السابقين والحاليين ، على نحو عشوائى ، يصعب معه استنتاج موضع ضربته التالية .

وافقه الأوَل بإيماءة من رأسه ، وأضاف ، وهو يتلفت حوله فى توتر :

ـ لهذا صدرت الأوامر بمضاعفة وتشديد الحراسة ، بالنسبة لجميع المسئولين ، سواء السابقين أو الحاليين .

ثم عاد يسأل زميله فى قلق :

ـ ولكن هل تعتقد أن هذا يكفى ؟!

مطَّ زميله شفتيه ، وأجاب :

ـ لست أدرى .. الصورة التى نقلها إلينا الزملاء ، فى الإدارة العسكرية ، توحى بأنه ما من وسيلة لمواجهته ، وأن كل أسلحتهم لا تؤثِّر فيه ، ولا ...

قاطعه زميله ، وهو يتراجع ، هاتفًا :

ـ رباه !

وقبل أن يلتفت إلى حيث يحدِّق زميله ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف للغاية ، أطاح بنصف سور الفيلا الأيسر دفعة واحدة ، وارتجَّت له المنطقة كلها ، على نحو لم يشهده أى من العسكريين المقيمين فيها ، منذ انتهت حرب التحرير ..

ومع الانفجار ، لقى ثلاثة من رجال الحراسة مصرعهم ، فى حين تحرك الباقون فى سرعة ، لحماية وزير الدفاع ، والذود عنه ..

ولكن النووى انقضَّ كالعاصفة ..

عاصفة نووية عاتية ، هبَّت فى وجوههم ، على هيئة سيل من الكرات النارية ، راحت تنفجر يمينًا ويسارًا ، وتقتلع الرجال ، واحدًا بعد الآخر ..

كان من الواضح أن قوة النووى قد تضاعفت مرتين على الأقل ..

وأنه صار أكثر قوة ..

وشراسة ..

وجنونًا ..

وعلى الرغم من وجود خطة متكاملة ، لإنقاذ وزير الدفاع ، فى حالة حدوث هجوم مباغت ، إلا أننا لا نستطيع أن نظلم طاقم أمنه قط ، فقد كان النووى يتحرك بسرعة مذهلة ، وعلى نحو يستحيل أن تصمد أمامه أية قوة ..

أو أية إجراءات أمنية ..

مهما كانت ..

لقد نسف الأسوار ، وسحق كل من اعترض طريقه ، ودمَّر جدران الفيلا ، واقتحمها فى عنف ، وأطلق كراته النارية على كل رجال الأمن والحراسة داخلها ..

وكل هذا خلال عشر ثوان فحسب ..

والواقع ، الذى لا يمكن أن يختلف عليه اثنان ، هو أن الرجال قد قاتلوا وحاربوا فى استماتة ، وأن

الفريق المسئول عن الحماية الشخصية للوزير ، كان على أرفع مستوى ، من التدريب والكفاءة والقدرة ..

ولكن ماذا يمكن أن يفعل كل هذا ، فى مواجهة إعصار نووى مدمّر كهذا ؟!

لقد انهارت أمامه الجدران ، والقدرات ، ووسائل الدفاع ، والقتال ، والحماية ..

ودون الدخول فى تفاصيل بشعة مؤلمة ، يكفى أن نقول : إن الأمر قد انتهى على النحو نفسه ، الذى انتهى إليه ، عند منزل مدير المخابرات العامة ..

الجميع لقوا مصرعهم ، فيما عدا الوزير ، الذى حرص النووى على الإبقاء عليه حيًّا ، لينتزعه من مكانه بمنتهى القسوة ، ويتطلّع بنظرة نارية ملتهبة ، إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ أراهن على أنك ـ وعلى الرغم من كل ما حدث ـ مازلت تجهل لماذا اخترتك بالذات ، من دون الآخرين !

أجابه الوزير فى صرامة ، على الرغم من ثقته من نهايته المحتومة :

ـ ربما لأنك وغد قذر ، يرغب فى استعراض عضلاته وقدراته ، بعدد من المذابح الوحشية ، التى جعلته

يحتّل مكانة أدنى من أحقر حيوانات الأرض .

أضاءت عينا النووى ، وهو يقول :

ـ خطأ يا رجل .. إجابة خاطئة ، تستحق ما سأفعله بك بعد قليل .

أغلق وزير الدفاع عينيه ، أمام ذلك الضوء المبهر ، المطلّ من عينى خصمه ، الذى مال نحوه أكثر ، وهو يقول فى لهجة مخيفة :

ـ إنك تموت من أجل ما فعلته فى قضية (عمران) .

قال الوزير فى توتر :

ـ (عمران) ؟! (عمران) من ؟!

قال النووى فى غضب :

ـ هل نسيته يا رجل ؟! هل نسيت تاريخك ؟! هل ضاع من ذاكرتك اسم (سالم عمران) ، الذى لم تتردّد فى إعدامه ؟!

هتف الوزير فى انفعال :

ـ آه .. (سالم عمران) .. ذلك الجاسوس .. إننى أذكره بالطبع .. لقد نال ما يستحقه يا هذا ، فخيانة الوطن لا تستحق سوى الموت ، وبلا أدنى رحمة .

صرخ النووى فى غضب :

- الموت ؟! بهذه البساطة ؟! أهذا ما كنتم تدخرونه له ؟!

أجابه الوزير فى صرامة ، وهو يشيح بوجهه ، متجنبًا الضوء الساطع :

- بل هذا ما ادخره لنفسه يا هذا .. لقد خان الوطن ، والموت جزاء من يفعل هذا .

برقت عينا النووى أكثر ، وهو يقول :

- والموت جزاء من ألقى به إلى الموت .. عين بعين .

صاح به الوزير :

- لا تخدع نفسك بعبارات براقة أيها المجرم .. ما قلته قول حق ، يراد به باطل .. العين لا تؤخذ بالعين ، إلا من قبل أولى الأمر ، وبناء على تحقيقات وأحكام عادلة ، وعندما أعدمنا ذلك الجاسوس الحقير ، كنا نطبق بالفعل مبدأ العين بالعين .. هو قتل الحارسين ، ونحن قتلناه .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، مستطردًا :

- ولو أننى أموت ، ثمنًا لواجب أديته ، بعقل وضمير راضيين ، فمرحبًا بالموت .

ثم مزّق قميصه عند الصدر ، هاتفًا :

- هيا .. خذ حياتى ثمنًا لواجبى .

جنّ جنون النووى ، إزاء ذلك الموقف الحازم للوزير ، فصرخ بكل غضب الدنيا :

- مادمت تشتهى الموت ، فها هو ذا .

وانقضّ عليه يمزّقه فى وحشية ، صارخًا :

- مت من أجل (عسران) .. مت من أجل ما فعلته به .

كان الجنون يصرخ ويعربد فى عينيه ، ويتراقص فى ملامحه مع كل شياطين الجحيم ، والزبد يتساقط من بين شفتيه ، كما لو أنه قد صار بالفعل وحشًا ضاريًا مسعورًا ..

وتناثرت الدماء فى كل مكان ، وأحاطت به فى دائرة واسعة ، وعيناه تومضان ..

وتومضان ..

وتومضان ..

كانت النيران تشتعل فى أعماقه ، وثورة الغضب تكاد تعصف بكيانه ، على الرغم من نجاحه فى تمزيق ضحيته الرابعة ..

بسالة وزير الدفاع وشجاعته ، جعلتاه يفقد لذة انتصاره ..

وبدلاً من أن يشعر بالظفر ، راحت أعماقه تحترق بالغيظ ..

واطلق النووى صرخة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم ركل أشلاء الوزير الشهيد فى حنق ، قبل أن يتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو الفيلا ..

وبكل غضبه وثورته ، راح يبحث عن مصدر للطاقة الكهربية ، ولم يكد يجده ، حتى انتزع أزراره من الجدار ، وهو يقول :

ـ كلهم سيموتون .. كلهم سيدفعون الثمن .. كلهم ..

وبمنتهى العنف ، انتزع الأسلاك الكهربيةَ من الجدار ، ودفعها فى جسده ..

وبرقت عيناه فى قوة ..

ومرة أخرى ، تذبذبت المصابيح ، فى (القاهرة) الجديدة كلها ..

وتدفقت فى جسده طاقة هائلة ..

طاقة تكفى لإعادة شحن خلاياه بالطاقة ..

وتمنحه ضعف قواه السابقة ..

وربما أكثر ..

ولدقيقة كاملة ، ظلت الطاقة الكهربية تنساب من الأسلاك إلى جسده وعروقه وخلاياه ، حتى شعر بقوة هائلة فى كيانه ، فألقى الأسلاك ، وأطلق ضحكة ظافرة قوية مزهوة ، قبل أن يضم قبضته ، ويرفعها إلى وجهه ، قائلاً :

ـ الآن لم أعد بحاجة إلى ذلك النوم العميق .. ها هى ذى خلاياى تعيد شحن نفسها بالطاقة الكهربية .

بدا من بعيد دوى أبواق سيارات الأمن والإطفاء ، التى تهرع إلى المكان ، ولكنه لم يبال بها ، وهو يدير عينيه المتألقتين فى المكان ، قبل أن يغمغم :

ـ فيم الانتظار إذن ؟!

وفى زهو ، راح يتحرك نحو مدخل المكان ، وغلاف الإخفاء يحيطه تدريجياً ، حتى تلاشى تماماً ، وهو يغادر المكان كله ، متجاوزاً سيارات الأمن ، ومتجهاً مباشرة نحو هدفه الأخير ..

نحو الرئيس ..

رئيس الجمهورية ..

* * *

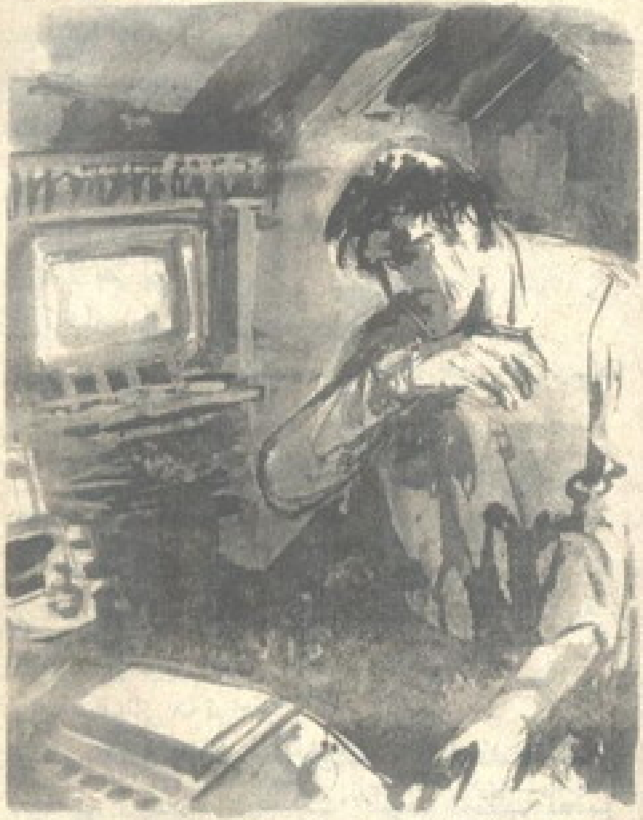

ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال فيها ، وهو يقول :
ـ من (أكرم) إلى الفريق ؟

لدقيقة كاملة تقريبًا ، وقف (أكرم) مبهورًا ، داخل وكر النووى ، يدير عينيه فيما حوله ، منشغلاً عن آلام إصاباته المتعددة ، وعن الدماء التى تسيل من كل مكان بجسده تقريبًا ، ثم لم يلبث أن هتف فى انفعال شديد :

ـ رباه ! إنه ليس مجرّد وكر عادى ، إنه مركز قيادة متقدّم .

ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال فيها ، وهو يقول :

ـ من (أكرم) إلى الفريق ... لن يمكنكم أن تتصوّروا أين أقف الآن يا رفاق .

أتاه صوت (نشوى) وهى تهتف فى لهفة :

ـ (أكرم) .. أين أنت ؟! لقد بلغتنا أخبار هجوم ذلك النووى على قافلة الشرطة .. لقد خشينا أن ...

قاطعها فى حزم :

ـ ليس بهذه السهولة يا صغيرتى .. لن ينال منى ذلك الوغد ، قبل أن أغرق رأسه فى بحور الدماء التى أراقها .

انبعث صوت (طارق) ، عبر الساعة ، وهو يسأل فى اهتمام :

- أين ذهب ، بعد مذبحة الشرطة يا (أكرم) ؟!

أجابه (أكرم) بنفاد صبر :

- لست أدرى يا (طارق) .. لقد ارتكب فعلته القذرة ، وانصرف فحسب .. ولكن المهم ما توصلت إليه أنا وسط الأطلال .

هتف (طارق) فى حماس :

- لا تقل لى إنه ..

قاطعه (أكرم) فى حماس أكبر :

- وكره .. نعم يا صديقى .. أنا أقف الآن وسط وكر ذلك الوغد .

جاوبه صمت مطبق ، استمرّ لدقيقة كاملة تقريبًا ، حتى إنه سأل فى توتر :

- (طارق) .. هل تسمعنى ؟!

أتاه صوته هادئًا للغاية ، على نحو مثير للدهشة ، وهو يسأله :

- صف لى ما تراه يا (أكرم) .

لم يتوقف (أكرم) طويلاً ، أمام ذلك التغير المفاجئ ، وكأنما اعتاد تلك الطبيعة المتقلبة لعضو الفريق الجديد ، وإنما راح يصف المكان المحيط به

بمنتهى الدقة ، و (طارق) يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، مع (نشوى) والدكتور (حجازى) ، ولم يكد يصل إلى وصف أجهزة الكمبيوتر والفحص ، حتى سألته (نشوى) فى لهفة :

- قل لى يا (أكرم) : هل يوجد وسيط هاتفى فى الكمبيوتر(*) ؟!

أشعل (أكرم) الكمبيوتر ، وهو يغمغم :

- لست أدرى .. أخشى أن يكون الجهاز مؤمّنًا بكلمة سر أو ما شابه .

انتهى من عبارته ، وهو يتطلّع إلى الشاشة فى قلق ، ثم لم يلبث أن مطّ شفتيه فى أسف ، قائلاً فى حنق :

- هناك كلمة سر بالفعل .

أجابته (نشوى) :

- لا بأس .. كنت أتوقّع شيئًا كهذا .. اسمعنى جيّدًا يا (أكرم) .. هل يمكنك أن توصل ساعتك بالكمبيوتر ؟!

(*) الوسيط الهاتفى للكمبيوتر : أو (المودم) هو جهاز يتم توصيله بجهاز الكمبيوتر ، داخليًا أو خارجيًا ، بحيث يمكنه نقل الرسائل والمعلومات عبر الهاتف ، بسرعات مختلفة ، طبقًا لنوعه وكفاءته وثمنه .

أجابها فى اقتضاب ، وهو يجذب سلكًا دقيقًا من الساعة :

ـ بالتأكيد .

وفى سرعة ودقة ، راح يوصل السلك بالكمبيوتر ، وصوت (طارق) ينبعث من الساعة ، قائلاً فى قلق :

ـ أسرع بالله عليك يا رجل .. ربما يعود ذلك الوغد فى أية لحظة .

فجرَّ ذلك القول كل القلق ، فى أعماق (أكرم) ، ولكنه واصل عمله ، متمتمًا :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

انتهى من توصيل الكمبيوتر بالأسلاك ، وقال :

ـ كل شىء تم على ما يرام يا (نشوى) .

أجابته عبر جهاز الاتصال :

ـ عظيم .. سأوصل جهاز الكمبيوتر الخاص بى بجهازه ، عبر جهاز الاتصال فى الساعة ، وسأستخدم برنامجًا جديدًا لفك الشفرة ، وأتمنى ألا يكون قد استخدم كلمة سر معقدة كثيرًا .

تطلَّع (أكرم) إلى مدخل الوكر فى قلق ، قائلاً :

ـ أما أنا ، فأتمنى أن ينتهى هذا ، قبل أن أجد ذلك الوغد أمامى هنا .

لم تجبه (نشوى) هذه المرة ، فقد ظهرت أمامها شاشة كمبيوتر النووى ، فى ركن شاشتها ، وبدأت تتعامل معها ببرنامجها الجديد فى سرعة ؛ للتوصُّل إلى كلمة السر ..

وفى توتر ، راح (طارق) و (رمزى) والدكتور (حجازى) يراقبونها ، وقال الآخير :

ـ ينبغى أن نترك لـ (نشوى) هذه المهمة الآن ، ونبلغ رياسة الجمهورية بما توصلنا إليه على الفور .. من الخطر أن نعلم أن رئيس الجمهورية هو الهدف التالى ، ثم لا نبلغه بهذا ، وبأقصى سرعة ممكنة ..

التفت إليه (رمزى) ، قائلاً :

ـ أنت على حق .. لابد أن نبلغه بالأمر على الفور .

قالها ، وهو ينهض إلى هاتف الفيديو ، ولكن قبل أن تبلغه أصابعه ، انطلق أزيزه بغتة ، حتى أن أصابعه ارتجفت فى قوة ، ثم اندفعت تضغط زر الاتصال ، فظهرت على الشاشة صورة الدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ النووى ضرب ضربته الجديدة الآن .

خفقت قلوبهم فى عنف ، وأطلَّ الذعر من عيونهم ، قبل أن يهتف (رمزى) :

- سيدى .. هل نجح فى ضربته هذه ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى مرارة :

- أجل ، للأسف .

شهقت (نشوى) فى قوة ، وتبادل (طارق) والدكتور (حجازى) نظرة مذعورة ، فى حين هتف (رمزى) فى ارتياع :

- رباه ! الرئيس !

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يقول :

- الرئيس ؟! ماذا تقصد ؟! لقد اغتال وزير الدفاع منذ دقائق .

ردد (رمزى) فى ذعر :

- وزير الدفاع ؟!

وقال (طارق) فى انفعال :

- لم يتبق سوى الرئيس إذن .

هتف الدكتور (ناظم) فى عصبية :

- عم تتحدثون ؟! ألن يخبرنى أحدكم بما لديكم ؟!

أجابه (رمزى) على الفور :

- لقد توصلنا إلى القضية ، التى يسعى ذلك النووى للثأر من أجلها ، وحصرنا كل من يسعى خلفهم ،

وكان من بينهم اسم رئيس الجمهورية شخصياً .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يهتف :

- رئيس الجمهورية ؟! يا إلهى !! هذا مستحيل !

أجابه (رمزى) فى حزم :

- لا توجد مستحيلات الآن يا دكتور (ناظم) .. إننا نتحدث عن وقائع .. ذلك الشاب يسعى للانتقام ، بسبب قضية جاسوس ، حوكم وأدين فى ثمانينات القرن العشرين ، بتهمة التخابر مع (إسرائيل) ، وصدر الحكم بإعدامه حينذاك .. جاسوس اسمه (سالم عمران) .

سأله الدكتور (ناظم) فى توتر :

- وما صلة ذلك النووى بالجاسوس (سالم عمران) هذا ؟!

توقفت (نشوى) عن عملها ، وتبادلت مع (طارق) والدكتور (حجازى) نظرة متوترة ، فى نفس اللحظة ، التى أجاب فيها (رمزى) ، سؤال الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- لم نتوصل إلى تلك الصلة بعد ، ولكننا تيقنا من أنها القضية ، التى يسعى خلفها ، وبناء على هذا ،

فضحيته التالية هى رئيس الجمهورية نفسه .

ثم مال نحو الهاتف ، متابعًا فى حزم :

ـ اسمعنى جيدًا يا دكتور (ناظم) .. لابد من إبلاغ السيد رئيس الجمهورية على الفور ، والعمل على نقله ، بمنتهى التكتم والسرية ، من مقر الرياسة ، إلى مكان سرى مأمون .. وليكن أحد المخابئ النووية مثلاً .

بدا التوتر والتردد على وجه الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، ثم قال فى عصبية :

ـ الأمر ليس بهذه السهولة أيها السادة .. إنكم تتحدثون عن إجراء خاص برئيس الجمهورية شخصيًا ، وهذا أمر يخضع لعشرات القواعد والتفاصيل الدقيقة والمعقدة ، فهناك ارتباطات والتزامات اجتماعية وسياسية ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حدة :

ـ فليذهب كل هذا إلى الجحيم يا رجل .. إننا نتحدث عن حياة رئيس الجمهورية وهذا أمر لا يخضع إلا لمبدأ واحد لا غير .. الحياة أو الموت .. فأيهما تختار ؟!

تردد الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، ثم كرر فى خفوت :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة .

احتقن وجه (رمزى) فى غضب ، وانعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى توتر بالغ ، فى حين غمغم (طارق) :

ـ يا للسخافة !

ومطت (نشوى) شفتيها ، وهى تواصل عملها فى سرعة ، لفك شفرة الإدخال ، فى كمبيوتر النووى ..

وفى عصبية ، قال (رمزى) :

اسمعنى جيدًا يا دكتور (ناظم) ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ اسمعنى أنت يا دكتور (رمزى) .. لقد قمتم بالجزء الخاص بكم من العمل ، وأبلغتمونا بالأمر ، وعلينا نحن القيام بالجزء الخاص بنا .. سأعهد بالأمر إلى أحد خبرائنا ؛ لمراجعة كل ما يتعلق بقضية (سالم عمران) هذه ، وسيتم كل هذا بأقصى سرعة ممكنة ، وقبل أن يستيقظ ذلك النووى من سبات ما بعد المذابح ، سنكون قد حسمنا الأمر ، واتخذنا الإجراء المناسب .. انتهت المحادثة .

وانقطع الاتصال على الفور ، فعقد (رمزى) حاجبيه ، وقال فى حنق :

ـ مستحيل ! مستحيل أن يكون هذا هو أسلوب العمل ، فى قضية كهذه !

تطلعت إليه (نشوى) لحظة ، ثم بدا عليها الغضب ، وهى تعاود عملها فى سرعة ، فى حين زفر الدكتور (حجازى) فى توتر ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !!

أما (طارق) فمط شفتيه فى ازدراء ، والتفت إلى (نشوى) ، يسألها :

ـ هل توصلت إلى شىء ؟!

أجابته فى اهتمام :

ـ إنها شفرة إدخال محدودة ، وسأتمكن من تجاوزها خلال دقيقة واحدة ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليها (رمزى) لحظة ، قبل أن يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، ويداعب ذقنه بسبابته وإبهامه ، مستغرقًا فى تفكير عميق ، فى حين هتفت (نشوى) :

ـ (أكرم) .. لقد توصلت إلى الشفرة .. سيتم فتح الكمبيوتر على الفور .

التقط (أكرم) عبارتها ، عبر جهاز الاتصال الدقيق فى ساعته ، فتطلع فى اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ورأى الجهاز يبدأ عمله بالفعل ، بعد أن تجاوزت (نشوى) شفرة الإدخال ، وعبرت كلمة السر ، فانتزع سلك الساعة من الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ هذا ما حدث بالفعل .. وهو يحوى وسيطًا هاتفيًا ، بسرعة مليون وحدة فى الثانية الواحدة .. إنه أحد الأنواع المتطورة الحديثة(*) .

أجابته فى اهتمام :

ـ عظيم .. استخدم ذلك الوسيط الهاتفى إذن ، واطلب بوساطته رقم وسيطنا الهاتفى ، واترك لى الأمر بعدها .

ألقى (أكرم) نظرة أخرى شديدة القلق ، على مدخل الوكر ، وهو ينفذ ما طلبته منه ، متوقعًا وصول ذلك النووى ، بين لحظة وأخرى ، وعندما انتهى من عمله ، سمع (نشوى) تقول ، عبر جهاز الاتصال فى الساعة :

ـ عظيم .. جهازنا الآن على اتصال مباشر بجهازه ،

(*) تبلغ أقصى سرعة معروفة للوسائط الهاتفية ، فى الوقت الحالى ثلاث وثلاثون ألفًا وستمائة وحدة فى الثانية .

وسأعمل على نقل كل بنك معلوماته إلينا ، بأقصى سرعة ممكنة .

ظهرت على الشاشة علامة نقل المعلومات بالفعل ، و(طارق) يقول :

ـ (أكرم) .. هيا .. غادر ذلك المكان على الفور يا رجل .. لقد فعلت كل ما يمكنك فعله هناك .. أسرع يا رجل ، قبل أن يعود ذلك الوغد ، ويطبق عليك فى وكره .

صمت (أكرم) لحظة ، ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ كلاَّ يا (طارق) .. لم ينته عملى هنا بعد .

ثم انتزع قنبلة شديدة التفجير من حزامه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ما زالت لدى مهمة ، ستبدأ فور انتهاء (نشوى) من عملها .

وضمَّ شفتيه فى قوة ، مضيفًا :

ـ مهمة ستشفى الكثير من غليلى .

ساد الصمت بضع لحظات ، فى الجانب الآخر ، قبل أن يأتى صوت (طارق) ، قائلاً :

ـ افعل ما يروق لك يا رجل .

قالها (طارق) ، وأنهى الاتصال ، فتنهَّد (أكرم) فى حرارة ، وأمسك فتيل القنبلة ، قائلاً :

ـ نعم يا رجل .. سأفعل ما يروق لى ... بالتأكيد .

وبقلب يخفق فى عنف ، تعلَّقت عيناه بشاشة الكمبيوتر ، التى تعلن أن عملية نقل المعلومات تمضى قدمًا ..

وبمنتهى السرعة ..

أما فى مقرّ الفريق ، فقد ساد صمت عجيب ، و(نشوى) تنقل ذلك الفيض من المعلومات ، من كمبيوتر النووى إلى كمبيوتر الفريق ، عبر الوسيط الهاتفى المتقدم ، فى حين غرق (رمزى) فى لجة عميقة من الأفكار ..

كان يدير الأمر فى رأسه مرات ومرات ..

ولم يكن يشعر بالارتياح قط ..

عقله ، وخبراته ، بالإضافة إلى شىء ما ، يكمن فى باطنه ، كانوا يرفضون إضاعة لحظة واحدة ، دون تحذير رئيس الجمهورية ..

ولكنه كان يحتاج إلى دليل ما ..

نقطة مضيئة ، تجعله يستخرج ما بأعماقه ، ويطرحه على عقله الواعي ، ليدرك ما الذى يصيبه بكل هذا التوتر ..

ولكن حاجزًا ما كان يعترض الطريق ، ما بين عقله الباطن والواعي ..

وكان هذا يصيبه بتوتر بالغ ..

إنها أول مرة ، يواجه فيها أمرًا كهذا .

أول مرة ، يعجز فيها عقله عن تحليل موقف ما ..

وهذا ما يقلقه ..

ويخيفه ..

ويملأ نفسه حنقًا وتوترًا ..

المفترض أنه الخبير النفسي للفريق ..

وها هو ذا يحتاج إلى خبير نفسي ..

يا للسخافة !..

صحيح إنه بشر ، وما من بشر كامل ..

فالكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ..

ولكن الخبراء غير مسموح لهم بالخطأ أو التقاعس .. قط ..

« لقد انتهيت من نقل كل بنك معلوماته إلينا .. »

قطعت (نشوى) سيل أفكاره ، وهى تنطق تلك العبارة ، فالتفت إليها فى شرود ، وسمعها تسأل (طارق) فى قلق :

- ترى ما الذى سيفعله (أكرم) هناك ؟!

أجابها (طارق) بسرعة :

- سينسف الوكر بالتأكيد .

قالت فى دهشة :

- ولماذا يفعل ؟! هل جازف بحياته ، للقيام بأمر يمكننا القيام به فيما بعد ؟!

هزَّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- ولماذا لا يقوم به الآن ؟! ما دامت الأمور تسير على ما يرام ، فلماذا يضيع الوقت ؟! فليضرب ضربته على الفور .

اتسعت عينا (رمزى) فى شدة ، عندما اخترقت تلك العبارة الأخيرة أذنيه ، وشعر بأنها قد ارتطمت بذلك الحاجز ، بين عقليه ، الباطن والواعي ، ونسفته نسفًا ، على نحو جعله يقفز من مقعده ، هاتفًا :

- نعم .. مادامت الأمور تسير على ما يرام ، فلماذا يضيع الوقت ؟!

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وغمغم (طارق) :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

ضغط (رمزى) أزرار هاتف الفيديو فى لهفة ، وهو يجيب :

ـ ذلك النووى لن ينتظر هذه المرة .. لقد وجد الوسيلة لإعادة شحن خلاياه ، ولم يعد لديه مبرر لإضاعة لحظة واحدة .. لقد اغتال وزير الدفاع ، وسينتقل إلى الضربة التالية مباشرة .. إلى رئيس الجمهورية ..

قبل أن يتم الاتصال ، تذبذبت أضواء الحجرة بغتة فى شدة ، فتوقفت سبابته ، ورفع عينيه إلى المصابيح ، مغمغمًا :

ـ يا إلهى ! إنه يعيد شحن جسده ثانية .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، واندفع فجأة نحو (رمزى) ، وأمسك بمعصمه ، قائلاً فى حزم :

ـ الاتصال لن يفيد الآن .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه بسرعة :

ـ ليس لدينا ما يكفى من الوقت ، للدخول فى متاهات سياسية وروتينية ، أو حتى فى مناقشة حول القواعد التى ينبغى اتخاذها ، لتحذير رئيس الجمهورية من خطر داهم كهذا .. لقد بدأ ذلك الوغد تحركه ، ولابد من اتخاذ طريق سريع وحاسم .

سأله (رمزى) فى توتر بالغ :

ـ مثل ماذا :

ـ تطلع إليه (طارق) لحظة فى صمت ، ثم التفت إلى (نشوى) ، وسألها :

ـ هل يمكنك التسلل إلى كمبيوتر أمن الرياسة ؟!

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تقول :

ـ لن يكون هذا بالأمر السهل ، فهم يستخدمون شفرة شديدة التعقيد ، و ...

قاطعها فى حزم :

ـ لدى تلك الشفرة .

تفجرت الدهشة فى وجوههم جميعًا ، فحدقوا فيه على نحو جعله يقول فى توتر :

ـ سأشرح لكم فيما بعد كيف حصلت عليها .

ثم شد قامته ، متابعًا :

- المهم الآن أن تنجحى فى التسلل إلى الكمبيوتر ، دون أن يكشف أمن الرياسة هذا .

غمغمت فى حذر :

- مع وجود شفرة الإدخال ، لن يكون هذا عسيرًا .

أشار بيده ، قائلًا :

- عظيم ، ولكن الأمر لن يقتصر على الدخول إلى كمبيوتر أمن الرياسة فحسب ، ولكن سيكون عليك تشغيل برنامج خاص داخله ، وبمنتهى السرعة .

غمغمت :

- سأبذل قصارى جهدى .

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، سأشرح لك خطتى .

وعندما بدأ الشرح ، تعلقت به عيون الجميع فى انبهار تام ..

فمرة أخرى ، أثبت (طارق)عبقريته ، فى هذا المضمار ..

لقد كانت فكرته جديدة ومبتكرة ، و ...

وحاسمة ..

وإلى أقصى حد .

* * *

٦ - الرئيس ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. التاسعة والربع مساءً .

« من وحدة المراقبة (م - ٣) إلى الوحدة الرئيسية .. الساعة ألفين ومائة وخمسة عشر ، وكل شىء على ما يرام .. »

ردّد رئيس وحدة المراقبة الثالثة العبارة ، وهو يتطلّع فى اهتمام إلى شاشات المراقبة ، التى تنقل ما يدور حول مقر الرياسة ، ثم أنهى الاتصال ، وفرك عينيه فى قوة ، قبل أن يقول لمساعده الأوّل :

- يا له من موقف ! الأوتار كلها مشدودة إلى أقصى حد ، والجميع فى حالة قصوى من التوتر والقلق .. إننى لم أشهد موقفًا كهذا قط ، منذ التحقت بالعمل هنا .. يبدو أن ذلك الشخص يثير ذعر الجميع بالفعل .

هزّ مساعده كتفيه ، وقال :

- لقد قرأت التقارير بنفسك ، ورأيت ما فعله بالآخرين .

تنهد رئيس الوحدة ، وهو يقول :

- أنت على حق يا رجل .. أنا نفسى أشعر بالذعر من هذا الموقف ، وأتمنى لو أمكننا تجاوزه بأية وسيلة كانت .

غمغم المساعد .

- المهم أن نتجاوزه فى نجاح .

ابتسم رئيس الوحدة فى عصبية ، قائلاً :

- وعلى قيد الحياة .

أراد المساعد أن يقول شيئًا ما ، إلا أن هذا لم يبدُ لائقًا ، فى مثل هذا الموقف ، فاكتفى بهزّة رأس ، قبل أن يعقد ساعديه أمام صدره ، ويواصل التطلع إلى شاشات المراقبة ، و ...

وفجأة ، ظهرت بقعة حمراء كبيرة على الشاشة ، وانطلق أزيز قوى من الأجهزة ، التى راحت تسجّل مستويات عالية من الطاقة ، على نحو يفوق المعتاد ، فقفز رئيس الوحدة من مقعده ، هاتفًا :

- رباه ! إنه هجوم ..

اتسعت عينا المساعد فى توتر بالغ ، وهو يحدّق فى بعض الأجهزة ، قبل أن يقول :

- ولكن أجهزة الفحص المباشر لا تسجّل أية تغيرات .

حدّق رئيس الوحدة مرة أخرى فى الشاشة ، والبقعة الحمراء المتحرّكة فوقها ، قبل أن يقول فى حزم :

- لا يمكننا أن نخاطر يا رجل .. لا يمكننا أن نخاطر قط .

قالها ، وضغط زر الإنذار ، هاتفًا عبر أجهزة الاتصال :

- هنا وحدة المراقبة (م - ٣) .. أجهزتنا سجّلت هجومًا ، على الجانب الأيسر لمقرّ الرياسة .. الساعة ألفان ومائة وعشرون .. إنذار عام بالهجوم .

وقبل حتى أن تنتهى عبارته ، كان فريق حراسة السيّد رئيس الجمهورية قد بدأ عمله بالفعل ..

لقد أحاط خمسة منهم بالرئيس وزوجته ، وألبسوهما زيين واقيين ، من طراز (م ف - ١٨) ، ونقلوهما فى سرعة إلى نفق سرى ، فى الطابق الأول تحت الأرض ، فى مقر الرياسة ..

وفى الوقت ذاته ، حلقت آليًا ، وبوساطة أجهزة خاصة للتحكم عن بعد ، هليوكوبتر تحمل شعار رياسة الجمهورية ، على نحو يوحى بأن الرئيس وزوجته قد استقلاها بالفعل ، وانطلقت سيارة الرئيس المصفحة الخاصة ، مبتعدة عن المقر ..

وبينما تتم تلك الخطة الخداعية المزدوجة ، كانت وسيلة نقل خاصة ، تنطلق بالرئيس وزوجته ، مع طاقم حراستهما الخاص ، فوق قضيب مغنطيسى منفرد ، وبسرعة مائتى كيلومتر فى الساعة ، عبر نفق الطوارئ ، إلى مطار سرى صغير ، يبعد عشرة كيلومترات عن مقر الرياسة ، حيث كانت تنتظرهما طائرة نفاثة ، مع ست مقاتلات عسكرية ، من أحدث الأنواع وأكثرها قوة ..

وبسرعة مدهشة ، استقلّ الرئيس وزوجته ، وطاقم الحراسة الخاص ، تلك الطائرة النفاثة ، التى حلقت بهم على الفور ، وخلفها المقاتلات العسكرية الست ، لحمايتها من أى خطر ..

وعلى الرغم من أن كل هذا لم يستغرق سوى خمس دقائق فحسب ، كانت الطائرة تحلق بعدها فى

سماء (مصر) ، فى طريقها إلى مقر سرى ، فى قلب الصحراء الغربية ، إلا أن هذه الدقائق الخمس بدت لرجال الأمن ، الذين تبقوا فى مقر الرياسة ، أشبه بدهر كامل ، وهم يراقبون الشاشات ، التى بدت فوقها تلك البقعة الحمراء فى وضوح شديد ، وهى تتقدّم وتتقدّم من أسوار المقر ..

وفى حيرة ، قال رئيس فريق المراقبة المباشرة :

- عجبًا ! على الرغم مما تنقله الشاشات ، لست أرى شيئًا يقترب .

أجابه أحد رجاله ، فى توتر بالغ :

- يقولون إن ذلك العدو يمتلك قدرة مدهشة ، على إخفاء جسده تمامًا .

صمت الرجل لحظة ، ثم غمغم :

- ربما .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه من حزامه فى سرعة ، وقال فى انفعال :

- من المتحدّث ؟!

أجابه صوت مهندس المراقبة الأوّل ، وهو يقول :

- سيدى .. إنه إنذار زائف .. لقد خدعنا .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، وهو يهتف :

- خدعنا ؟!

أجابه المهندس فى حدة :

- نعم يا سيدى .. لقد تسلل بعضهم إلى الكمبيوتر ، وأشعل برنامج التدريب المماثل ، الذى سجل هجومًا فضائيًا وهميًا ، على شاشات المراقبة .

اتسعت عينا الرجل فى هلع ، وقال بصوت مرتجف :

- بعضهم تسلل إلى الكمبيوتر ؟! هل تدرك معنى ما تقوله يا رجل ؟! هل تعرف كم كارثة تحدثت عنها فى آن واحد ؟! لقد نجح بعضهم فى التسلل إلى كمبيوتر أمن الرياسة ، الذى يحوى أدق أسرار الدولة وخفاياها .. وليس هذا فحسب ، وإنما نجح أيضًا فى خداعنا بهجوم وهمى ، جعلنا نطلق إنذارًا زائفًا ، على أعلى مستوى ، دفع رئيس الجمهورية لتنفيذ خطة الطوارئ القصوى ، والانطلاق بعيدًا عن مقر الرياسة .. كيف يمكننا شرح ما حدث لسيادته ، بعد عودته إلى هنا يا رجل ؟! هل تعتقد أنه سيكتفى بفصلنا ، أم سيحيلنا إلى محاكمة عسكرية ، أم ....

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت من جهاز الاتصال شهقة قوية ، جعلته يتوقف فى توتر ، ويهتف فى عصبية :

- ماذا يحدث عندك يا رجل ؟!

أتاه صوت المهندس ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يصرخ :

- هجوم يا سيدى .. هجوم حقيقى ، على السور الأيسر .

اتسعت عينا الرجل مرة أخرى ، وأدار عينيه فى حركة حادة إلى السور الأيسر لمقر الرياسة ، و ...

وفى نفس اللحظة ، دوى الانفجار ..

وانطلقت العاصفة ..

النووية ..

* * *

تحرك الجميع فى انفعال شديد ، فى مبنى جريدة (أنباء الفيديو) ، وعلى رأسهم (مشيرة) ، التى بدت شديدة التوتر ، وهى تقود فريقها ، هاتفة :

- إنه هجوم على مقر رياسة الجمهورية نفسه ، بعد أقل من ساعة واحدة ، من اغتيال وزير الدفاع .. الأمر لا يحتمل إضاعة لحظة واحدة .. أريد فريق

تصوير متكاملاً ، وثلاث طائرات هليوكوبتر ، وخبير كمبيوتر ، وسيارة بث كاملة ، و ....

اندفعت سكرتيرتها تقاطعها فى توتر ، قائلة :

ـ سيدتى .. زوجك (أكرم) هنا .

التفتت إليها (مشيرة) فى دهشة ، هاتفة :

ـ (أكرم) ؟! هنا ؟!

ثم انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تستطرد فى حدة واستنكار :

ـ الآن ؟!

ارتبكت السكرتيرة ، وهى تقول :

ـ سيدتى .. أعلم أن الوقت غير مناسب ، ولكن هيئته جعلتنى أ ...

قاطعتها (مشيرة) فى غضب صارم :

ـ ألا تدركين ما يحدث ؟! ألم يمكنك استيعاب الموقف ؟! إنهم يهاجمون مقر رئيس الجمهورية ، وهذا قد يعنى حدوث انقلاب عسكرىّ ، أو إعلان حرب كبرى ، وعلى الرغم من هذا ، فأنت تخبريننى أن زوجى هنا .. هل تتصورين أن أترك كل هذا ، وأهرع إليه .

ارتبكت السكرتيرة ، وغمغمت :

ـ معذرة ، ولكن ..

قاطعها فجأة صوت (أكرم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا ما ينبغى أن تفعله أية زوجة وفية مخلصة .

التفتت إليه بحركة حادة غاضبة ، ولكن لم يكد بصرها يقع عليه ، فى هيئته المزرية ، والدماء الجافة ، التى تلوّث ثيابه وجسده ، وحتى هتفت :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا أصابك ؟!

أمسك بمعصمها فجأة فى قوة ، وجذبها إلى مكتبها فى شىء من القسوة ، قائلاً :

ـ تعالىْ .. سأخبرك فى مكتبك .

هتفت فى حدة :

ـ (أكرم) .. إنك تؤلمنى .. ولن يمكننى إضاعة لحظة واحدة .. الموقف بالغ الخطورة .

أجابها فى صرامة ، وهو يدفعها داخل حجرة مكتبها ، ويصفق الباب خلفهما فى عنف :

ـ لهذا ينبغى أن أتحدث إليك .

جذبت معصمها من بين أصابعه فى حدة ، وقالت فى عصبية :

- يبدو أنك لا تدرك ما يحدث .. إنهم يهاجمون مقر الرياسة .

سألها فى صرامة :

- لماذا لم يُذع خبر انتقالنا إلى المقرّ الصحراوى ، وانتقال (نور) للعلاج فيه ؟!

انعقد حاجباها فى عناد ، وهى تجيب :

- لأنه خبر مدسوس .. مخابراتكم العلمية ألقته فى طريقنا عمدًا ، ولن أصبح مجرد قطعة شطرنج فى رقعتهم .. لن أعلن الخبر ، قبل أن أعرف الغرض منه بالضبط .

أمسك بكتفيها فجأة فى قوة ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً فى صرامة :

- لن تعرفى يا (مشيرة) .. الخبر بالفعل مدسوس ، ولكنك ستعلنينه ، دون حتى أن تسألى عن السبب .. يكفى أن المخابرات العلمية ترغب فى إعلانه ، وبأقصى سرعة .

تملصت من يديه فى حدة ، وهتفت :

- كلا يا (أكرم) .. لن أفعل .. أنا صحفية حرة ، ولا أحد يمكنه إجبارى على إتيان فعل أرفضه .. ثم

إنك تضيع وقتى الآن ، فلابد أن أعمل على تغطية الهجوم على مقر الرياسة ، قبل أن ..

قاطعها فى صرامة :

- لن تجدى جديدًا هناك .. نفس الصورة البشعة ، التى رأيتها فى كل الأماكن السابقة .. الفارق الوحيد هو أنه لن تكون هناك ضحية هذه المرة .

سألته فى لهفة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى بطء :

- ذلك الوغد لم يظفر بالرئيس .

خفق قلبها فى عنف ، وهى تهتف :

- حقًا ؟! ولكن كيف ؟ كيف نجا الرئيس ؟!

تجاهل سؤالها هذا ، وهو يعاود التطلع فى عينيها ، قائلاً فى صرامة :

- أعلنى خبر المقر الصحراوى يا (مشيرة) .

عاودها عنادها الصلب ، وهى تقول :

- كلا .. لن أفعل ، ما لم أعرف ما الـ ...

قاطعها فجأة فى ثورة :

- كفى يا (مشيرة) .. كفى .

تراجعت فى خوف ، أمام ثورته المفاجئة ، فى حين تابع هو فى غضب هادر :

ـ تصرفى مرة واحدة ، من منطلق المصلحة العامة ، وليس من ذلك المنظور الشخصى الضيق .. تعاملى مرة واحدة ، باعتبارك مصرية وطنية مخلصة ، تغار على صالح وطنها وأمنه ، وليس كمجرد صحفية ، لا يهمها سوى الفوز بسبق جديد ، تفوز به على منافسيها .. تصرفى مرة باعتبارك جزءًا منا .. من الفريق .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يميل نحوها ، ويغوص أكثر وأكثر فى عينيها ، مضيفًا فى صرامة شديدة :

ـ من (مصر) .

انتفض جسدها فى عنف ، مع كلمته الأخيرة ، وحدقت فى وجهه بشدة ، وكأنها تراه للمرة الأولى ، فى حين اعتدل هو فى وقفته ، ورمقها بنظرة أخرى صارمة ، قبل أن يستدير ، ويتجه نحو الباب ، ثم يتوقف ، ويلتفت إليها ، قائلاً :

ـ أعلنى الخبر يا (مشيرة) .

قالها ، وغادر الحجرة ، وصفق الباب خلفه فى عنف ، تاركًا إياها داخلها ، وقد طار من عقلها كل ما يتعلق بالهجوم على مقر الرياسة ، ولم يعد يشغلها سوى أمر واحد ..

كلمة زوجها عن الوطن ..

عن (مصر) ..

* * *

تفجر غضب جنونى فى أعماق النووى ، واشتعل به كيانه كله ، عندما فشل فى العثور على رئيس الجمهورية ، فى مقر الرياسة ، على الرغم من القتال العنيف المضاعف ، الذى خاضه هذه المرة ، والذى استنفد كل طاقاته تقريبًا ، قبل أن يسيطر على الموقف ..

لقد واجهه الحرس الجمهورى ببسالة شديدة ، وأطلق رجاله عليه مدافعهم الليزرية ، وقنابلهم العنقودية ، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لإيقافه ..

ولكن الشاب كان فى أوج قوته ..

وثورته ..

وجنونه ..

اشتعلت كل ذرة فى كيانه بغضب هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد رجال الأمن المصابين من مكانه ، فى قسوة وشراسة

وبكل الطاقة الهائلة فى أعماقه ، راح يطلق كراته النارية ، وصواعقه الجبارة ، وهو يحيط نفسه بغلاف واق مضاعف ، لصد حزم الأشعة ، والقنابل ، والصواريخ .

وكان القتال عنيفًا ، حتى إنه شعر بطاقته تنفد وتنضب فى سرعة ، تفوق ثلاث مرات على الأقل كل ما حدث من قبل ، فى ضرباته السابقة ..

وعلى الرغم من كل هذا ، فقد انتصر ، فى هذه المرة أيضًا ..

لم يكن قد قضى على الجميع ، كما يفعل فى كل مرة ، ولكنه استطاع بلوغ مقر الرياسة ، وانطلق بكل ثورته ووحشيته ، بحثًا عن الرئيس ..

وعندما لم يجده ، اشتعلت كل ذرة فى كيانه بغضب هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد رجال الأمن المصابين من مكانه ، فى قسوة وشراسة ، ويسأله :

ـ أين الرئيس ؟! أين ذهب ؟!

أجابه الرجل فى ألم عصبى :

ـ لست أدرى .. لا أحد يدرى .

برقت عينا النووى فى غضب ، وهوى بقبضته على ساق رجل الأمن ، فهشّمها بعنف رهيب ، جعل الرجل يطلق صرخة ألم قوية ، لم تهزّ شعرة واحدة فى رأس الشاب ، وهو يعاود سؤاله بشراسة مخيفة :

ـ أين الرئيس ؟!

هتف الرجل فى ألم :

ـ لا أحد يعلم ..

لم يكد ينطقها ، حتى تلقّى ركلة قوية فى ساقه الأخرى ، التى تحطمت بفرقعة مخيفة ، وانطلقت منه صرخة ألم رهيبة ، والنووى يهزّه فى قوة ، صائحًا :

ـ أين ذهب الرئيس ؟!

هتف الرجل ، وهو يكاد يفقد وعيه ، من شدة الألم :

ـ لست أدرى .. لا أحد يمكنه أن يعلم ، سوى طاقم الحراسة الخاص ، المرافق له .. هذا جزء من خطة الأمن .. إنهم ينقلونه فور تلقّى أوّل إنذار بالخطر ، عبر نفق خاص ، إلى مطار سرى ، وهناك تنطلق به طائرة الرياسة الخاصة بالطوارئ ، إلى مكان ما ، يتمّ إبلاغ الطيّار به ، بعد الإقلاع بعشر دقائق ، بحيث لا يمكن لمخلوق معرفة مكان الرئيس ، حتى تزول حالة الطوارئ .

اشتعلت عينا الشاب بغضب هادر ، وهو يقول :

ـ أتعنى أنه ليس هنا ، وأن أحدًا لا يدرى أين ذهب ؟!

قال الرجل ، وهو يفقد وعيه بالفعل :

ـ بالضبط .

صرخ الشاب فى ثورة :

ـ لا .. مستحيل !

قالها ، وهو يدير عنق رجل الأمن فى قوة ، كادت تنتزعه من جسده ، فشهق الرجل فى ألم ، وجحظت عيناه فى شدة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فى حين رفع هو قبضتيه ، ولوّح بهما فى الهواء ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا يمكن أن يفرّ .. لا يمكن .

بلغ مسامعه صوت سيارات الأمن ، والجيش ، وقوات الشرطة العسكرية ، التى تهرع إلى مقر الرياسة ، فانعقد حاجباه فى غضب هادر ، وأدار عينيه فيما حوله ، حتى عثر على مصدر للطاقة الكهربية ..

ومرة أخرى ، تذبذبت كل مصابيح (القاهرة) الجديدة ..

وعندما حاصر الرجال قصر الرياسة ، واستعدّوا للقتال ، كان هو يشقّ طريقه مبتعدًا عن مقر الرياسة ، داخل غلافه الكهرومغنطيسى ، الذى يخفيه عن الأعين تمامًا ..

كان بإمكانه أن يشتبك مع كل تلك القوّات ، دون أن يطرف له جفن ، مع كل الطاقة التى تفجّرت بها عروقه ..

إلا أنه لم يكن يرغب فى إضاعة ثانية واحدة ..

لابد أن يعود إلى مقرّه ؛ ليبحث بوساطة الكمبيوتر عن أى مكان ، يحتمل ذهاب الرئيس إليه ..

وبينما هو ينطلق داخل سيارة جديدة ، إلى وكره ، راح عقله يشتعل بالغضب أكثر وأكثر ..

لقد حقّق انتصارًا ساحقًا على طول الخط ..

وثأر من كل من قتلوا (عمران) ..

فيما عدا الرئيس ..

ضحيته الأخيرة ، التى أعدّ لها برنامجًا حافلاً ..

كان يخطّط لإلقاء القبض عليه حيًا ، حتى يحمله إلى مبنى (التليفزيون) الرسمى ، وهناك يعلن قضيته ،

يعلن للعالم كله ، أنه قد فعل كل ما فعل ، انتقامًا لإعدام (سالم عمران) ، منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ..

وعندما يدرك العالم هويته ، ويفهم لماذا فعل كل هذا ، سينتقل إلى خطوته الأخيرة ..

سيقتل الرئيس ، على الهواء مباشرة ..

سيجعل العالم كله يرى انتقامه ..

هكذا يكون قد حقّق كل ما أراد ..

وكل ما حلم به ، منذ سنوات طوال ..

وما غذّته به أمه طوال الوقت ..

الثأر ..

الثأر ..

الثأر ..

برقت عيناه مرة أخرى ، وهو ينطلق بالسيارة ، نحو الأطلال القديمة ، فانطلق منهما شعاع من الضوء ، انتزعه من انفعاله ، وأعاده إلى أرض الواقع ، فتمتم فى عصبية :

ـ لابد أن يدفعوا الثمن .. لا أحد منهم سينجو .. لا أحد .

أوقف السيارة ، عند حافة الأطلال ، واتجه فى خطوات سريعة نحو وكره ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الخيط من الدخان ، الذى يتصاعد من موضع الوكر ..

وفى عصبية متوترة ، انطلق يعدو نحو الوكر ، وهو يتساءل عما حدث ..

وعندما بلغ المكان ، انفجرت فى أعماقه قنبلة هائلة من الغضب والثورة ، وهتف :

ـ اللعنة ! لقد بلغوا مقرى ، ونسفوه .. نسفوا كل شىء .. الأبحاث ، والأوراق ، وأجهزة الفحص ..

وانقلبت سحنته على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ وحتى ذكرياتى .. الأوغاد نسفوا كل شىء ..

لا أحد يمكنه أن يصف تلك النيران ، التى استعرت فى أعماقه ..

لا أحد يمكنه أن يشعر بالغضب والثورة ، اللذين سريا فى كيانه كله ..

لا أحد ..

ولكن كل تلك المشاعر ، اجتمعت معًا فى صرخة واحدة ..

صرخة ارتجّت لها المنطقة كلها ..

صرخة أعلنت أن القتال قد انتقل إلى مرحلة أخرى ..

مرحلة ثأر جديد ..

واستكمال لثأر قديم ..

مرحلة تحوّل فيها الأمر من معركة إلى حرب ..

حرب طاحنة ..

ساحقة ..

نووية ..

* * *

« ولكن لماذا ؟!.. »

ألقى الدكتور (حجازى) السؤال ، فى مزيج من الدهشة والانفعال ، وهو يراجع كل ما أمامه ، من أوراق ونتائج ودراسات ، قبل أن يكمل فى حيرة متوترة :

ـ طبقًا للفحوص ، التى أجراها لنفسه ، فهو يعلم أن ساعاته فى الدنيا أصبحت معدودة ومحدودة ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يقضيها كلها سعيًا وراء ثأر عجيب ، من أجل شخص ، لا نجد خيطًا واحدًا يربطه به !! لماذا يفعل هذا ؟! ما الذى يدفعه إليه ؟!

هزّت (نشوى) رأسها فى حيرة ، قائلة :

- لم أستطع إجابة هذا السؤال قط .. لقد راجعت ملف قضية (سالم عسران) هذا ، أربع مرات على الأقل ، وفحصت كل ما يتعلق بالمحيطين به آنذاك ، ولم أجد بينهم شخصًا واحدًا ، يمكن أن يسعى للانتقام ، بعد ثلاثين عامًا تقريبًا .

أشار (رمزى) بسبابته ، قائلاً :

- ما يدهشنى حقًا هو أن ينتظر كل هذه السنين .

قالت (نشوى) فى حيرة أكثر :

- وكأنه يسعى للانتقام منذ مولده .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وهو يردد :

- منذ مولده ؟! نعم .. ولِمَ لا ؟!

استغرق طويلاً فى تفكير عميق ، جعل الدكتور (حجازى) يسأله فى لهفة :

- فيم تفكر يا (رمزى) ؟!

رفع (رمزى) عينيه إليه فى شرود ، استغرق دقيقة أخرى إضافية ، قبل أن يجيب فى اهتمام شديد :

- فيما قالته (نشوى) يا سيدى .. إنه قول دقيق وصحيح للغاية .. ذلك الفتى يتصرف وكأن الهدف الوحيد ، الذى جاء من أجله إلى الدنيا ، هو أن يثأر

لمقتل (سالم عسران) ، ومن كل من شاركوا فى صدور الحكم بإعدامه .. كما لو أنه قد وضع هذا منذ مولده .

ثم التفت إلى (نشوى) ، وسألها فى حماس :

- هل كان لـ (سالم عسران) ولد ، عندما صدر الحكم بإعدامه ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

- ليس فى حدود ما سجلته الأوراق والملفات حينذاك .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم :

- عجبًا !

ثم نهض من مقعده ، متابعًا فى اهتمام بالغ :

- لقد كان هذا هو التفسير الوحيد ، الذى يجعل الأمر كله منطقيًا .. طفل صغير ، يشاهد والده خلف القضبان ، والكل يتهمه بالخيانة ويكلله بالعار ، ووالدته إلى جواره تبكى زوجها ، وتشعر بالغضب والنقمة ، تجاه كل من يدينه ، والطفل يلتصق بها خائفًا مذعورًا ، لا يدرى شيئًا عن خطورة الاتهام ، الذى يحاكم من أجله والده .. كل ما يعرفه هو أن أباه يواجه الخطر ، وهناك من يسعون للقضاء عليه .

ثم فرقع سبابته وإبهامه متابعًا فى حماس :

ويصدر الحكم بالإعدام ، وتنهار الأم ، ويصرخ الأب ، ويهتف باسم ابنه ، ويبلغ رعب الصغير وذعره ذروتهما ، وتنحفر فى ذهنه صورة لكل من أدان أباه ، وأصدر حكمًا بإعدامه ، ويبدو له كل هؤلاء كفريق من القتلة ، انتزع منه والده ، دون أن يدرك عقله الصغير حينذاك ، خطورة الاتهام ، أو عدالة الحكم ..

وتحرّك فى المكان فى انفعال ، مستطردًا :

ـ ولا تكتفى الأم بما يعانيه الصغير المسكين ، وإنما تضاعف من تدمير مشاعره الداخلية ، وتقضى على ما تبقى من شعوره بالأمن والأمان ، عندما تذكى نيران الغضب وروح الثأر فى أعماقه ، وتطالبه طوال الوقت بالانتقام لأبيه ، من كل من دفعوه إلى نهايته .. وينمو الصغير بعقل مضطرب ، لا يحوى سوى فكرة واحدة ، تعربد فى كيانه كله طوال الوقت .. الثأر .. الثأر .. الثأر .. ومع مرور الوقت ، تلتهم تلك الفكرة ما تبقى من روحه ، حتى لا يعود له من هدف فى الحياة ، سوى تحويلها إلى حقيقة واقعة .

وتوقّف ليتنهّد فى عمق ، قبل أن يكمل :

ـ ثم تلوح الفرصة ، مع أبحاث الدكتور (فؤاد) .. خاصة وأن الأشخاص ، الذين يسعى للانتقام منهم ، قد أصبحوا من كبار المسئولين ، مع مرور الوقت ، فينتحل شخصية جديدة ، ويلتصق بالرجل ، ويتابع أبحاثه أولاً فأولاً ، حتى تحين اللحظة المناسبة ، فيضرب ضربته ، ويبدأ مرحلة الثأر والانتقام ..

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً :

ـ تحليل نفسى رائع يا (رمزى) ، ولكن ينقصه أمر واحد ، وهو أن (سالم عمران) لم يكن له ولد ، حتى تمت محاكمته وإعدامه ..

قالت (نشوى) فجأة فى حماس :

ـ ربما جاء هذا الولد بعد إعدامه بالفعل .

التفت إليها (رمزى) فى حركة حادة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .

أما الدكتور (حجازى) ، فسألها فى لهفة :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابه (رمزى) ، فى حماس جارف :

ـ تعنى أن زوجة (سالم عمران) لم تكن قد أنجبت ابنها بعد ، عندما حوكم زوجها وأعدم ، وإنما جاء

ذلك الطفل بعد موت أبيه ، ومع شعورها بالمقت والمرارة والكراهية ، راحت ترضع ولدها الغضب ، والرغبة فى الثأر ، وربته على الانتقام لوالده ، حتى إنها أفسدت عقله منذ طفولته ، وغرست فى أعماقه هدفًا واحدًا ، سعى لتحقيقه طيلة عمره .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! أهذا ممكن ؟!

أجابته (نشوى) فى حماس ، وهى تراجع بيانات الكمبيوتر فى سرعة :

ـ ولمَ لا ؟! لقد كان (سالم) متزوجًا من يهودية ، التقى بها فى (روما) ، قبل أن يبدأ رحلته فى عالم الجاسوسية ، ولقد حضرت زوجته تلك محاكمته ، وأدلت بحديث للصحف ، بعد صدور الحكم بإعدامه ، وقالت : إن المسئولين المصريين لفقوا التهمة لزوجها ، وإنها لن تغفر لهم هذا قط ، ثم سافرت بعدها لتستقرّ فى (إسرائيل) ، وانقطعت أخبارها بعدها تمامًا .

سألها (رمزى) فى لهفة :

ـ هل يمكنك تعقُّب بياناتها داخل (إسرائيل) ؟!

أجابته بسرعة وثقة :

ـ بالتأكيد .. سأسعى لدخول شبكة (الإنترنت)(*) الداخلية ؛ ومنها إلى شبكة المعلومات الإسرائيلية ، وسأسعى للحصول على كل ما يمكننى الحصول عليه بشأنها .

بدا عليه الارتياح ، وهو يجلس إلى جوارها ، قائلاً :

ـ عظيم .

راقبهما الدكتور (حجازى) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. تابعا أنتما عملية البحث عن هوية النووى ، وسأكمل أنا مراجعة أبحاث الدكتور (فؤاد) مع (طارق) ، حتى عودة (أكرم) ؛ لنبدأ معًا فى إعداد خطة المواجهة القادمة .

(*) الإنترنت : شبكة كبرى للمعلومات ، تربط العالم كله بعضه ببعض ، وتربطه بالمستخدم العادى لأجهزة الكمبيوتر الشخصية ، عن طريق الوسائط الهاتفية (المودم) ، بحيث يمكن لأى شخص معرفة أية معلومات ، عن أية جهة ، تشترك فى الشبكة الدولية ، بمجرد حصوله على عنوان وشفرة الاتصال بتلك الجهة .

ثم تلفت حوله ، مستطردًا :

ـ ولكن أين (طارق) ؟! أين اختفى منذ ما يقرب من نصف الساعة ؟!

انعقد حاجبا (نشوى) وهى تعتدل ، مغمغمة :

ـ (طارق) ؟!

تلفت الدكتور (حجازى) حوله مرة أخرى ، متسائلاً :

ـ نعم .. أين هو ؟!

التقى حاجبا (نشوى) أكثر وأكثر ، واستعاد ذهنها مشهد (طارق) ، وهو يوصل جهاز الكمبيوتر الخاص به ، بأجهزة المرصد القديمة ، ثم لم تلبث أن هزت رأسها فى قوة ، وكأنما تنفض عنها ذلك المشهد ، وقالت للدكتور (حجازى) :

ـ ربما تجده فى قاعة المرصد .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ وماذا يفعل هناك ؟!

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ ربما يهوى تلك الأشياء القديمة .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يتجه نحو الممر ، الذى يقود إلى قاعة المرصد ، قائلاً :

ـ لا بأس .. لم يعد هناك ما يدهشنى بشأنه .

تابعته (نشوى) ببصرها ، حتى اختفى داخل الممر ، ثم واصلت عملها على الكمبيوتر .. ولكن تلك النظرة ، المفعمة بالقلق والتوتر ، التى شيعت بها الدكتور (حجازى) ، لم تخف على زوجها (رمزى) ، الذى سألها فى اهتمام :

ـ ماذا هناك ؟!

التفتت إليه ، قائلة :

ـ هناك شىء غامض ، يربط ما بين (طارق) وهذا المكان .

قال فى حذر :

ـ ربما يهوى تلك الأشياء القديمة ، كما قلت للدكتور (حجازى) .

صمتت لحظة فى تردد ، قبل أن تقول :

ـ لست أعتقد أن هذا هو السبب الوحيد .

ثم روت له فى توتر ما رأته ، فى قاعة المرصد ، فاستمع إليها فى اهتمام مشوب بالقلق ، ثم قال :

ـ ربما لا يعني هذا شيئًا ، أو هو يعني كل شيء ..

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف في حزم :

ـ ولكننا نستطيع تأجيل هذا لما بعد .. المهم أن نركز جهودنا كلها الآن ، لبحث أمر عدونا النووى .

تنهدت ، قائلة :

ـ أنت على حق .

وعادت تواصل عملها على الكمبيوتر ..

وفى نفس الوقت ، الذى تبادلا فيه هذه الكلمات ، كان الدكتور (حجازى) يقطع الممر ، الذى يقود إلى قاعة المرصد ، فى خطوات خفيفة سريعة ، حتى بلغ القاعة ، وقبل أن يدلف إليها ، التقطت أذناه فجأة صوت إيقاع إليكترونى يتردَّد داخلها ، فتوقَّف فجأة ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يتساءل فى أعماقه عما يوحى به هذا ..

كان الإيقاع منتظمًا إلى حد ما ، ويتكوَّن من ثلاثة مقاطع مختلفة ، تتكرَّر بفارق زمنى ضئيل للغاية ، على نحو جعلها أشبه برسالة متكرِّرة ..

أو بإشارة محدودة ..

إشارة استغاثة ..

شيء أشبه بالإشارة الدولية الشهيرة (S.O.S)(*) ..

ولكن ليس بالإيقاع نفسه ..

وفى حيرة ، غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو يدلف إلى القاعة :

ـ عجبًا ! ما الذى يفعله (طارق) بالضبط ؟!

لم يكد يغمغم بالعبارة ، حتى توقَّفت الإشارة بغتة ، وبدا له (طارق) ، وهو ينهض فى سرعة وارتباك ، من أمام جهاز اتصال فضائى قديم ، وسبَّابته تسرع بإغلاقه فى توتر ملحوظ ، قبل أن يبتسم ابتسامة متكلِّفة ، ويقول :

ـ لقد نجحت فى إصلاح هذا الجهاز القديم .. هل يمكنك أن تصدِّق هذا ؟!

نقل الدكتور (حجازى) بصره بينه وبين ذلك الجهاز القديم لحظة ، قبل أن يقول فى بطء حذر :

(*) إشارة الاستغاثة الدولية (S.O.S) : هى إشارة يتم إرسالها بلغة (موريس) التلغرافية ، من خلال الإشارات البرقية ، واللاسلكية ، وحتى الضوئية ، وهى اختصار للعبارة الإنجليزية (أنقذوا أرواحنا) .. (Save Our Soles) .

- وهل تعتقد أن الوقت يناسب مثل هذا العمل ؟!

رفع (طارق) يده ، ليتخلل شعره بأصابعه ، وهو يغمغم :

- مجرد محاولة للترويح عن النفس ، والتخفيف من توتر الموقف .

ثم اتجه إلى الدكتور (حجازى) ، ووضع يده على كتفه ، قائلاً :

- هل توصلت (نشوى) إلى شىء ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يعود معه إلى حجرة الفريق :

- (رمزى) وضع نظرية جديدة ، وهى تسعى لإثباتها .

أدهشه أن (طارق) لم يسأله عن تلك النظرية ، ولا عن الوسيلة التى تتبعها (نشوى) ، لمحاولة إثباتها ، وإنما بدا وكأن كل ما يهمه هو أن يبعده عن قاعة المرصد ، وهو يسأله :

- هل راجعت نتائج الفحص ، التى نقلناها من كمبيوتر النووى ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

- نعم .. لقد راجعتها مرتين ، وهناك نقطة تثير قلقى فيها ، ربما يمكنك أنت حسمها ، باعتبارك خبيرًا فى الطاقة النووية .

سأله (طارق) فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أجابه ، مشيرًا بسبابته فى الهواء :

- ذلك التناقص المتواصل فى طاقة خلاياه ، التى تحولت إلى نوع من بطاريات الشحن الحيوية ، المشحونة بالمادة المشعة .. إنها ستبلغ مع الوقت حدًا يجعلها أقرب إلى الكتلة الحرجة للقنابل النووية .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وتوقف فجأة ، وهو يقول فى قلق شديد :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

لم يكد يتم عبارته ، حتى هرع (رمزى) إلى الممر ، هاتفًا :

- هل سمعتما آخر الأنباء ؟!

سأله (طارق) بسرعة :

ـ ماذا حدث ؟!

لوّح (رمزى) بذراعيه ، هاتفًا :

ـ لقد ضرب النووى ضربته الجديدة .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

وعنيفة .

* * *

٧ ـ جنـــون ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. العاشرة والنصف مساءً .

شعور قوى بالألم ، سرى فى جسد (نور) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، داخل وحدة العناية المركزة ، فى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى مبنى إدارة الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

ومع الألم ، كان هناك صداع عنيف ، جعله يغمغم فى إرهاق :

ـ أين أنا ؟!

أتاه صوت زوجته ، وهى تهتف بكل لهفتها :

ـ (نور) .. حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .

فتح عينيه ، متطلعًا إليها ، وإلى دموعها المنهمرة على وجهها فى سعادة ، ثم ابتسم فى ضعف ، مغمغمًا :

ـ هل غبت عن الوعى طويلاً ، إلى هذا الحد ؟!

احتضنته فى فرح ، قائلة :

- حمدًا لله يا (نور) .. حمدًا لله .

احتضنها فى رفق حنون ، وتركها تفرغ دموعها على صدره بضع لحظات ، دارت عيناه خلالها فى المكان ، حتى تعرّفه ، ثم سألها فى اهتمام :

- أين (نشوى) ؟! أين الرفاق جميعهم ؟! ماذا فعلتم فى قضية ذلك العدو الخارق ؟!

مسحت دموعها بأصابعها ، مجيبة :

- لقد تطوّرت الأمور كثيرًا ، خلال الساعات الماضية يا (نور) .

سألها فى قلق .

- كيف ؟!

قبل أن تفتح شفتيها ، ارتفع صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- سأشرح لك كل شىء يا (نور) .. حمدًا لله على سلامتك .

أدار (نور) عينيه إليه قائلاً فى اهتمام :

- أشكرك يا دكتور (ناظم) .. الواقع أننى أريد معرفة كل التفاصيل .

ربتت (سلوى) على كتفيه ، قائلة فى إشفاق :

- ألا تحصل علي قليل من الراحة أولاً يا (نور) ؟!

التفت إليها قائلاً :

- هل تعتقدين أن لدينا الوقت لهذا ؟!

صمتت لحظة ، وهى تتطلع إلى عينيه مباشرة ، قبل أن تتمتم فى خفوت :

- كلا .

اكتفى بقولها هذا ، والتفت مرة أخرى إلى الدكتور (ناظم) قائلاً :

- أريد معرفة كل التفاصيل يا دكتور (ناظم) .

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا (نور) .. بالتأكيد .

وفى سرعة ودقة ، راح يروى له كل ما حدث ، منذ فقد وعيه ، فى حادث السيارة(*) ، وبكل التفاصيل الممكنة ، وشرح له ما توصّل إليه فريقه ، متضمنًا تحذير رئيس الجمهورية ، وخدعة الهجوم الزائف ، التى أنقذت حياة الرئيس ، ثم تنهّد فى عمق ، متابعًا :

(*) راجع الجزء الأول (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

- ومن الواضح أن نجاة الرئيس قد أثارت غضبه وجنونه ، إلى أقصى حد ، ولم يمكنه احتمال فشله فى القضاء على آخر ضحايا حملته الثأرية ، لذا فقد هاجم وحدة عسكرية محدودة ، على مشارف (القاهرة) الجديدة ، ونجح فى تدمير معظم أسلحتها ، وقتل أكثر من مائة من العسكريين ، فى وحشية مخيفة ، قبل أن يستخدم أجهزة الاتصال فيها ، ليبث رسالة إلى كل وكالات الأنباء العالمية .

وتراجع فى مقعده ، فى توتر ملحوظ ، قبل أن يضيف :

- رسالة أعلن فيها أنه سيواصل حملة القتل والتدمير بلا توقف ، وسينقل المعركة إلى أهداف مدنية ، دون تحديد أو تمييز ، خلال الساعات القليلة القادمة ، مالم يظهر رئيس الجمهورية ، ويعلن عن وجوده فى وضوح .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يغمغم :

- عجبًا ! الكل يهدف إلى رئيس الجمهورية هذه الأيام(*) ، وكأنما لم يعد لهم خصم سواه .

(*) راجع قصة (بصمة الموت) .. المغامرة رقم (١١٢) .

تنهد الدكتور (ناظم) فى عمق ، وقال :

- المؤسف أن كل وسائلنا القتالية والدفاعية قد فشلت تمامًا ، فى التصدى لذلك السفاح المجنون يا (نور) ، أو إيقاف حربه المخيفة .. من الواضح أن الدكتور (فؤاد راغب) نجح فى صنع وحش جديد ، لا يمكن السيطرة عليه .. كم أشعر بالارتياح ؛ لأن عقاره لم يعد له وجود .

غمغم (نور) :

- من يدرى ؟!

حدّق الدكتور (ناظم) فى وجهه بارتياع ، هاتفًا :

- (نور) .. هل تعنى أن ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- لست أعنى شيئًا يا دكتور (ناظم) .. إننا نواجه ذلك الوحش الآن ، وعلينا أن نركز كل جهودنا لإيقافه ، قبل أن يريق المزيد من دماء الأبرياء ، بجنونه الوحشى هذا .

سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

- ألديك خطة محدودة ؟!

أجابه (نور) ، وهو ينهض جالسًا على طرف فراشه :

- خطة (طارق) ممتازة للغاية ، وتشف عن موهبة رائعة ، فى هذا المجال ، ولكنها تحتاج إلى بعض الإضافات والتعديلات البسيطة .

وهتفت (سلوى) فى دهشة قلقة ، عندما نهض يلتقط ثيابه :

- ماذا ستفعل ؟!

أجابها فى حزم :

- ياله من سؤال ! سأعود لقيادة فريقى بالطبع .

هتفت معترضة :

- فى مثل هذه الظروف ؟!

التفت إليها فى صرامة قائلاً :

- هذه الظروف بالذات ، هى التى تدفعنى إلى هذا .

تبادلت نظرة متوترة مع الدكتور (ناظم) ، الذى تنحنح ، مغمغماً :

- زوجتك تقصد أنك قد استعدت وعيك منذ قليل ، وربما ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

- خصمنا لن يمهلنا لحظة واحدة .

ثم راح يرتدى ثيابه فى سرعة ، وهو يضيف :

- حاولوا إقناع (مشيرة) بإعلان خبر انتقال الفريق إلى ذلك المقر الصحراوى ، حتى ولو اضطررتم لإجبارها على هذا ، بأية وسيلة كانت ، وانشروا شائعة تفيد بأننا نحمى الرئيس هناك .. وسيكفى هذا لاستفزاز كل مشاعر ذلك الشاب ، ودفعه إلينا دفعاً ، وعندما يبلغ المقر ، سنعمل على تنفيذ خطة (طارق) ، ولكننا سنضيف إليها خطوة جديدة .

واعتدل فى حزم ، قبل أن يستطرد :

- وحاسمة .

نطقها على نحو يوحى بأن الحرب ، ومنذ هذه اللحظة ، ستتخذ مساراً جديداً بالفعل ..

وأنها لن تنتهى ، إلا بنهاية أحد الطرفين ..

إما النووى ..

أو فريق (نور) ..

بأكمله ..

* * *

« ولقد نما إلى علمنا ، من بعض المصادر الوثيقة الصلة بالفريق ، أن أفراده أدركوا أن ذلك العدو الخارق ، الذى تسبب فى سلسلة الاغتيالات الأخيرة ،

يسعى الآن خلفهم ، لذا فقد انتقلوا إلى مقر جديد ، فى قلب الصحراء ، لم يحددوا موقعه بالضبط ، إلا أن أحد مصادرنا نجح فى التوصل إلى أن ذلك المقر الجديد يقع داخل أحد المراصد القديمة ، التى لم تعد موضحة على الخرائط الحديثة ، وأن الفريق قد أعدَّ حجرة طبية خاصة هناك ، لعلاج قائده (نور) ، بعيدًا عن مصادر الخطر .. أما بالنسبة للسيد رئيس الجمهورية ، فما زال موقعه الحالى مجهولاً ، وإن أصدر مجلس الرياسة بيانًا ، أعلن فيه أن الرئيس فى حالة جيدة ، وأنه مازال يصدر قراراته ، ويتابع أحوال الدولة ، من مكان ما بالصحراء الغربية ، وأن اختفاءه المؤقت يعود إلى أسباب أمنية خاصة ، ولا صحة إطلاقًا لما أشيع حول نجاح ذلك العدو الغامض فى اغتياله ، وسيذيع سيادة الرئيس بنفسه بيانًا للشعب ، حول الواقعة وخفاياها ، فى الصباح الباكر بإذن الله .. (مشيرة محفوظ) ، تتحدث إليكم ، من (أنباء الفيديو) .. تابعوا التطورات معنا ... »

اختفت صورتها من شاشة الهولوفيزيون ، وحل محلها ذلك اللحن المميز ، مع اللوحات المتحركة ثلاثية

الأبعاد ، التى تحمل شعار (أنباء الفيديو) ، فصفق (أكرم) فى حماس ، وهو يقول مزهوًا :

ـ رائع .. (مشيرة) قامت بدورها خير قيام ؟

ابتسم (طارق) ، مغمغمًا :

ـ أهنئك .

أشار (أكرم) بيده قائلاً :

ـ هاهى ذى زوجتى التى أعرفها .

نقل (نور) بصره بينهما ، قبل أن يقول :

ـ قيام (مشيرة) بدورها ، بالإضافة إلى الشائعة التى انتشرت فى المدينة ، موحية بأن الرئيس هنا ، سيدفعان ذلك النووى حتمًا لمهاجمتنا .

ثم التفت إلى (رمزى) ، يسأله :

ـ أليس كذلك ؟

أجابه (رمزى) فى سرعة :

ـ بالتأكيد يا (نور) .. إنه يسعى لتحقيق انتقامه الأخير ، وما إن يتصوَّر أن الرئيس هنا ، حتى يهرع إلينا على الفور .

قال (أكرم) فى قلق :

ـ السؤال هو : كيف سنستقبل هروعه هذا ؟!

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ بل كيف سندرك أنه ينقضّ علينا ، إذا ما أحاط جسده بغلاف الإخفاء ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ هنا يأتى دور أمك .

أدارت (سلوى) عينيها إليهم ، دون أن تتوقف عن عملها ، وهى تقول :

ـ إننى أعد برنامجى ، وعندما أنتهى منه ، سيمكننا رصد أى صوت ، يقترب من هنا ، فى دائرة نصف قطرها كيلومتر كامل .

أومأ (نور) برأسه فى ارتياح قائلاً :

ـ حمداً لله .. إذن فلدينا وسيلة كشف اقترابه ، ولكن ماذا عن خط الدفاع الأوّل ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يلوّح بمسدسه :

ـ عندما يظهر ذلك الوغد ، سنستخدم أجهزة التحكّم عن بعد ، لنطلق عليه خمس عشرة دبّابة ، وثلاث طائرات مقاتلة ، بحيث يضطر للاشتباك معهم ، مستهلكاً طاقته ..

تمتم (طارق) :

ـ أتعشّم أن يحدث هذا .

التفت إليه (نور) فى بطء قائلاً :

ـ إننا ننفذ خطتك :

غمغم (طارق) :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

كان من الواضح أنه منشغل بشدة فى دراسة أمر ما ، يتعلق بالحالة ، التى وصلت إليها خلايا النووى ، لذا فقد أدار (نور) عينيه عنه ، وتركه يراجع الأمر مرات ومرات ، مع الدكتور (حجازى) ، ثم سأل (نشوى) :

ـ هل توصلت إلى هويته ؟!

ضغطت (نشوى) أحد أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تجيب :

ـ أجل .. وكانت أمامى مفاجأة :

التفت إليها الجميع فى اهتمام شديد ، فتابعت ، وهى تطالع بعينيها تلك المعلومات ، التى ظهرت على الشاشة :

ـ لقد اخترقت بالفعل شبكة المعلومات الإسرائيلية ، وبحثت عن الملف الخاص بزوجة (سالم عمران) ،

ولم يكن عسيرًا ، فقد كانت تتقاضى معاشًا من جهاز المخابرات الإسرائيلى ، باعتبار أن زوجها قد لقى مصرعه فى أثناء الخدمة ، ولقد كشفت أن المعاش كان موجهًا إليها ، وإلى ابنها (إفرام) ، الذى انجبته بعد ستة أشهر من موت أبيه ، وأطلقت عليه اسم (إفرام سالوم) ؛ حتى لا يدرك جيرانها أنه عربى الأب ، ولقد حصل (إفرام) على الجنسية الإسرائيلية فور مولده ؛ نظرًا لأنه يهودى الأم(*) ، وعلى معاش والده ، إلا أنه لم يحصل قط على الاحترام اللازم ، فى المجتمع الإسرائيلى ، الذى ما زال ، بعد كل هذه السنين ، يفرّق بين اليهود الشرقيين (السفرديم) ، واليهود الغربيين (الأشكنزيم) ، لذا فقد أبغض الظروف ، التى أتت به إلى (إسرائيل) ، كما حرصت أمه طوال الوقت ، على تذكيره بما أصاب والده ، وكانت تعرض أمامه باستمرار أحد أفلام الفيديو ، لمحاكمة والده ، وتجبره على مشاهدته يوميًا ، وهى تذكى فى أعماقه

(*) قانون الجنسية فى (إسرائيل) لا يمنح الجنسية الإسرائيلية إلا للمولودين من أم يهودية فحسب ، وينصّ على عدم منحها لمواليد الأمهات غير اليهوديات ، أيًا كانت الأسباب .

نيران البغض والكراهية والمقت ، والرغبة العارمة فى الثأر والانتقام .

سألها (أكرم) فى دهشة :

ـ وهل حصلت على كل هذا ، من ملف الأم الإسرائيلية ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ بالطبع ، فهو يحوى أوراق وتقارير العلاج النفسى ، الذى خضعت له مع ابنها ، بعد أن أبلغ جيرانها السلطات عن صراخ ابنها المتواصل ، وضربها العنيف له طوال الوقت .

هزّ (رمزى) رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا للمسكين !!

التفت إليه (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، هاتفًا :

ـ مسكين ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ بالطبع .. لا تفكر فى كل ما فعله ، خلال الساعات الماضية .. حاول أن تعود بذاكرتك إلى طفولته وماضيه .. إلى الأسباب التى خلقت منه ذلك الوحش الرهيب ، الذى انعدمت فى قلبه الرحمة والشفقة ..

قال (أكرم) فى حدة :

- هذا لا يصنع فارقًا ، بالنسبة لكل من لقوا مصرعهم على يديه ، ولا بالنسبة لأسرهم وزوجاتهم وأبنائهم .

أجابه (رمزى) ، محاولاً تهدئته :

- بالتأكيد .. إننى لا أحاول إعفاءه من مسئولية ما فعل ، وما اقترفت يداه ، ولكننى أتحدث عن الأسباب ، التى أدت إلى هذا .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا :

- حاول أن تتخيل طفلاً صغيرًا ، تجبره أمه كل يوم ، على مشاهدة تفاصيل المحاكمة ، الذى أدين فيها أبوه ، وصدر الحكم بإعدامه ، وتفعل هذا ، وهى تسكب فى أذنيه طنًا من السموم ، وتشعل فى أعماقه رغبة فى ثأر عنيف ، لم يولد مع براءة طفولته وصباه حتمًا ، وتغذيه بروايتها وحديثها ومقتها وغضبها كل يوم ، حتى يشكو جيرانه من صراخه وآلامه ، فيتم تحويله إجباريًا إلى الكشف النفسى ، الذى يقرر احتياجه إلى علاج نفسى ، وعلى الرغم من هذا ، فالأم تواصل بث سمومها ، والتحدث عن المحاكمة ، والثأر والانتقام ، فأية نتيجة تنتظرها ؟!

الجنون بالطبع .. لقد أصابه الجنون حتمًا ، فى حداثته أو صباه .. ومثل هذا النوع من الجنون ، يجمع حتمًا ما بين العبقرية ، والاختلال ، بحيث كان (إفرام) قادرًا على وضع خطة طويلة المدى ، وانتحال شخصية وهوية مصرية ، واحتمال سنوات طويلة من العمل ، كمساعد للدكتور (فؤاد راغب) ، حتى يمكنه تحقيق ثأره وانتقامه فى النهاية .

عقد (أكرم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

- مازلت أصر على أن هذا لا يصنع فارقًا .

أشار إليه (نور) قائلاً :

- ولكنه يمنحك معلومات بالغة الأهمية عن خصمك يا (أكرم) .

انتزع (أكرم) مسدسه من غمده ، ولوح به ، هاتفًا فى حنق :

- المعلومة الوحيدة التى تعنينى ، بالنسبة لخصم كهذا ، هى أين يكمن مقتله فحسب .

قال الدكتور (حجازى) فى رصانة :

- ربما يكمن مقتله فى أمر كهذا !

مط (أكرم) شفتيه ، على نحو يشف عن أن الحديث

لا يروق له ، ولكنه أعاد مسدسه إلى غمده ، قائلاً فى صرامة :

- لا بأس .. دعونا نر كيف تفيدنا قصة حياته ، عندما تبدأ الحرب ؟!

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

أخشى أن قصة حياته ليست المشكلة الوحيدة الآن يا (أكرم) .

التفت إليه الجميع فى قلق ، وسألته (سلوى) :

- وما المشكلة الأخرى ؟!

أشار إلى شاشة جهاز تحديد الطاقة الجديد ، مجيبًا فى حزم واقتضاب :

- الطبيعة !

أطلت تساؤلات عديدة من عيونهم ، فتابع بسرعة :

- هذه الخطوط الحمراء الرفيعة ، التى تبدو فى أسفل الشاشة ، تعنى أن الطبيعة لا تعمل لصالحنا ، ولن تفعل خلال الساعات القادمة .. فهذه الخطوط أيها السادة ، تعنى أننا فى بداية عاصفة .. عاصفة رملية .

وكانت مفاجأة للجميع ..

مفاجأة قادرة على إفساد خطتهم .. كلها ..

* * *

تعلقت عينا صاحب متجر أجهزة الكمبيوتر الصغير ، بوجه الشاب المتين البنيان ، الذى دلف إلى متجره فى خطوات واسعة قوية ، واتجه مباشرة إلى أحد أجهزة الكمبيوتر ، الخاصة بالعرض ، وراح يعمل عليه فى سرعة واهتمام ، مستدعيًا بعض البرامج المساحية ، والخرائط القديمة ..

لم يكن ما يفعله أمرًا غير مألوف ، بالنسبة لمتاجر الكمبيوتر ، إذ كثيرًا ما يسعى البعض لتجربة الأجهزة المعروضة ، والقيام ببعض العمليات المعقدة عليها ، كوسيلة لحسم اختيارهم ، وشراء جهاز الكمبيوتر الذى يناسبهم ..

وهو لا يبالى - فى المعتاد - بنوع البرنامج ، الذى يستدعونه عبر جهاز الكمبيوتر ، إيمانًا منه بأن كل شخص يبحث عما يناسبه ..

ولكنه ، فى هذه المرة ، كان شديد الاهتمام والتوتر ، وهو يتطلع إلى ذلك الشاب ، ويقارن بين ملامحه ،

وتلك النشرة التى تم توزيعها ، على كل متجر بالمنطقة ، حاملة صورة (إفرام سالون) ..

كان الشاب منهمكًا فى البحث عن منطقة ما ، على الخرائط القديمة ، فاستغل صاحب المتجر انهماكه وانشغاله ، وضغط أزرار هاتف الفيديو فى حذر ، ولم يكد يرى صورة رجل شرطة على شاشته ، حتى همس فى حذر :

ـ هنا متجر (ملتيميديا) للكمبيوتر .. أعتقد أن الشاب الذى تبحثون عنه هنا .

سأله رجل الشرطة فى اهتمام شديد :

ـ أأنت واثق يا رجل ؟!

أجابه فى توتر :

ـ تمام الثقة .. إنه يقف على بعد ثلاثة أمتار منى فحسب .

واختلس نظرة أخرى إلى الشاب ، مستطردًا فى همس عصبى :

ـ ولكن أسرعوا بالله عليكم .

أجابه رجل الشرطة فى سرعة :

ـ اطمئن يا رجل .. كل شىء سيسير على ما يرام ..

سأتصل بأقرب دورية شرطة ، وستصلك خلال دقيقة واحدة .. ولكن لا تفعل شيئًا ، ولا تحاول إثارة توتره أو شكوكه ، حتى تصل إليك الدورية .

سأله الرجل فى قلق :

ـ وماذا لو حاول الانصراف ؟

أجابه الشرطى فى حزم :

ـ دعه ينصرف ، ولا تحاول اعتراض طريقه قط .

كان (إفرام) يسمع كل حرف ، نطق به صاحب المتجر ، إلا أنه لم يلتفت إليه ، أو يبال حتى بما يسمعه ، فقد انشغل كثيرًا فى فحص الخرائط القديمة ، بحثًا عن ذلك المرصد ، الذى تحدثت عنه (مشيرة) ، فى (أنباء الفيديو) ، والذى لم يعد له وجود على الخرائط الحديثة ..

كل شىء كان يبدو له منطقيًا تمامًا .

الفريق أدرك أنه مستهدف ، بعد محاولة الاعتداء على (نور) ، فى المستشفى المركزى ، فلجأ إلى مقر مجهول فى الصحراء ، كشفه فضول صحفى ، ومن الطبيعى أن يتم نقل قائد الفريق ، إلى ما يبدو للجميع وكأنه أكثر الأماكن أمنًا فى العالم ..

وكذلك الرئيس ..

عاوده ذلك الشعور المخيف بالغضب والثورة ، عندما تذكَّر أمر الرئيس ، ورغبته فى الانتقام منه ، والثأر لوالده الراحل ، وسرت فى عروقه موجة حارة من السخط ، جعلته يطلق زمجرة مكتومة ، وهو يطالع إحدى الخرائط القديمة ، ويقارنها بواحدة حديثة ..

ومع زمجرته ، هوى قلب صاحب المتجر عند قدميه ، وارتبك بشدة ، فلم يجد أمامه سوى أن يقول :

ـ هل .. هل راق لك الجهاز ؟!

استدار (إفرام) فى حركة حادة ، ليرمقه بنظرة صارمة ، تراجع معها الرجل فى عنف ، كما لو أن النظرة قد أصابته بصدمة عنيفة فى صدره ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدِّق فى وجهه ، فى حين قال النووى بصوت صارم مخيف ، خيل للرجل أنه قادم من أعمق أعماق القبور :

ـ اهتم بشئونك يا رجل .

ثم عاد يواصل عمله على الكمبيوتر ، مضيفًا :

ـ وانتظر قدوم رجال الشرطة ؟

انفجر قلب الرجل داخل صدره ، مع العبارة الأخيرة ،

وشحب وجهه فى شدة ، حتى بدا أشبه بالموتى ، وارتجف جسده كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وتمتم دون قصد منه :

ـ بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع ..

قالها ، دون أن يعنى شيئًا ، وقد راعه أن يبدى الشاب معرفته بما فعله ، ولا مبالاته به ، ثم راح يتسلَّل فى حذر ، إلى خارج المتجر ، فى حين تجاهله (إفرام) تمامًا ، وأخذ يواصل عمله على الكمبيوتر ، بحثًا عما جاء من أجله ..

لقد حدَّد موقع المرصد القديم ، الذى يجتمع فيه الفريق بالفعل ..

ولكن هذا لم يكن يكفيه ..

إنه بحاجة إلى دراسة أمور أخرى ..

وعديدة ..

خطوط الكهرباء ، التى تغذى المكان ..

الحالة المناخية والجيولوجية للمنطقة ..

موقع النقاط العسكرية والأمنية القريبة ..

وغيرها ..

وغيرها ..

وبينما انهمك فى دراساته ، اقتربت دورية الشرطة من المكان فى هدوء ، وقال قائدها لزملائه الأربعة فى حذر :

ـ لا تحاولوا استفزازه .. سنكتفى بمراقبته وتحديد مساره فحسب ، طبقًا للأوامر .. لا تنسوا أنه بالغ الخطورة إلى أقصى حد .. لا إطلاق للنار .. أو احتكاك مباشر .. هل تفهمون ؟!

أومأ الأربعة متفهمين ، فغمغم ، وهو يقود السيارة إلى منطقة محجوبة عن المتجر :

ـ عظيم .

كان يدور حول المدخل الرئيسى للمتجر ، فى حذر وسرعة ، و ...

وفجأة ظهر صاحب المتجر ، الذى لم يكد يلمح السيارة ، حتى اندفع نحوها ، ملوحًا بذراعيه ، وهاتفًا فى ذعر :

ـ أسرعوا .. إنه هنا .. أسرعوا ..

بلغ هتافه مسامع النووى ، فالتفت إلى المدخل فى حركة حادة ، ثم عاد إلى الكمبيوتر ، وراجع آخر ما يريد من معلومات ، وهو يقول لنفسه :

ـ لا بأس .. لن يضير قليل من النشاط .

قالها ، وغادر المتجر فى هدوء ، وسيارة الشرطة تسعى للاختفاء ، و ...

وانطلقت من النووى كرة نارية ..

وصاح قائد سيارة الشرطة ، وهو ينحرف بها بأقصى سرعة :

ـ رباه ! إنه هو ..

كان يقود السيارة فى براعة مدهشة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أصابت كرة النار مؤخرة السيارة ، فى أثناء دورانها ، وانفجرت فيها فى عنف ، فارتفع نصفها السفلى ، ووثب فى الهواء ، ثم عادت تسقط أرضًا فى عنف ..

وقبل حتى أن تنقلب على جانبها ، أصابتها كرة النار الثانية ..

وكان الانفجار أكثر عنفًا ..

وسادت موجة من الذعر فى المنطقة ، وراح الجميع يعدون فى كل مكان ، فرارًا من ذلك القاتل الرهيب ، الذى وقف يتطلع فى هدوء إلى النيران التى اشتعلت فى سيارة الشرطة ، وإلى أحد رجال

الشرطة ، الذى انطلق يعدو ، والنيران تلتهم ثيابه وجسده ، مطلقًا صرخات ألم مخيفة ، وكأنه يشاهد عرضًا هزليًا مرحًا ، لإحدى الفرق الجديدة ..

ثم استدار عائدًا إلى المتجر ، الذى خلا من كل رواده ، وانتزع جهاز الكمبيوتر من مكانه فى عنف ، وألقاه أرضًا ، ثم جذب مصدر الكهرباء المتصل به ، وحطَّمه بضربة واحدة ، قبل أن يدفع قبضته وسط الأسلاك العارية ..

وتذبذبت الأضواء فى الماكن بشدة ..

وفى (القاهرة) كلها ..

أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة من الكهرباء ، وعيناه تبرقان فى نشوة عجيبة ..

نشوة قاتل سفاح ، يستعد لارتكاب مذبحة جديدة .. وعنيفة ..

وعندما شعر بالقوة تسرى فى عروقه ، انتزع قبضته من وسط الأسلاك ، وأدار عينيه فى المكان ، ثم غادره فى خطوات واسعة قوية ، وما إن أصبح خارجه ، حتى استدار يطلق نحوه كرة نارية جديدة ، فصرخ صاحبه من بعيد :

أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة من الكهرباء ، وعيناه تبرقان فى نشوة عجيبة

ـ لا .. ليس المتجر ..

ومع صرخته ، انفجر المكان كله ، واتسعت عيناه فى ذهول وارتياع ، وهو يحدّق فى النيران ، التى راحت تلتهم متجره فى شراهة مخيفة ، وضوؤها يتراقص على جسد الشيطان النووى ، وهو يبتعد ، ويتلاشى فى بطء ، متجهًا نحو المرصد القديم ..

نحو ساحة المعركة الجديدة .

والأخيرة ..

* * *

تطلّعت (سلوى) فى قلق ، عبْر نافذة الحجرة ، إلى الرمال التى تزايدت سرعتها على نحو ملحوظ ، يوحى بأن تلك الرياح لن تلبث أن تتحوّل إلى عاصفة محدودة ، يصعب معها رصد الأصوات المحيطة بالمكان ، وتحديد موقع ذلك النووى عند وصوله ..

وبكلمات واضحة ، نقلت (سلوى) قلقها إلى لسانها ، قائلة :

ـ أعتقد أن هذا يفسد خطتنا إلى حد ما .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ويعنى أن ذلك الوغد سينجح فى مباغتتنا ، وقتما يشاء .

هزّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ ليس بالضرورة يا (أكرم) .. يمكننى رصد إيقاع الرياح المنتظم ، واستخلاص وقع قدمى ذلك الشاب من بينها ، عندما يقترب من هنا .

قال (طارق) فى هدوء ، وهو يتابع أبحاثه :

ـ إنه لن يأتى سائرًا على قدميه بالتأكيد .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا ! لماذا يدهشنى دائمًا أن يستقل ذلك الوغد أية وسيلة مواصلات معروفة ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ هذا أمر طبيعى ، فكلنا نعلم أنه يمتلك قدرات خارقة ، ونتصوّر فى بعض الأحيان أنه لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أى شخص عادى .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ السؤال الآن إذن ، هو : أية وسيلة مواصلات سيستقلها للوصول إلى هنا ؟!

بدا القلق على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

ـ هذا يحتاج إلى دراسة جديدة .. وسريعة .

زفر (أكرم) فى حدة ، وهو يقول :

- اللعنة ! لماذا يصرّ ذلك الوغد دائمًا ، على إثارة كل توترنا طوال الوقت ؟!

لم يجبه أحد عن سؤاله ، فتابع فى حنق :

- متى ينتهى هذا الكابوس ؟!

أجابه (طارق) فى هدوء :

- قريبًا يا رجل .. قريبًا للغاية .

أطلق (أكرم) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

- يسعدنى تفاؤلك هذا يا صديقى ، ولكن الواقع أن ...

قاطعه (طارق) بهدوئه المستفز :

- ليس تفاؤلا يارجل .. إنه قول علمى بحت .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

عدّل (طارق) وضع منظاره الطبى فوق أنفه ، قبل أن يشير إلى شاشته قائلاً :

- ذلك النووى أخفى ومحا العديد من النتائج ، من الكمبيوتر الخاص به ، ولهذا لم يمكننا نقلها إلينا ، ولكننى فى طريقى للتوصل إليها الآن ، والنتائج الأوّلية كلها تشير إلى أن خلاياه قد عادت إلى التدهور

بسرعة كبيرة ، بعد أن كانت قد بدأت عملية التكيّف مع شحنها بالطاقة النووية ، ويبدو أن إعادة شحنها كهربيًا قد أعاد إليها نشاطها السابق ، فراحت تعدو كالصاروخ نحو نهايتها .

سأله (نور) فى اهتمام بالغ :

- وكيف ستأتى هذه النهاية فى رأيك ؟!

وأضافت (نشوى) فى قلق :

- ومتى ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يطالع النتائج الأوّلية على الشاشة ، ثم تبادل نظرة مع الدكتور (حجازى) ، قبل أن يقول :

- إننا نبذل قصارى جهدنا ، للتوصّل إلى ما ستكون عليه النهاية ، ولكننا استطعنا تحديد موعدها تقريبًا .

والتفت يدير عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

- إنها ستأتى فى غضون الساعتين القادمتين على الأكثر .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

- رباه ! أتعنى أن ذلك الكابوس سينزاح ، خلال ساعتين فحسب ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- لو أنك راجعت ضربات ذلك العدو الخارق ، لأدركت أنه يستطيع أن يفعل الكثير .. والكثير جدًّا خلال هاتين الساعتين .

وغمغمت (نشوى) :

- لقد استغرقت عملية الهجوم على مقر الرئاسة ثمانى دقائق فحسب .

عاد حاجبا (أكرم) يلتقيان فى شدة ، وهو يغمغم :

- أكان من المحتم أن تخبرينى ؟!

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

- كان من الضرورى أن تعلم .. أليس كذلك ؟!

هزّ كتفيه ، ومطّ شفتيه فى حنق ، مغمغمًا :

- وما الفائدة ؟!

فجرت عبارته الأخيرة قلقهم جميعًا ، فتبادلوا نظرة متوترة ، قبل أن يتشاغل كل منهم فى عمله ، وكأنما يحاول محو الفكرة من ذهنه ، وإن بقى فى عقلهم سؤال محدود ، لم يمكنهم انتزاعه منه قط ..

أية وسيلة سيتخذها ذلك النووى ، للوصول إليهم ؟!

وعلى الرغم من حيرتهم وقلقهم ، انهمك كل منهم فى عمله ، فراحت (سلوى) تعد برنامج رصد الأصوات ، بالتعاون مع ابنتها (نشوى) ، وواصل (طارق) والدكتور (حجازى) دراستهما لتحديد مصير النووى ، فى حين راجع (نور) و (أكرم) و (رمزى) استعدادات الدفاع ، ومواقع الدبابات والطائرات ، التى ستهاجم ذلك العدو ، فور وصوله إليهم ، و ..

وفجأة ، هتف الدكتور (حجازى) :

- يا إلهى ! مستحيل !

جاء هتافه فى لحظة انهمك فيها الجميع ، واخترق صمتًا خيم على المكان لبعض الوقت ، فاعتدل كل منهم ، والتفتوا إليه فى تساؤل ، جعله يواصل فى انفعال ، وهو يشير إلى شاشة جهاز (طارق) الجديد :

- إنها كارثة .. مصيبة .. كيف لم ننتبه إليها ؟!

سأله (نور) فى قلق :

ـ ماذا هناك يا دكتور (حجازى) ؟!

أشار الرجل مرة أخرى إلى الشاشة ، ولكن الانفعال غلبه ، فلم يستطع التفوّه بحرف واحد ، فى حين قال (طارق) فى توتر ملحوظ :

ـ تمامًا مثل (سندريلا)(*) ... ستبدأ مرحلة النهاية لذلك النووى ، فى تمام منتصف الليل ، أى بعد أقل من ساعة واحدة ، وليس فى غضون ساعتين كما كنا نتصوّر .. ولو أردتم الدقة فستأتى بداية النهاية بعد واحد وخمسين دقيقة بالتحديد ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ قل لى يا هذا .. لماذا تتحدث عن بداية النهاية ، وليس عن النهاية بشكل واضح محدود ؟!

أجابه (طارق) بسرعة :

(*) سندريلا : قصة فى الأدب الشعبى الأوروبى ، عن فتاة طيبة بسيطة ، تموت أمها ، ويتزوج أبوها من امرأة قاسية ، لديها ابنتان أخريان ، وتعامل الزوجة الجديدة (سندريلا) فى قسوة ، وتمنعها من حضور حفل الأمير ، ولكن الجنية الطيبة تجعل (سندريلا) أجمل فتيات الحفل ، بشرط أن تغادره قبل منتصف الليل ، وعندما تهرب (سندريلا) ، تترك حذاءها خلفها ، وبوساطته ، يتوصّل إليها الأمير ، ويتزوّجها .

ـ لأن النهاية لن تأتى مباشرة يا (أكرم) ، ولكن فى منتصف الليل تقريبًا ، سيكون خصمنا قد استنفد معظم المادة النووية التى شحن بها خلاياه منذ البداية ، وهذا يعنى أن المادة المشعة فى أعماقها ، ستنخفض فى حجمها وكتلتها(*) ، لتبلغ ما نطلق عليه (الكتلة الحرجة) ، وعند هذه المرحلة ، يكون جسده قادرًا على الانفجار .

وانعقد حاجباه فى حزم ، مستطردًا :

ـ نوويًا .

هوى حديثه على رءوسهم كالصاعقة ، فاتسعت عيونهم فى ارتياع ، وقال (أكرم) فى صوت يحوى توتر الدنيا كلها :

ـ أتعنى أن ذلك الوغد سيتحوّل إلى قنبلة ؟

وافقه (طارق) بإيماءة من رأسه قائلًا :

ـ وقنبلة نووية أيضًا .

هتفت (سلوى) ، وقلبها يخفق فى عنف :

(*) الحجم هو مقدار ما تشغله المادة من فراغ ، والكتلة هى مقدار ما يحتويه الجسم من مادة ، أما الوزن ، فهو قوة جذب الأرض للجسم .

- يا إلهى ! يا إلهى !

وشحب وجه (نشوى) فى شدة ، وهى تنكمش فى مقعدها ، فاحتواها زوجها (رمزى) بين ذراعيه فى رفق ، محاولاً تهدئتها ، فى حين قال (نور) فى توتر :

- ولكن الانفجار النووى لا يحتاج إلى كتلة حرجة فحسب .. لابد من وجود مفجّر ، ووسيلة لقذف تلك الكتلة الحرجة بالإليكترونيات لبدء الانشطار المتسلسل اللازم لحدوث الانفجار(*) .

أجابه (طارق) :

- هذا صحيح بالنسبة لقنبلة من المعدن أيها القائد (نور) ، ولكنك أمام ظاهرة جديدة .. قنبلة نووية بشرية حية ، تموج خلاياها بالنشاط والحركة والحيوية ، وتتفاعل طوال الوقت مع العديد من سوائل الجسم وإنزيماته وهرموناته ، على نحو يمنحها طبيعة خاصة ، بحيث لن تحتاج إلى المفجّر ، أو الانبعاث الإليكترونى ، إذ إنها تعمل على تنشيط نفسها بنفسها طوال الوقت ، وكل ما تحتاج إليه هو بلوغ الكتلة الحرجة ، لتصبح قابلة للانفجار .

(*) حقيقة .

ثم تنهّد ، مستطردًا فى أسى :

- وهذا ما توصّلنا إليه .. الدكتور (حجازى) وأنا للأسف .

مرة أخرى ، ران على المكان صمت رهيب ، وخيم الوجوم على الجميع ، قبل أن ينفض (نور) عن نفسه هذه المشاعر ، ويقول فى حسم :

- وكم ستبلغ قوة ذلك الانفجار النووى ؟!

هزّ (طارق) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- أكثر مما ينبغى .

سأله (نور) فى صرامة :

- كم ستبلغ قوته بالتحديد ؟!

تنهّد مجيبًا :

- ما يكفى لابتلاع (القاهرة) الجديدة بأكملها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يبذل قصارى جهده ، فى محاولة لاستيعاب الموقف ...

كان ما توصّل إليه (طارق) والدكتور (حجازى) ، يعنى أن كل ما تم التخطيط له لم يعد ذا فائدة ..

كل شىء فشل ..

لم يعد من الممكن مواجهة ذلك النووى قط ..

لم يعد من الممكن حتى أن ...

قبل أن تكتمل أفكاره ، اعترضتها (سلوى) فجأة ، هاتفة :

ـ طائرة تقترب .

هبَّ الجميع من مقاعدهم فى آن واحد ، وهتف (طارق) :

ـ طائرة ؟!

عقد (أكرم) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ يا للوغد !

وسألها (نور) فى توتر :

ـ أى نوع من الطائرات ؟!

أجابته فى انفعال ، وهى تتابع البيانات على جهازها :

ـ طائرة تدريب عادية .. إنها تقترب من الجانب الشرقى .

لم تكد تكمل قولها ، حتى ميَّز الجميع أزيز الطائرة ، التى تقترب ، وتتجاوز المرصد فى سرعة ، فهتف (أكرم) :

ـ لقد تجاوزتنا .

أشار (طارق) بسرعة إلى شاشة رادار عادى قائلاً :

ـ شخص ما قفز منها .

تعلّقت عيون الجميع بشاشة الرادار ، التى بدت عليها نقطة صغيرة خضراء ، تنفصل عن الطائرة ، وتهبط وحدها فى بطء ملحوظ ، جعل (أكرم) يغمغم :

ـ الوغد يستخدم مظلة .

تمتم (نور) :

ـ هذا أمر طبيعى .

كان من الواضح أنه قد تخلّى عن الطائرة ، التى بدا سقوطها واضحًا على الشاشة ، ثم لم يلبث دوى انفجارها المكتوم من بعيد ، أن بلغ مسامع الجميع ، فى حين هبطت النقطة الخضراء على مسافة قريبة من المرصد ، فهتفت (نشوى) :

ـ ماذا ننتظر ؟! فلنطلق عليه الدبابات والطائرات .

أجابها (نور) فى توتر أكثر :

ـ مهلاً يا ابنتى .. دعينا نعلم ما نفعله أولاً ، قبل أن .

اختفت النقطة الخضراء فجأة عن الشاشة ، فهتفت (سلوى) :

ـ لقد أحاط نفسه بغلاف الإخفاء ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، مع الأزيز الذى تصاعد من

جهاز رصد الأصوات ، فالتفت إليه فى انفعال ، واتسعت عيناها فى ذعر ، هاتفة :

ـ رباه ! إنه لم يختف .

سألها (أكرم) فى عصبية ، وهو يستل مسدسه :

ـ ماذا تعنين ؟!

أشارت بيدها إلى الأرض فى ارتياع ، هاتفة :

ـ نفق الصرف الأرضى .. إنه يعدو نحونا ، عبر نفق صرف تحت الأرض .

شحب وجه (نشوى) ، وهى تقول :

ـ تحت الأرض .

ولم تكد تتم عبارتها حتى دوى انفجار عنيف داخل المرصد ..

انفجار يشير إلى أن النووى قد بدأ هجومه ..

داخل المكان مباشرة ..

* * *

٨ ـ العاصفة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الحادية عشرة والثلث مساءً ..

لثانية واحدة ، تجمَّدت مشاعر الجميع ، وهم يحدقون فى الممر ، الذى حمل إليهم دوى الانفجار ، من الجانب الآخر للمرصد ، ثم غمغم (أكرم) فى عصبية شديدة :

ـ الوغد هنا .

انطلقت عبارته ، وكأنما تحطِّم حالة الجمود والهلع ، التى أصابت الجميع فشهقت (سلوى) ، واتسعت عينا (نشوى) ، وتراجع الدكتور (حجازى) فى عصبية ، فى حين تلفَّت (نور) و(أكرم) حولهما ، بحثًا عن مخرج أو مهرب ، و ...

وفجأة ، اختطف (طارق) جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به ، وهو يندفع نحو الجدار الجنوبى للحجرة ، هاتفًا :

ـ أسرعوا .

سألته (سلوى) مذعورة :

ـ إلى أين ؟!

خيّل إليهم أنه يندفع نحو الجدار مباشرة ، وكأنما لم يعد يدرى إلى أين يتجه ، إلا أنه توقّف فجأة عند ركنه ، ودفع جزءًا منه ، فدار الجدار حول مركزه ، كاشفًا فجوة كبيرة ، تقود إلى سلم من الرخام ، يهبط إلى مكان ما بأسفل ..

وفى ذهول ، حدّق الجميع فى تلك الفجوة ، ولكن (طارق) هتف فى صرامة :

ـ أسرعوا .

اشترك هتافه المكتوم ، مع وقع قدمى النووى ، وهو يعبر الممر ، فى طريقه إليهم ، فاندفعوا جميعًا لعبور الفجوة والهبوط فى درجات السلم الرخامى ، و(نور) يسأل (طارق) فى توتر :

ـ إنه أحد المخابئ السرية القديمة .. أليس كذلك ؟!

أجابه (طارق) فى اقتضاب :

ـ بلى .

لم يكن هناك وقت للمناقشة والمحاورة ، لذا فقد هبط الجميع إلى المخبأ المظلم ، وتبعهم (طارق) ، الذى ضغط حجرًا فى الداخل ، فعاد الجدار يدور حول

مركزه ، فى الاتجاه العكسى ، ليغلق المخبأ خلفهم ، فى نفس اللحظة التى برز فيها النووى داخل حجرتهم ، وانعقد حاجباه فى غضب شديد ، عندما وجد الحجرة خالية أمامه ، وأطلق صرخة قوية ، صائحًا :

ـ لن يمكنكم الفرار أبدًا .

ثم أطلق كرة نارية ، نحو الجدار المواجه له مباشرة ، فانفجرت فيه فى عنف ، وأطاحت به على نحو مخيف ، إلى الحجرة المجاورة ، التى اتجه إليها النووى ، وهو يصرخ :

ـ أين أنتم ؟!

تلفّت حوله داخل الحجرة الأخرى ، وتضاعف غضبه وجنونه ، عندما وجدها خالية بدورها ، فعاد يطلق صرخة غاضبة ، مع صاعقة محدودة ، نسفت جدار الحجرة ، وألقته على رمال الصحراء خارج المرصد .

ومع سقوط الجدار ، اندفعت الرياح والرمال إلى المكان ، على نحو مخيف ، وبرقت عينا (إفرام) فى ثورة وعصبية ، وراح يديرهما فى المكان ، قبل أن يندفع عائدًا إلى الحجرة الأولى ، وكل عرق فى جسده ينبض بغضب لا حدود له ..

فى البداية ، تصوّر أن وصوله إلى المكان كان جزءًا من خدعة كبيرة ..

خطة لإحضاره إلى المكان ، ثم نسفه عن آخره ..

ولم يكن هذا ليقلقه كثيرًا ..

إنه يعلم أن غلافه الواقى قادر على التصدّى لأقوى وأعتى الانفجارات المعروفة ..

ولكن هذا الأمر لم يكن منطقيًا ..

هاهى ذى أجهزة الكمبيوتر ورصد الأصوات فى موضعها ..

وكلها تعمل ..

ولم تنطفئ شاشاتها ، أو تبدأ برامج حمايتها بعد(*) ..

وهذا يعنى أن مستخدميها كانوا هنا منذ قليل ..

قليل جدًا ..

أين ذهبوا إذن ؟!

(*) فى كل أجهزة الكمبيوتر ـ تقريبًا ـ توجد برامج لحماية الشاشة ، وتوفير طاقتها ، وهذه البرامج تبدأ عملها آليًا وتلقائيًا ، إذا ما تركت الأجهزة مفتوحة لفترة طويلة ، وبعض أجهزة الكمبيوتر تغلق نفسها ، إذا ما توقف التعامل معها لفترة محدودة ، يتم ضبطها مقدمًا .

أين ؟!

أين ؟!

انطلقت ثورة الغضب مرة أخرى فى أعماقه ، فلوّح بقبضته ، صارخًا :

ـ إنكم فى مكان ما هنا .. أنا واثق من هذا .. ولن يمكنكم الفرار منى ، مهما فعلتم ..

سأعثر عليكم ، حتى ولو اضطررت لهدم هذا المرصد حجرًا حجرًا .. هل تفهمون ؟! سأعثر عليكم حتمًا ..

راح يدور حول نفسه ، بحثًا عن المخرج ، الذى غادروا عبره الحجرة ، وتضاعف غضبه وجنونه مرات ومرات ، وعقله يدور بأقصى طاقته فى جمجمته ، بحثًا عن تفسير منطقى لاختفائهم ..

كانت النوافذ كلها مغلقة من الداخل بإحكام ، والمخرج الوحيد للحجرة ، هو عبْر الممر ، الذى أتى منه ..

إذن فقد ذهبوا قبل حضوره حتمًا ..

التقطوا صوت مروره فى نفق الصرف ، أو حتى أزيز الطائرة ، التى أتى بها ، ففروا قبل وصوله إليهم ..

ولكنهم لم يغادروا المرصد ..

إنه لم يسمع صوت انطلاق أية وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة ..

لا سيارات ، أو طائرات ، أو حتى زحافات رملية ..

إنهم هنا إذن ..

داخل المكان ..

وسيعمل على ألا يفلتوا منه أبدًا ..

حتى ولو نفذ ما توعّد به ، ونسف كل جدار فى المكان ، حتى يتحولّ إلى كومة من الأنقاض ..

لقد أقسم أن ينتقم ، من كل من تسبب فى موت أبيه ..

ولن يحنث بقسمه هذا ..

أبدًا ..

وبكل غضبه وثورته ، صرخ :

ـ لن تفلتوا .

صرخ بها ، وهو يطلق صاعقة أخرى ، وينسف جدارًا آخر ، لينطلق بحثًا عنهم ..

وداخل المخبأ المظلم ، غمغمت (سلوى) فى رعب :

ـ لقد أصبحنا سجناء هنا .. هل سمعتم الانفجارات ؟!

غضبه سيدفعه لهدم الجدران ، واحدًا بعد الآخر ، حتى يأتى دور الجدار ، الذى يخفى هذا المخبأ ، وتكون نهايتنا ..

قال (نور) فى حزم :

ـ لا يمكننا الانتظار ، حتى يبلغ ذلك الحد ..

قالت (نشوى) مذعورة :

ـ وماذا تقترح يا أبى ؟! هل نخرج لنقاتله ؟!

أجابها فى حزم :

ـ لا يمكننا أن نفعل هذا ، ولكن ..

صمت لحظة ، خُيّل للجميع خلالها أن ظلمة المكان قد تضاعفت ، قبل أن يغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ ولكن ماذا يا (نور) ؟!

لم يجب (نور) سؤال الدكتور (حجازى) ، وإنما سأل (طارق) فى اهتمام :

ـ قل لى يا (طارق) .. هل يحوى مدخل المخبأ أية مواد معدنية ، أو خرسانية ثقيلة ؟!

أجابه (طارق) بسرعة ، وهو يتساءل عن سبب السؤال :

- كلاً أيها القائد .. إنه مجرد جدار عادى ، يدور حول محور مركزى ، فوق قاعدة من الصلب .

قال (نور) فى اهتمام :

- عظيم .. وهل يحوى جهاز الكمبيوتر المتنقل ، الخاص بك ، وسيطًا هاتفيًا لا سلكيًا ؟!(*) .

أجابه (طارق) فى حماس ، وكأنما بدأ يستوعب ما يهدف إليه (نور) :

- بالتأكيد .

سأل (أكرم) فى عصبية :

- ألديك خطة جديدة يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- بل مجرد تطوير للخطة القديمة يا صديقى .. سنستخدم الوسيط الهاتفى اللاسلكى لكمبيوتر (طارق) ، لنتصل بأجهزة التحكم عن بعد ، فى الكمبيوتر الرئيسى ، وندفع الدبابات والطائرات للهجوم .. كل ما فى الأمر هو أننا سنهاجم بها المرصد هذه المرة ، وسنجبر ذلك السفاح على الاشتباك معها بمنتهى العنف ..

(*) بعض أجهزة كمبيوتر المفكرة المتنقل (Note Books) ، تحوى وسيطًا هاتفيًا (مودم) لاسلكيًا ، يمكن بوساطته إجراء اتصالات هاتفية ، أو نقل المستندات والمعلومات والوسائط عبر الأثير ، تمامًا مثل الوسائط الهاتفية السلكية ..

فتح (طارق) جهاز الكمبيوتر المتنقل على الفور ، فتألقت شاشته بضوء هادئ ، بدد الظلمة الكئيبة للمكان ، وهو يقول :

- أتعشم ألا يكون قد نسف الكمبيوتر الرئيسى .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- فلندع الله (سبحانه وتعالى) ، ألا يكون قد فعل .

تعلقت عيونهم جميعًا بأصابع (طارق) ، وهى تجرى على أزرار الكمبيوتر ، فى سرعة وحماس ، قبل أن يهتف :

- الأجهزة تعمل بكفاءة ، ونحن على اتصال بها الآن .

قال (نور) لابنته (نشوى) :

- فلنبدأ المعركة إذن ..

التقطت (نشوى) الكمبيوتر المتنقل من (طارق) ، وهى تقول :

- سمعًا وطاعة .

كانت شاشة الكمبيوتر تحمل مشهدًا ، أشبه بألعاب الفيديو التقليدية ، وتبدو عليها مواضع الدبابات والطائرات ، التى يتم التحكم فيها آليًا ، ولقد بدأت

(نشوى) عملها ، وهى تقنع نفسها بأنها مجرد لعبة أخرى ثلاثية الأبعاد ، من ألعاب الفيديو ، و ...

وتلقت الدبابات والطائرات إشارة البدء ..

وتحركت ..

وفى نفس اللحظة ، التى اتجهت فيها نحو المرصد ، كان غضب (إفرام) قد بلغ ذروته ، وهو ينسف الجانب الغربى كله من المرصد ، ويصرخ :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا بعيدًا .. إنهم هنا .. جميعهم هنا ، فى مكان ما .. فريق المخابرات العلمية ، والرئيس ، وطاقم حراسته .. كلهم هنا حتمًا .

ومع نهاية صرخته ، أطلق كرة نارية أخرى ، داخل مكتبة المرصد القديمة ..

ودوى انفجار جديد ..

وانهار جدار آخر ..

واحترقت الأرفف الخشبية ، وتطايرت منها أوراق وخرائط مشتعلة ، و ...

وتوقف بصر (إفرام) بغتة ، عند رسم هندسى كبير ، ملصق على جدار المكتبة ، خلف الأرفف المشتعلة ..

رسم يوضح حجرات المرصد القديم ، وقاعته ..

والمخبأ السرى فيه ..

وبرقت عينا النووى فى شدة ..

وأضاءت المكان كله ..

الآن فقط أدرك أين هم ؟!

أين اختبأ الجميع ؟!

وانتفض جسده كله فى نشوة ، وهو يطلق ضحكة عالية مجنونة ، ويهتف :

ـ قلت لكم : إننى سأعثر عليكم .. قلتها وفعلتها .

وقهقه مرة أخرى ضاحكًا فى جنون ، قبل أن يتحرك فى سرعة ، عائدًا إلى الحجرة ، التى تحوى ذلك المخبأ .

ولكن فجأة بدأ الهجوم ..

انقضت المقاتلات والدبابات على المرصد القديم ، والتقطت صورة النووى المسجلة فى أجهزة الكمبيوتر داخلها ، فوجهت نحوه قذائفها ..

ودوت عشرات الانفجارات ..

صواريخ المقاتلات ، وقذائف الدبابات ، انفجرت كلها على الدرع الواقى للنووى الذى التفت إليها ، وأطلق صرخة غاضبة :

- لن يمكنكم منعى من إكمال انتقامى قط .. لن يمكنكم أبدًا ..

وانطلقت كراته النارية تنسف الدبابات ، وتسحق المقاتلات ، فى غضب جنونى مخيف ..

وفى المخبأ السرى ، كانت آلات التحكم عن بعد تستقبل المشاهد نفسها ، التى تسجلها آلات التصوير ، والفريق يشاهد ما يحدث ، فهتف الدكتور (حجازى) :

- رباه ! إنه يقاتل فى شراسة مخيفة .. ذلك الجيش الصغير لن يصمد أمامه لأكثر من دقائق خمس .

قال (نور) فى حزم :

- ولكن القتال سيستنزف معظم طاقته .

ثم التفت إلى (طارق) ، على الضوء الخافت ، المنبعث من الكمبيوتر المتنقل ، مستطردًا :

- افتح المخبأ .

توترت (نشوى) ، وهى تقول :

- هل .. هل سنخرج ؟!

أجابها فى حزم ، و (طارق) يسرع بفتح المخبأ :

- لابد أن نرسل الإشارة المتفق عليها إلى (القاهرة) ..

دار جدار المخبأ حول نفسه ، وبدا ضوء الحجرة من خلفه ، فاندفع (نور) إليها ، وضغط أزرار جهاز البث فى سرعة ، ودوى الانفجارات يبلغ مسامعه .

وانطلقت الإشارة من جهاز البث ..

وبلغت (القاهرة) ، فى اللحظة نفسها تقريبًا ..

وعندما حدث هذا ، كان النووى ينسف آخر مقاتلة حربية ، ثم يستدير لمواجهة ثلاث دبابات قوية ، تبقت أمامه ..

كان يدرك جيدًا أن هذا القتال العنيف يستنزف الطاقة المختزنة فى خلاياه ..

ولكن هذا لم يكن يقلقه كثيرًا ..

لقد حدد مسبقًا خطوط الكابلات الكهربية ، التى تمد المرصد القديم بالطاقة ، وسيستخدمها ليشحن جسده وخلاياه مرة أخرى ..

وأخيرة ..

نعم .. كان يدرك جيدًا أنها ستصبح آخر مرة يشحن فيها نفسه بالطاقة ..

وآخر مرة يحصل فيها على القوة الخارقة ..

آخر ما قام به من فحوص ، أبلغه أن الوسيلة التى

استخدمها ، لشحن خلاياه بالطاقة الكهربية ، جعلت ساعاته فى الدنيا محدودة عن ذى قبل ..

ولكنها أكثر فاعلية ..

وعليه أن يحسن استغلالها خير استغلال ..

قبل أن تحين اللحظة الأخيرة ..

ويتحوّل جسده إلى قنبلة ..

وينتهى كل شىء ..

ومن هذا المنطلق ، أطلق صاعقة قوية ، لينسف إحدى الدبابات الثلاث ، و ...

وفجأة ، انقطع التيار الكهربى ..

انقطع فى (القاهرة) الجديدة كلها ..

وما حولها ..

إلى المرصد ..

واتسعت عينا النووى فى غضب وثورة ..

وصرخ :

ـ لا .. لا يمكنهم أن يفعلوا هذا .

ومع صرخته ، أطلق كرة نارية ، انفجرت فى صدر الدبابة الثانية ..

ثم استدار ليواجه الدبابة الأخيرة ..

الآن فقط فهم لماذا استدرجوه إلى هنا ..

ولماذا دفعوه لقتال كل هذه الدبابات والطائرات ..

الآن فقط أدرك ما فعلوه به ..

لقد استنفدوا طاقته ، فى قتال جانبى عنيف ..

ثم استعدوا لقتله بعدها ..

ولكن لا ..

لن تفلح خطتهم أبدًا ..

إنه يعلم أن نهايته ستأتى بعد أقل من ساعة ..

بل من نصف الساعة ..

وهذا يعنى أنه لم يعد لديه ما يخسره ..

سيقاتل حتى آخر رمق ..

وحتى آخر نفس يتردّد فى صدره ..

وبكل غضبه وثورته ، أطلق صاعقة نحو الدبابة الأخيرة ، فسحقها سحقًا ، ثم استدار ، وكيانه كله يشتعل ، ليبدأ معركته الأخيرة ..

المعركة الفاصلة ..

الحاسمة ..

ولكن لم يكن يعلم أن (نور) وفريقه قد استغلّوا لحظات قتاله مع ذلك الجيش الصغير ، الموجّه عن بعد ، ليرتدوا أزياءهم الواقية (م ف ـ ١٨) ، استعدادًا للمواجهة الحاسمة ..

وبكل غضبه وثورته ، أطلق صاعقة نحو الدبابة الأخيرة ، فسحقها سحقًا ، ثم استدار ، وكيانه كله يشتعل ، ليبدأ معركته الأخيرة

وعندما بلغ النووى تلك الحجرة ، التى تضمّ أدوات الفريق ، كان فى مواجهته أربعة أشخاص ، فى دروعهم الواقية ، وكل منهم يحمل مدفعًا ليزريًا شديد التدمير ..

(نور) ، و (أكرم) ، و (رمزى) ، و (طارق) ..

وفى نفس اللحظة ، التى خطا فيها داخل الحجرة ، هتف (نور) :

ـ الآن ..

وانطلقت المدافع الليزرية الأربعة فى آن واحد ..

وأصابت كلها الهدف فى آن واحد ..

وعلى الرغم من قوة الانفجار ، الذى نشأ من التقاء حزم الأشعة الأربعة ، عند جسد النووى ، والذى ارتجّ له المكان كله ..

وعلى الرغم من أن الضربة أصابت جسده كألف ألف صاعقة ..

إلا أنها لم تقتله .

فقط انتزعته من مكانه ، ودفعته مترًا واحدًا إلى الخلف ، ليسقط على ظهره فى عنف ..

ولكن سقوطه لم يستغرق ثانية واحدة ..

لقد وثب واقفًا على قدميه فى سرعة مدهشة ، وأطلق صرخة جبارة ، كاد قلب (سلوى) يتوقف بسبب قوتها وعنفها ، على الرغم من وجودها داخل المخبأ ..

ثم ضمَّ قبضته معًا ، وصرخ :

ـ اذهبوا إلى الجحيم ..

وبفرقعة قوية عنيفة ، انطلقت من بين قبضتيه صاعقة زرقاء هائلة ، أضاءت المنطقة كلها تقريبًا ، وهى تنطلق نحو الرفاق الأربعة ..

كانت كل الدراسات ، التى أجريت على الزى الواقى (م ف ـ ١٨) ، تؤكد أنه قادر على احتمال قذيفة موجهة ، من قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ، دون أن يتمزق ، أو يظهر به خدش واحد ..

ولكن يبدو أن تلك الصاعقة كانت تحوى طاقة هائلة ، تفوق بكثير قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ..

لقد انفجرت وسط الرفاق الأربعة ، الذين شعر كل منهم وكأن قنبلة قد انفجرت داخل جسده ، فانتزعته من مكانه ، وألقت به بعيدًا فى عنف رهيب ..

(أكرم) اندفع إلى الخلف واصطدم بالجدار كالقنبلة ، فدار حول نفسه ؛ وقذف داخل المخبأ ..

و (طارق) وجد نفسه يطير إلى اليسار ، ويدور حول نفسه فى الهواء ، قبل أن يرتطم بأحد الجدران فى عنف شديد ، ثم يسقط أرضًا كالحجر ..

و (رمزى) طار من موضعه ، عبر الجدار المهدوم ، بين حجرة الفريق والحجرة المجاورة ، التى سقط داخلها ، وتدحرج فيها فى قسوة ..

أما (نور) ، فقد اقتلعه الانفجار من مكانه ، ورفع جسده إلى قرب السقف ، قبل أن يسقط مرة أخرى ، ويرتطم صدره بجهاز الكمبيوتر الرئيسى ، الذى سقط معه أرضًا ، وانفجر بدوى شديد ..

وعلى الرغم منه ، تأوَّه (نور) فى ألم بالغ ..

لقد تحطَّم ضلعان جديدان فى صدره ، وانثنت الأضلاع التى تحطَّمت من قبل ..

وكان الألم رهيبًا ..

إلى أقصى حد ..

وفى غضب ، أضاء النووى المكان بعينيه ، وهو يقول :

ـ هل تصوَّرتم أن بإمكانكم هزيمتى ، لمجرَّد أنكم قد نجحتم فى قطع التيار الكهربى ، وتآزرتم معًا ؟!

خطأ أيها الأغبياء .. خطأ .. مازالت لدى طاقة هائلة ، تكفى لكل ما تبقى لى من وقت .

ثم سأل فى صرامة مخيفة :

ـ والآن .. أين الرئيس ؟!

أجابه (طارق) فى ألم ، وهو ينهض فى صعوبة :

ـ الرئيس ليس هنا بالطبع .. كانت مجرد خدعة ، لاجتذابك إلى هنا .

التفت إليه النووى ، صارخًا :

ـ كاذب .

ومع صرخته ، أطلق نحوه كرة نارية ، تفجرت فى صدر الزى الواقى ، واقتلعته مرة أخرى من مكانه ، لتضرب به الجدار بكل العنف ..

وفى غضب ، صرخ النووى :

ـ أين الرئيس ؟!

نهض (نور) ، ممسكًا صدره فى ألم ، وهو يقول :

ـ (طارق) لم يكن كاذبًا .. الرئيس ليس هنا .

صرخ النووى مرة أخرى :

ـ كاذب .. كلكم كاذبون .. كاذبون .

صرخ بها ، وهو يرفع قبضته ، ليطلق كرة نارية أخرى نحو (نور) ..

وكان (نور) يعلم أن جسده لن يحتمل هذه الضربة العنيفة قط فى حالته هذه ..

وأن كرة النار لو أصابت جسده ، وعلى الرغم من زيه الواقى ، فإنها ستقتله حتمًا ..

وبلا رحمة ..

* * *

شعر (أكرم) بصدمة هائلة ، عندما انفجرت تلك الصاعقة ، ودفعته قوة مخيفة فى صدره ، فاقتلعته من مكانه ، وقذفت به إلى الخلف ، ليرتطم بجانب جدار المخبأ السرى فى عنف ..

ومع الصدمة القوية ، دار الجدار حول محوره ، وألقى به داخل المخبأ ، فسقط على الدرجات الرخامية ، وتدحرج فوقها كالحجر ، قبل أن يسقط عند قدمى الدكتور (حجازى) ، الذى أسرع يعاونه على النهوض ، وهو يهتف :

ـ رباه ! لقد أصابك بشدة يا ولدى .

كان (أكرم) يشعر بآلام هائلة ، فى كل جزء من جسده ، من أثر الصدمة والسقوط ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هب واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى عصبية :

ذلك الوغد أقوى مما كنا نتصوَّر بكثير .. لقد فقد معظم طاقته ، ولم يعد بإمكانه إعادة شحن جسده ، وعلى الرغم فى هذا ، فقد تلقى حزم الأشعة ، وكأنما تلقى زخة من الماء المنعش ، وكاد يقتلنا جميعًا بصاعقة رهيبة .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! (نور) .. (نور) فى خطر .

قالت (نشوى) ، ودموعها تتفجَّر من عينيها ، وتغمر وجهها فى غزارة :

ـ بل كلنا فى خطر يا أمى .. (القاهرة) الجديدة كلها فى خطر .. سينتهى أمرنا جميعًا ، عندما ينفجر .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يلقى مدفعه الليزرى جانبًا :

ـ لا ينبغى أن نسمح بحدوث هذا قط .

قال الدكتور (حجازى) فى يأس :

ـ وهل توجد وسيلة لمنع الانفجار النووى القادم ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو ينتزع زيه الواقى قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد .

كان صراخ النووى الغاضب يبلغ مسامعهم ، وهو يستجوب (نور) و (طارق) ، فخفق قلب (سلوى) ، وهى تقول :

ـ أية وسيلة تلك ، التى يمكن أن تمنع كارثة كهذه ؟!

أجابها (أكرم) ، وهو يستلّ مسدسه من حزامه :

ـ الموت .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه ، فتابع فى صرامة :

ـ أن يموت ذلك الوغد ، قبل منتصف الليل .

ألقى الدكتور (حجازى) نظرة سريعة على ساعته ، وقال :

ـ إنها الثانية عشرة إلا سبع دقائق فحسب .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن نتحرك بأقصى سرعة .

ثم التفت إلى (سلوى) قائلاً :

ـ الغلاف الواقى الذى يحيط بذلك الوغد ، عبارة عن ذبذبة كهرومغنطيسية فائقة .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى ارتياع ، فتابع :

ـ هل يمكنك استخدام كمبيوتر (طارق) المتحرك ، لاختراق تلك الذبذبة ، وإيقاف عملها ؟!

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تشير إلى مدخل المخبأ ، قائلة :

- لست أدرى ما إذا كان هذا ممكنًا أم لا ، ولكنه لن ينجح لأكثر من ثانية أو ثانيتين .

أجابها فى حزم :

- هذا يكفى .

هتفت فى ارتياع :

- ولكن ليس لدينا الوقت لهذا .

كانت صرخة النووى الأخيرة تبلغها ، فصرخت بدورها :

- إنه سيقتل (نور) .

استدار (أكرم) إلى المدخل فى غضب هادر ، هاتفًا :

- الوغد ..

كان النووى فى تلك اللحظة يصوّب قبضته إلى (نور) ، ويطلق كرته النارية ، و ...

وصرخ (طارق) فجأة ، وهو يهبّ من سقطته ، ويعدو نحو (نور) :

- لا .. ليس (نور) .

وبكل قوته ، وثب يعترض طريق كرة النار ، قبل أن تبلغ (نور) ..

وارتطمت به الكرة النارية بكل قوتها ..

وانفجرت فى صدر زيه الواقى ..

واندفع (طارق) إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بـ (نور) فى قوة ، انتزعت هذا الأخير من مكانه ، مع آلام رهيبة فى جسده كله ، ليصطدم الاثنان بجدار المخبأ ، ويتدحرجان معًا داخله ، على نحو يكفى لتحطيم كل عظمة فى جسديهما ، قبل أن يستقرا داخله ..

وبكل الذعر الذى ملأ كيانهما ، اندفعت (سلوى) و (نشوى) نحو (نور) ، هاتفتين :

- (نور) .. رباه !! هل .. هل .

تحرّك النووى فى صرامة نحو المخبأ وهو يقول :

- قلت لكم : إنكم لن تفلتوا منى قط .

تراجع الدكتور (حجازى) ، هاتفًا فى ارتياع :

- يا إلهى ! إنه قادم إلينا .

تلفّت (أكرم) حوله فى عصبية ، بحثًا عن مخرج آخر ، ووقع قدمى النووى يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم ظهر شبحه عند مدخل المخبأ ..

وتألقت عيناه فى قوة ..

وانبعث منهما ذلك الضوء الساطع ..

وغمر الجميع ..

وانتفض جسد (نشوى) فى ارتياع ..

وشهقت (سلوى) ..

وتجمدت أطراف الباقين ..

ورفع النووى قبضته نحوهم ، و ..

وكانت لحظة رهيبة ..

وقاتلة ..

* * *

« (إفرام) ... » .

انطلق الاسم فى المكان ، بصوت (رمزى) ، الذى عاد عبْر الجدار المنهار ، فانعقد حاجبا (إفرام) فى شدة ، وخفض قبضته ، وهو يلتفت إليه فى حركة حادة ، فتابع (رمزى) ، وهو يلهث ، من فرط التعب ، والألم ، والانفعال :

ـ (إفرام سالوم) .. أو (إبراهيم سالم عمران) .. أليس هذا هو اسمك الحقيقى ؟!

زمجر (إفرام) كوحش كاسر ، وهو يقول :

ـ لقد توصلتم إليه .. هذا يعنى أنكم أكثر براعة مما كنت أتصور ..

اقترب منه (رمزى) فى حذر ، وهو يقول :

ـ لسنا نعرف هويتك الحقيقية فحسب يا (إفرام) ، ولكننا نفهم أيضًا لماذا تسعى للانتقام .

انعقد حاجبا الشاب فى شدة ، وهو يتابع حركته فى حذر ، فغمغم الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ (رمزى) يستغل موهبته فى الطب النفسى .

همس (أكرم) فى عصبية ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

ـ لن يفيد هذا ، بعد ست دقائق من الآن .

ثم عاد يتلفت حوله قائلاً فى حدة :

ـ لابد أن أجد وسيلة للخروج من هنا .. لابد .

فتح (طارق) عينيه فى صعوبة ، وأشار بيده إلى ركن المخبأ فى تهالك ، مغمغمًا :

ـ فتحة التهوية .. فتحة التهوية .

تألقت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ آه .. بالفعل .. أشكرك يا صديقى .. أشكرك كثيرًا .

ثم التفت إلى (سلوى) قائلاً فى لهفة :

ـ ابذلى قصارى جهدك لإزالة الغلاف الواقى .. ابدئى الآن .. لسنا ندرى كم من الوقت ، سيتمكن (رمزى) من خداعه .

أومأت برأسها إيجابًا فى توتر بالغ ، وهى تلتقط كمبيوتر (طارق) المتحرك ، فى حين اندفع هو نحو فتحة التهوية فى الركن ، وانتزع غطاءها بجذبة قوية ، فسألته (نشوى) فى هلع :

ـ (أكرم) .. هل ستذهب هكذا ، بمسدس عادى ، ودون زى واق ؟!

ابتسم فى سخرية عصبية قائلاً :

ـ وفيم أفادنا هذا ؟

ودون أن يضيف حرفًا آخر ، دفع جسده داخل فتحة التهوية ، واختفى فيها تمامًا .. وفى نفس الوقت الذى فعل فيه هذا ، كان (رمزى) يقول للشاب فى لهجة هادئة وبكلمات مدروسة خبيرة :-

ـ لقد حوكم والدك وأدين وصدر ضده الحكم بالإعدام ، وكل هذا قبل حتى أن تولد ، وعلى الرغم من هذا فقد تعذبت منذ مولدك ، بسبب ما حدث .. أمك لم تتوقف يومًا واحدًا عن تذكيرك بالأمر ، بل وعرضت عليك يوميًا فيلمًا تسجيليًا للمحاكمة إلى الحد الذى حطم أعصابك وأعصابها .

ازداد انعقاد حاجبى (إفرام) ، وهو يستمع إليه فى صمت شارد ، شجع (رمزى) على التقدم أكثر وأكثر ، وهو يتابع :

ـ جيرانكما فى (تل أبيب) لم يحتملوا صراخها وصراخك فأبلغوا الشرطة ، و ...

واصل (رمزى) التحدث إليه فى بطء ، محاولاً إضاعة المزيد والمزيد من الوقت ، عسى أن يجد رفاقه وسيلة للنجاة ..

والعجيب أنه فعل هذا ، دون أن يدرى أن (أكرم) كان ، فى تلك اللحظة ، يدفع جسده بكل قوته ، عبر ماسورة التهوية ، وهو يقول لنفسه فى توتر :

ـ أسرع يا (أكرم) .. أسرع .. الماسورة ضيقة ، ورائحتها العفنة تكاد تزكم أنفك ، وتفقدك الوعى ،

ولكن كل رفاقك يعتمدون على نجاحك .. احتمل ، وقاوم ، وادفع جسدك إلى الأمام .. هيا .. أسرع .. أسرع .. الوقت أمامك ضيق للغاية .. ولا ينبغى أن تضيع ثانية واحدة .. هيا .. هيا .

كان جسده محشورًا داخل تلك الماسورة الضيقة ، ويدفعه إلى الأمام بصعوبة ، ولكنه لم يتوقف لحظة واحدة ، حتى بلغ ماسورة رأسية قصيرة ، فانحنى داخلها ، ودفع جسده إلى أعلى فى صعوبة حتى بلغ ماسورة أفقية أخرى كاد عاموده الفقرى ينكسر وهو يدفع نفسه داخلها قائلاً فى صوت لاهث من فرط الإرهاق والانفعال :

ـ هيا يا (أكرم) .. لا تجعل هذا يوقفك .. ابذل قصارى جهدك لتتحوّل إلى رجل مطاطى ، حتى يمكنك عبور تلك المنحنيات الضيقة ، ولكن لا تستسلم أبدًا مهما كان الثمن .. هيا .

ومع الجهد الخرافى الذى يبذله ، كان (رمزى) يواصل حديثه مع (إفرام) قائلاً :

ـ العلاج النفسى كان يمكن أن يفيدكما معًا .. أمك وأنت ، لولا أنها أصرّت على العودة لممارسة الضغوط

نفسها بعد انتهاء فترة العلاج ، مما حطّم أعماقك ، ودمّر كيانك ، وجعلك تتصوّر أن الوسيلة الوحيدة أمامك ، للتخلّص من هذا العذاب ، هى أن تنغمس فى الفكرة حتى النخاع ، وتقتنع بأن هدفك فى الحياة هو الثأر والانتقام .. فقط الثأر والانتقام .

برقت عينا (إفرام) فى شدة ، وهو يقول :

ـ نعم .. الثأر والانتقام .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى صرامة وحشية :

ـ وبمناسبة الحديث عن الثأر والانتقام .. أين الرئيس ؟!

ازدرد (رمزى) لعابه ، وهو يقول :

ـ الرئيس ليس هنا .

انعقد حاجبا (إفرام) فى غضب هادر ، ورفع قبضته نحو (رمزى) ، الذى تراجع فى خوف مكملاً :

ـ ولا يمكن أن يكون هنا .. المكان غير صالح لحمايته ، على الوجه الأمثل .. لقد كانت مجرّد خدعة ؛ لجذبك إلى هنا فحسب .

تضاعف غضب الشاب ، وهو يصرخ :

- مجرد خدعة .. خدعة حقيرة .. هل تصورتم أنكم تستطيعون الظفر بى ، لمجرد أنكم نجحتم فى اجتذابى إلى هنا ؟! هراء .. ربما فقدت الكثير من طاقتى ، ولكن المتبقى يكفى لنسفكم جميعًا ..

ثم صرخ مرة أخرى :

- جميعًا .

هوى قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وارتجفت أصابعها ، التى تعمل بأقصى سرعتها على جهاز الكمبيوتر المتنقل ، وهى تتمتم فى لهجة من يوشك على الانهيار :

- كل شىء معدّ يا (أكرم) .. أسرع بالله عليك .. أسرع .

ومع آخر حروف كلماتها ، صرخ الشاب فى غضب هادر :

- لقد خدعتمونى ، وأفسدتم حملتى الانتقامية ، والشىء الوحيد الذى تستحقونه هو الموت .. الموت وحده .

وفى نهاية العبارة ، ضمّ قبضته فى قوة ..

وانطلقت من قبضته كرة نارية ، ارتطمت بـ (رمزى) ،

وتفجرت فى صدر زيه الواقى ، فانتزعته من مكانه فى عنف ، ودفعته أمامها لستة أمتار كاملة ، عبر الجدار المحطم ، لتلقى به مرة أخرى على رمال الصحراء ..

ومع الآلام الرهيبة فى صدره ، تأوّه (رمزى) مرة واحدة ..

ثم فقد وعيه ..

وعندما كانت الرمال الرفيعة ترتطم بجسده ، كان النووى يلتفت إلى الباقين ، وعيناه تبرقان على نحو مخيف ، وينبعث منهما ضوء مبهر ، غشّى عيون الجميع ، وهو يزمجر فى وحشية رهيبة هاتفًا :

- للمرة الأخيرة .. أين الرئيس ؟!

ضغطت (سلوى) آخر أزرار إعداد برنامجها ، ثم وضعت سبابتها على زر الإدخال ، هاتفة فى أعماقها ، وجسدها كله يرتجف فى قوة :

- أسرع بالله عليك يا (أكرم) .. أسرع .

أما (نشوى) فقد عجزت ساقاها عن حملها ، فسقطت أرضًا هاتفة :

- (رمزى) .. زوجى (رمزى) ،وابنى (محمود) .. رباه ! إنها النهاية .. إنها النهاية .

وتراجع الدكتور (حجازى) فى ارتياع ، فى حين أغلق (طارق) عينيه فى ألم ومرارة ، وأمسك (نور) صدره محاولاً التغلب على آلامه وهو يهتف :

- ألا يمكنك أن تفهم أبدًا .. الرئيس ليس هنا .

وقال (طارق) فى حدة :

- اذهب إلى الجحيم يا هذا .. لن تظفر بالرئيس قط .

اشتعلت عينا (إفرام) أكثر وأكثر ، وهو يصرخ :

- نعم أيها المتحذلق .. سأذهب بالتأكيد إلى الجحيم ، ولكننى لن أذهب وحدى ..

وضمّ قبضتيه إلى بعضهما البعض ، مستطردًا فى ثورة :

- كلكم ستذهبون معى .. (القاهرة) الجديدة كلها ستذهب معى إلى الجحيم .

صرخت (سلوى) و (نشوى) ، واتسعت عيون (نور) و (طارق) ، والدكتور (حجازى) مع تألق قبضتى (إفرام) على نحو يوحى بأنه يستعد لإطلاق

أقوى صاعقة فى تاريخه الدموى القصير ، وهو يصرخ فى جنون وحشى :

- سنذهب جميعًا إلى الجحيم .. جميعًا .

ولكن فجأة ، ومع آخر حروف صرخته ، وقبل أن يكتمل دويها تحطمت فجأة فتحة التهوية فى سقف الحجرة على مسافة خمسة أمتار من (إفرام) وهبط منها (أكرم) حاملاً مسدسه التقليدى ..

وبمنتهى السرعة والعنف ، التفت إليه النووى ..

وبكل غضبه وثورته أطلق صرخة رهيبة ..

وأدار قبضته اليمنى نحوه ..

وانطلقت كرة النار ..

وصرخت (سلوى) :

- الآن يا (أكرم) .. الآن ..

ولم يكن جسد (أكرم) قد بلغ الأرض بعد ، عندما دار حول نفسه ، وأطلق من مسدسه ثلاث رصاصات ، نحو النووى ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، شعر بالنيران تحرق ذراعه اليسرى ، قبل أن تواصل الكرة طريقها ، عبر الممر الطويل ، وتنفجر فى نهايته ..

ومع الانفجار ارتطم (أكرم) بأرضية الحجرة ، وتدحرج فوقها لحظة ، ثم هبّ واقفًا على قدميه ، وهو يصوّب مسدسه إلى النووى مرة أخرى ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

لقد نجحت (سلوى) فى إيقاف عمل الغلاف الواقى لثانية واحدة ، نجحت رصاصات (أكرم) خلالها فى إصابة (إفرام) ..

فى صدره مباشرة ..

ومع ألمه وذهوله ، اقتلعت الرصاصات جسد (إفرام) ، ودفعته أمامها لمتر واحد ، فارتطم بجانب مدخل المخبأ ، وارتدّ مرة أخرى فى عنف ، ليسقط على وجهه أرضًا ..

وانطلقت من حلقه آهة ألم بدت أشبه بصرخة غاضبة ، وهو يتحسّس الدماء على صدره ، ويقول :

ـ مستحيل ! لايمكنك أن تفعل بى هذا .. مستحيل !

وحدّق فى وجه (أكرم) لحظة ، قبل أن يُطلق فجأة ضحكة مجنونة ، ويلوّح بقبضته ، على الرغم من الدماء المتدفقة من صدره فى غزارة ، ويهتف :

ـ ولكنك فعلتها يا رجل .. قتلتنى .. فعلت ما تصوّرت أنه مستحيل ! ولكن عزائى الوحيد هو أننى سأحملكم جميعًا معى إلى الجحيم ، بعد دقيقة واحدة .

قالها ، وقهقه ضاحكًا مرة أخرى ، على نحو جنونى مخيف ، فانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ خطأ هذه المرة أيها الوغد .. ستذهب بالفعل إلى الجحيم ، ولكنك ستذهب وحدك .

وبلا تردُّد ، ضغط زناد مسدسه مرة أخرى ، وهو واثق من أن (إفرام) لن يمكنه إحاطة نفسه بالغلاف الواقى ، فى هذه الظروف ..

وصرخ النووى :

ـ لا .. لا ....

وامتزجت صرخته بدوى رصاصة (أكرم) ، قبل أن تخترق رأسه ، من منتصف جبهته تمامًا ، وتنفذ من مؤخرة الرأس فى عنف ..

وتهاوى النووى جثة هامدة ، عند قدمى (أكرم) .. الذى أغلق عينيه فى قوة ، مغمغمًا :

ـ رأيت أيها الوغد .. هأنتذا ستذهب إلى الجحيم .. وحدك ..

وبعد عبارته ، ران على المكان صمت رهيب مهيب ، إلا من صوت الرياح المحمّلة بالرمال خارج المرصد القديم .

وفى قلب الصمت ، كانت أفكار ومشاعر الجميع تنطلق ..

ربما كانوا يفكرون فى كل ما حدث .. كل فى مضماره ..

فى العنف ، والقسوة ، والغموض ..

فيما يثير حيرتهم بشأن (طارق) ، عضو الفريق الجديد ..

فى مصير رئيس الجمهورية ..

ولكن الشىء الوحيد ، الذى جمع بينهم فى تلك اللحظة ، وفى قلب الصمت ، كان خفقات قلوبهم ، التى تعلن أن الحياة قد انتصرت مرة أخرى ..

وأن العاصفة النووية قد انتهت ..

وإلى الأبد .

* * *

[تمت بحمد الله]